جامعة الخليل

كلية الدراسات العليا

قسم التاريخ

المسجد الإبراهيمي في العصر المملوكي

(648- 922هـ/ 1250- 1517م)

إعداد

دعاء إياد عمرو

إشراف

د. شوكت حجة

قدمت هذه الدراسة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في كلية الدراسات العليا في جامعة الخليل

الخليل- فلسطين

2014

إجازة الرسالة

المسجد الإبراهيمي في العصر المملوكي

(648-922هـ/1250-1517م)

إعداد الباحثة

دعاء إياد عمرو

إشراف

د .شوكت حجة

نوقشت هذه الرسالة

يوم الاثنين بتاريخ 2014/01/26 ميلادي، الموافق 6 من ربيع الآخر 1436هجري

و أجيزت

أعضاء لجنة المناقشة		التوقيع
1. د .شوكت حجة	مشرفاً ورئيساً	.....
2. د. محمد عثمان الخطيب	عضواً خارجياً	.....
3. د. عمر شلبي	عضواً داخلياً	.....

الإهداء

إلى من أحمل أسمه بكل فخر، وأبكر في رحيله، الى روح والدي الغالي

إلى من قلع الشوك عن طريقي ليوصلني إلى بر الأمان، أهدي ثمرة من ثمارك.....والدي الثاني عماد "أبو عامر"

إلى الينبوع الذي لا يمل عن العطاء .....أمي الحبيبة

إلى رفيق دربي ومشواري ..... زوجي العزيز

إلى سندي وذخري..... إخوتي وأخواتي

إلى رمز الصمود ....رمز الكرم....مدينتي " خليل الرحمن"

شكر وتقدير

بعد أن منَّ الله عليّ بإخراج هذا البحث، أرى لزاماً أن أعترف بفضل أهل الفضل، الذين سهلوا لي مهمتي، وأبدو لي النصح والمساعدة، وعليه أتقدم بالشكر العميق، والإحترام الفائق إلى أستاذي القدير الدكتور شوكت رمضان حجه، بقبوله الإشراف على هذه الدراسه، وعلى جهوده المخلصة وأراءه السديدة، وما أبداه إليّ من نصح وإرشاد وتوجيه، أسأل الله أن يعطيه الصحة والعافية، وأن يجعل ذلك في ميزان حسناته، وإلى جميع أساتذتي في قسم التاريخ في جامعة الخليل.

كما أتقدم بجزيل الشكر لجميع المؤسسات التي أبدت لي العون أو المساعدة لإتمام هذه الدراسة، كدائرة الأوقاف الإسلامية، والمحكمة الشرعية في مدينة الخليل، ولجنة إعمار البلدة القديمة في الخليل، ومركز إحياء التراث الفلسطيني في مدينة القدس، والعاملين في مسجد إبراهيم الخليل –عليه السلام–، والعاملين في مكتبة جامعة الخليل، ومكتبة بلدية الخليل لما قدموهمن معلومات ساهمت بإعداد البحث.

كما أتقدم بالشكر العميق للدكتور نوفان سوارية من الجامعة الإردنية الذي فتح مكتبته الخاصة أمامي للإطلاع على محتوياتها القيمة، وتكرَم علي ببعض الكتب منها، وكذلك الدكتور عدنان البخيت لما أبداه من نصح وأهتمام لموضوع الدراسة .

ولا يفوتني أن أقدم شكري الجزيل لأفراد أسرتي، ولأفراد عائلتي في الأردن، وابي الحبيب وأمي الغالية لما وفروه لي من ظروف مناسبة ومريحة طوال فترة الدراسة، وزوجي الحبيب وما أبداه من عون ممكن في إخراج البحث.

فهرس المحتويات

الإهداء ..... أ

شكر وتقدير .....ب

فهرس المحتويات.....ت

الملخص..... ح

المقدمة .....د

التمهيد 1

الفصل الأول: فضائل المسجد وذكره في المصادر 13

أولاً: ارتباط أتباع الديانات السماوية بالمسجد:..... 13

اليهود: 14

المسيحيون: 17

المسلمون:..... 22

ثانياً: ذكر المسجد في المصادر 30

المصادر التاريخية:..... 30

المصادر البلدانية والرحالة:..... 34

النصوص الشعرية:..... 44

الفصل الثاني : الدور الحضاري العمراني للمماليك في المسجد 50

أولاً: مبنى المسجد الإبراهيمي قبل العهد المملوكي:..... 51

المغارة : 51

السور"الحير": 53

المصليات والأروقة:..... 57

ثانياً: الدور المملوكي المعماري في المسجد:..... 62

المئذنتان..... 62
مسجد الجاولية :..... 63
القلعة (مدرسة السلطان حسن): 67
الرباط المنصوري:..... 69
مصلى المالكية (اليوسفية): 70
دكة المؤذنين أو دكة المبلغ: 71
قبة قلاوون:..... 71
سقاية قلاوون:..... 72
بركة السلطان: 72
ثالثاً : ترميمات ونقوش القباب المملوكيه :..... 73
الفصل الثالث: إدارة شؤون المسجد في العصر المملوكي 78
أولا : إدارة السلطة المملوكية للمسجد:..... 79
نيابة القدس ونظارة الحرمين الشريفين :..... 79
ناظر الوقف :..... 85
ثانياً: الإدارة داخل المسجد..... 86
مشيخة المسجد 86
إمام المسجد: 88
خطيب المسجد 90
المؤذن 92
الميقاتي 92
الحارس:..... 93
إنارة المسجد 94

قيّم المسجد 94
كشّاشّ الحمام (حمامجي) 95
ثالثاً: الإدارة التابعة للمسجد..... 95
معلمو السماط 95
الفصل الرابع: أوقاف وهبات المسجد في العصر المملوكي.....96
أولا : تعريف الوقف وأنواعه:..... 97
ثانيا: دوافع الوقف في العصر المملوكي: 100
1.الأسباب الدينية:..... 101
2. الأسباب السياسية : 101
3.الأسباب الاقتصادية : 102
ثالثا :أعيان الموقوفات التابعة للمسجد:..... 104
رابعاً: مصروفات الوقف: 116
خامساَ: هبات السلاطين المماليك على الوقف والسماط: 117
الفصل الخامس : أثر المسجد في مدينة الخليل 119
الأثر الإجتماعي :..... 120
الأثر الاقتصادي :..... 125
الأثر الفكري : 128
الخاتمة..... 137
قائمة المصادر والمراجع 140
Abstract..... 159

الملخص

المسجد الإبراهيمي في العصر المملوكي

(648ـ-922هـ/1250-1517م)

إعداد

دعاء إياد إبراهيم عمرو

إشراف الدكتور: شوكت رمضان حجة

تناولت هذه الدراسة تاريخ المسجد الإبراهيمي في العصر المملوكي، وتتبع أهميتها من خلال إبراز الدور التاريخي والإسلامي في عمارة وحماية المقدسات الإسلامية عامة، ورفات الأنبياء خاصة، ففي البداية تحدثت الدراسة عن فضائل المسجد وذكره في المصادر حيث بينت ارتباط أتباع الديانات السماويه في المسجد من خلال الكتب المقدسة، وقمت بتعداد ذكر المسجد في المصادر التاريخية، والمصادر البلدانية والرحالة، وبعضٍ من النصوص الشعرية .

وقد أبرزت الدور الحضاري العمراني للمماليك في مسجد إبراهيم –عليه السلام–، من خلال رسم صورة للمسجد قبل العهد المملوكي، ثم بيان الدور المملوكي المعماري في المسجد، وما إضيف إليه من ترميمات ونقوش تعود لعهد المماليك .

وبينت من خلال الدراسة كيفية إدارة شؤون المسجد، فقد كانت هناك إدارة من السلطة المملوكية من خلال نائب القدس وناظر الحرمين الشريفين، وناظر الوقف، وإدارة داخلية من موظفي المسجد للقيام بدوره كالشيخ والإمام، والخطيب، والمؤذن، والميقاتي، والحارس والقيّم، وغيرها من الوظائف، وكانت هناك إدارة تابعة للمسجد وهم معلمو السماط الذين يقومون بطبخ وتوزيع سماط إبراهيم الخليل –عليه السلام–.

وتعرضت لأوقاف وهبات المسجد التي حبست في العصر المملوكي، مبينةً دوافع الوقف لدى السلاطين والعامة في الفترة التي إختصت بها الدراسة، وأعيان تلك الموقوفات ومصروفاتها.

وأخيراً قمت ببيان الأثر الذي قام به المسجد في المدينة في عصر المماليك،وبعضها ما زال يلعب دور قائم إلى الآن فجات الدراسة من جميع النواحي المختلفة: الإجتماعية والإقتصادية والفكرية.

المقدمة

يعد المسجد الإبراهيمي في مدينة الخليل ثاني أقدم المساجد الإسلامية وأكبرها في فلسطين بعد المسجد الأقصى كما أنه حظي بأهمية دينية عظيمة لدى الحكام، والسلاطين والولاة عبر العهود الإسلامية المختلفة؛ لإرتباطه الوثيق بأبي الأنبياء سيدنا إبراهيم الخليل – عليه السلام–.

وقد اختصت الدراسة بالعهد المملوكي خلال الفترة (648–922هـ/1250–1517م) للأسباب الآتية:

أولاً: لا تعد مدينة خليل الرحمن من المدن المهمة دينياً في فلسطين فحسب، وإنما على امتداد العالم الإسلامي والمسيحي والمسجد الإبراهيمي هو قلبها النابض،رغم اتساعها وامتداد احيائها، فهو الشاهد على أحداثها التاريخية الهامة منذ أقدم العصور، والتي أمتدت أربعة آلاف عام تقريباً، لذا أرتأت الباحثة هذهالدراسة لتؤكد على أصالتها العربية الإسلامية .

ثانياً: تؤكد المصادر التاريخية المختلفة على مدى الإهتمام والرعاية التي أولاها السلاطين المماليك بالمنشأت الدينية، في مناطق حكمهم عامة وفي فلسطين خاصة، ومن أبرزها المسجد الإبراهيمي إذ حبسوا عليه الأوقاف السخية من قرى ومزارع، وعيون ماء وأربطة، وغيرها، وتركوا بصمات واضحة في بنائه التاريخي، سواء أكان ذلك بتوسيعه أو ترميمه أو زيادة مرافقه دن المساس بملامحه الأثرية القديمة، فوجب إبراز ذلك .

ثالثاً:على الرغم من صدور العديد من الدراسات حول المسجد الإبراهيمي، إلا أن هذه الدراسة ستكون شاملة لتاريخ المسجد في العهد المملوكي من ناحية عمرانية وإدارية والأوقاف التي حبست عليها ومصادر إنفاقها، وأثر المسجد على المدينة من النواحي

المختلفة الاجتماعية، والاقتصادية، والفكرية التي لا تزال في أهل بلد الخليل –عليه السلام– وجميع تلك النواحي أثّرت على تطورها وتقدمها في تلك الفترة .

واجهت الدراسة عدة صعوبات أثناء اعدادها، بدأت الصعوبات بعدم وجود مصادر معاصرة كافية تغطي كافة موضوعات البحث، خاصة الذي يبرز الدور الحضاري العمراني للمسجد في العصر المملوكي، فالمسجد الإبراهيمي لم يخضع لدراسة أثرية شاملة، بإستثناء دراسة الدكتور يونس عمرو، ونجاح ابو سارة (رقوم المسجد الإبراهيمي)، التي إختصت فقط بدراسة الرقوم والنقوش داخل المسجد، ودراسة مريم شاهين، حيث تناولت المسجد الإبراهيمي ضمن دراستها التي كانت بعنوان (مساجد مدينة الخليل في العصر المملوكي) وبالتالي تم الإعتماد على الكتب المعروفة لرصد إنجازات السلاطين المماليك في المسجد،ثم تمت مقارنتها ومطابقتها لملامح وسمات العمارة في العصر المملوكي، كما تم الإستفادة من تقارير المكتب المعماري الهندسي التابع للجنة إعمار الخليل، ومن أهم العقبات التي واجهت الدراسة ندرة المخطوطات والوثائق المتعلقة بالوظائف أوالوقفيات التابعة للمسجد،حيث تم التعاون مع وزارة الأوقاف الإسلامية في الخليل – مشكورة–للبحث في مكتبة المسجد، وكان البحث صعباً بدرجة أو بأخرى وأقرب إلى العمل السري في ظل وقوع المسجد تحت نير الإحتلال الإسرائيلي، ثم تبين أن المكتبة لا تحتوي إلا على مصاحف قديمة، وبعض الكتب المتعلقة بالفقة أو اللغة، وأن أغلب الوثائق والمخطوطات المهمة التي كانت في مكتبة المسجد قد نقلت إلى مركز إحياء التراث الفلسطيني في القدس وحفظت في سجلات متفرقة، مما إستغرق الكثير من الوقت والجهد في إستخراج المتعلق منها بفترة الدراسة، فهي قليلة وغير محققة، وأغلبها تعود للعهد العثماني .

وتم تقسيم الدراسة إلى خمسة فصول بحيث سبقها تمهيد بين الأدلة العقلية حول حقيقة دفن الأنبياء في داخل مغارة المكفيلا (Makphila) أسفل المسجد، كما تضمن سبب تسمية المسجد بالحرم، وهو الإسم الأشهر له (الحرم الإبراهيمي). وتناولت في الفصل الأول فضائل المسجد وذكره في المصادر، وارتباط أتباع الديانات السماوية بالمسجد من خلال الكتب المقدسة، وذكره في المصادر التاريخية، والجغرافية، وكتب الرحالة.

وأظهرت في الفصل الثاني الدور الحضاري العمراني للمماليك في مسجد إبراهيم –عليه السلام–، فكان البند الأول للفصل لرسم صورة للمسجد قبل العهد المملوكي، أما البند الثاني والثالث: فقاما بتوضيح الدور المملوكي المعماري في المسجد وما أقيم به من إضافات وترميمات ونقوش تعود لعهد المماليك .

وفي الفصل الثالث أوضحت كيفية إدارة شؤون المسجد، فقد كانت هناك إدارة من السلطة المملوكية من خلال نائب القدس وناظر الحرمين الشريفين، وناظر الوقف، وإدارة داخلية من موظفي المسجد للقيام بدوره كالشيخ، والإمام، والخطيب، والمؤذن، والميقاتي والحارس، والقيم، وغيرها من الوظائف، وكانت هناك إدارة تابعة للمسجد وهم معلمو السماط الذين يقومون بطبخ وتوزيع سماط إبراهيم الخليل –عليه السلام–.

وفي الفصل الرابع تعرضت إلى ذكر أوقاف وهبات المسجد التي حبست في العصر المملوكي، مبيناً دوافع الوقف لدى السلاطين والعامة في الفترة التي اختصت بها الدراسة وأعيان تلك الموقوفات، ومصروفاتها .

إما الفصل الخامس فقد بينت الأثر الذي قام به المسجد في المدينة في عصر المماليك وبعضها ما زال يلعب دوراً قائماً الى الآن وكانت تلك الدراسه من جميع النواحي المختلفة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية.

وأعتمدت لأعداد الدارسة على عدد من الوثائق كسجلات المحاكم الشرعية في مدينتي القدس والخليل؛ لمعرفة الوقفيات التابعة لمسجد إبراهيم الخليل –عليه السلام– وموظفي مسجده، كما تم ذكره، ودفاتر الطابو العثماني التي تحمل أرقام 255،و427، و131، حيث زودت الدراسة بالوقفيات التابعة للمسجد .

وكان للمصادر الجغرافية دور كبير في إغناء المادة الدراسية، بإعطاء وصفٍ دقيق ومفصّل للمسجد وأوضاع البلاد في ذلك العصر،وكشف خبايا الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعمرانية، ككتاب علي بن أبي بكر الهروي، (الإشارات إلى معرفة الزيات) حيث زار المسجد سنة (569هـ/1173م)، ورحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، ترك فيها وصفاً جغرافياُ مهماً اعتمد فيه على ملاحظاته، وامتاز المقدسي في كتابه (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) بكثرة ملاحظاته على المسجد وما حوله مما ساهم بكثير من المعلومات بإثراء مادة البحث، وغيرها من الرحلات العربية والأجنبية .

أما أهم المصادر التاريخية التي اعتمدت عليها الدراسة، فكان كتاب مجير الدين العليمي (الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل)، حيث كان العليمي من أبناء مدينة القدس ومعاصراً للفترة الأخيرة من العصر المملوكي، فاعتمدت عليها بجميع فصولها، وكتاب تقي الدين المقريزي، (السلوك لمعرفة دول الملوك)، كتاب ابن تغري بردي (النجوم الزاهرة بملوك مصر والقاهرة)، وغيرها من المصادر .

كما استعنت بعدد من الرسائل العلمية والأطروحات، أهمها رسالة سعيد أبو صافي لنيل درجة الماجستير (مدينة الخليل في العصر المملوكي)، وأطروحة الدكتوراة لعلي السيد التي تحمل عنوان :(الخليل والحرم الإبراهيمي في عصر الحروب الصليبية)، والأوقاف الإسلامية في فلسطين في العصر المملوكي لمحمد عثمان الخيب وغيرها من الرسائل .

التمهيد

تتبع أهمية مدينة الخليل الدينية من وجود قبر النبي إبراهيم وعائلته –عليهم السلام– فيها "ولولا مكان الخليل– عليه السلام– بها لم تذكر فيما يذكر، وإنما عادت عليها بركات ذلك المثوى الكريم فباهت الأقطار بفضلها، وتأهلت الأمصار بأهلها "[1]، وتقع قبور الأنبياء – عليهم السلام – داخل مغارة المكفيلا (Makphila)[2] اسفل المسجد الإبراهيمي، في الجزء الجنوبي الشرقي للمدينة[3].

ويكاد يتفق مؤرخو المسلمين ورحَالتهم على أن قبر إبراهيم وإسحاق ويعقوب– عليهم السلام– في مغارة المكفيلا (Makphila) في بلد الخليل –عليه السلام– [4] لكنهم اختلفوا في موضع قبر يوسف الصديق –عليه السلام– ؛ حيث صنَّفه المقدسي في كتابه، ضمن المواضع المختلف فيها [5].

---

1 – العمري، **مسالك الإبصار في ممالك الأمصار**، 278/3.

2 – المكفيلا :اسم سامي يعني مزدوج، وهذه المغارة تعد جزءاً أساسياً من مبنى المسجد الإبراهيمي وهي تقع أسفله، علي السيد، **الخليل والحرم الإبراهيمي في عصر الحرروب الصليبية**، رسالة دكتوراه، 71.

3 – ناصر خسرو: **سفر نامة**، 23.

4 – ابن كثير، **البداية والنهاية**، 201،253/1؛ الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، 184،213/1؛ ابن الأثير **الكامل في التاريخ**، 114/1؛ مجير الدين العليمي، **الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل** 68/1؛النويري، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، 322/2 ؛ الهروي، **الإشارات الى معرفة الزيارات** 35 ؛ الإدريسيّ، **نزهة المشتاق في اختراق الافاق**، 1/ 363؛ ابن بطوطة، **تحفة النظار في غرائب الأمصار**، 75 ؛ البغدادي، **مراصد الاطلاع على أسماء الامكنة والبقاع**، 480/1؛ عبد الغني النابلسي **الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية**،206–207.

5 – **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، 49.

يعتقد فريق من الرحاله أن قبره في مدينة الخليل خارج الحير على بعد مرمى حجر من مغارة المكفيلا [1].

ورأى فريق ثانٍ من المؤرخين كالطبري[2]، أن يوسف –عليه السلام – دفن في مصر داخل صندوق من مرمر في ناحية النيل في جوف الماء ؛ وفي راوية ابن الزّيات [3]:" أجمع العلماء من أهل التاريخ على أنه لم يدفن بمصر إلا يوسف– عليه السلام–، وظل إلى زمن موسى بن عمران– عليه السلام– وأمره الله تعالى أن يحمله معه إلى بيت المقدس فحمله؛ لأن القبلة كانت زمن يعقوب إلى جهة بيت المقدس".

بينما ذهب فريق ثالث أن قبره في بُلاطة [4] .

ويبدو أن اعتماد دفنه خارج الحير في مغارة المكفيلا(Makphila) في بلد الخليل يرجع إلى ما يأتي :

أولاً: تناقض رواية الطبري[5] ورواية ابن الزيات[6] مع ما أخرجه الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين [7]، بإن النبي يوسف – عليه السلام – دفن في مصر، ونقل رفاته إلى بيت المقدس.

---

1 – ناصر خسرو، **سفر نامة**، 23؛ البغدادي، **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، 480/1 ؛ابن بطوطة **تحفة النظار في غرائب الأمصار**، 75 ؛عبد الغني النابلسي، **الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية**، 207 دانيال الراهب، **وصف الأرض المقدسة**، 79–80.

2 – الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، 1/ 213.

3 – **الكواكب السيارة في معرفة الزيارة**، 282.

4 – بُلاطة : قرية من أعمال نابلس من أرض فلسطين، يزعم اليهود أنّ نمرود بن كنعان فيها رمى إبراهيم –عليه السلام– إلى النار، وبها عين الخضر، وبها دفن يوسف الصديق– عليه السلام– وقبره بها مشهور، ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، 478/1 ؛ الهروي، **الإشارات في معرفة الزيارات**،35.

5– **تاريخ الامم والملوك**، 213/1.

6– **الكواكب السيارة في معرفة الزيارة**، 282.

7 – عن أبي موسى الأشعري أن رسول الله– صلى الله عليه وسلم–، قال: " إن موسى حين أراد أن يسير ببني إسرائيل ضلّ عنه الطريق، فقال لبني إسرائيل: ما هذا؟ فقال له علماء بني إسرائيل: إن يوسف =

ثانياً: الروايات التي رجّحت دفنه في قرية بُلاطة من أعمال نابلس، اعتمدت على ما جاء في التوراة[1].

ثالثاً: رغم تصنيف المقدسي لموضع القبر ضمن المواضع المختلف فيها، إلا أنه رجّح دفنه في الخليل، فقال:" سمعت أبا علي الحسن بن أبي بكر البنّاء يقول: كان قبر يوسف في دكة يقال إنها قبر بعض الأسباط، حتى جاء رجل من خراسان، وذكر أنه رأى في المنام: اذهب إلى بيت المقدس، وأعلمهم أن ذاك يوسف الصديق، قال: فأمر السلطان والدي الخروج وخرجت معه، قال: فلم يزل الفعلة يحفرون حتى انتهوا إلى خشب العجلة، وإذا بها قد نجزت، ولم أزل أرى عند عجائزنا من تلك النحاتة يستشفين بها من الرمد[2]" [3].

رابعاً: كان من نتائج دراسة البعثة الأثرية التي عملت من قبل عدة جامعات غربية، برئاسة أرست سيلين (Arest Selen) الألماني لفحص قبر يوسف – عليه السلام– في بُلاطة إبان حكومة الانتداب، وكانت تأمل أن تجد رفاته محنطة، لكن لم يتم العثور عليها أو

=حين حضره الموت، أخذ علينا موثقاً من الله ألا نخرج من مصر حتى ننقل عظامه معنا، فقال موسى: أيكم يدري أين قبره، فقالوا: ما يعلم أحد مكان قبره إلا عجوز لبني إسرائيل، فأرسل إليها موسى، فقال: دلينا على قبر يوسف، قالت: لا والله حتى تعطيني حكمي، قال: وما حكمك؟ قالت: أن أكون معك في الجنة؛ فكأنه كره ذلك فقيل له: أعطها حكمها، فأعطاها حكمها، فانطلقت بهم إلى بحيرة مستنقعة ماء، فقالت لهم: انضبوا عنها الماء ففعلوا، قالت: احفروا، فحفروا، فاستخرجوا عظام يوسف؛ فلما أن أقلوه من الأرض إذا الطريق مثل ضوء النهار "، 439/2.

1 – "وعظام يوسف التي أصعدها بنو إسرائيل من مصر دفنوها في شكيم، في قطعة الحقل التي اشتراها يعقوب من بني حمور أبي أشكيم، بمئة قسيطة، فصارت لبني يوسف ملكا " سفر يشوع، إصحاح 32/24.

2 – الرَّمدُ: وجع العين وانتفاخها، ابن منظور، **لسان العرب**، فصل الراء، مادة (رمد).

3 – **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، 49.

على أي آثار متعلقة بها، وما وجدوه كان يتعلق بآثار للكنعانيين والإسرائيليين، وأسوار لمدينة شكيم، وآثار للأشوريين والرومان[1].

وذكرت عدد من المصادر بدفن آدم- عليه السلام-[2]، ونوح وسام - عليهم السلام[3] ورأس العيص توأم يعقوب- عليه السلام-[4] في مغاره المكفيلا . ونظراً لأن بلد الخليل من الأرض المباركة بقوله تعالى : " ونجيناه ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين"[5]، وافتقار الموقع للبعثات الأثرية لا يمكن الطعن في أي من تلك الروايات.

كما ذكر عدد من المؤرخين رواية لشخص يدعى أبا بكر الإسكافي، يسرد فيها تجربته التي وقعت أحداثها ما بين عام (322-328هـ/933-939م) في بلد الخليل -عليه السلام- حيث رأى الأنبياء-عليهم السلام- وتدور أحداث القصة حين سعى أبو بكر الإسكافي جاهداً أن يهبط إلى مغارة الأنبياء ؛للوقوف على صحة ما أنفق من أموال على أوقاف الخليل – عليه السلام-، فتقرب بهدية إلى القيم، وهو الحارس على الموضع، وكان رجلاً رومياً، وطلب منه

---

1 - كامل العسلي، **تراث فلسطين في كتابات عبد الله مخلص**، 100- 102.

2 - عندما خرج جبريل وميكائيل -عليهما السلام- يريدان قوم لوط-عليه السلام-، فخرج إبراهيم عليهم ليذبح لهم عجلاً فانفلت العجل منه ولم يزل حتى دخل مغارة حبرون فنودي يا إبراهيم سلم على عظام إبيك آدم، مجير الدين العليمي، **الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل**، 1/ 59؛ الهروي، **الإشارات إلى معرفة الزيارات**، 35؛ فيتلوس، **وصف الأرض المقدسة**، 37.

3 - الهروي، **الإشارات إلى معرفة الزيارات**، 35.

4 - عندما دفنت ليقا زوجة يعقوب، اجتمع أولاد يعقوب والعيص وأخوته وقالوا ندع باب المغارة مفتوحاً وكل من مات منا دفناه فيها، فتشاجروا فرفع واحد من أخوة العيص يده فلطم العيص فسقط رأسه في المغارة، وقيل كان الضارب واحد من أولاد يعقوب، فحملوا الجسد ودفنوه بالقرب من المغاره في قرية سعير بغير رأس، وبقي الرأس في المغاره، النويري، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، 2/ 322؛ أبو المعالي بن المرجى المقدسي، **فضائل بيت المقدس والخليل وفضائل الشام**، 334- 335؛ مجير الدين العليمي، **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل**، 1/ 43.

5 - الأنبياء، 71.

النزول إلى المغارة فوعده بذلك عند انقطاع الزوار حتى وقوع الثلج [1]، فقال :" فأقمت عِنْدهم حَتَّى وَقع الثَّلج وَانْقطع الطارق عَنْهُم فجاؤوا إِلَى صَخْرَة مَا بَين قبر إِبْرَاهِيم الْخَلِيل وقبر إِسْحَاق عَلَيْهِمَا السَّلَام وقلعوا البلاطة وَنزل رجل مِنْهُم يُقَال لَهُ صعلوك، وَكَانَ رجلاً صَالحاً فِيهِ خير ولين، فَنزلت أَنا مَعَه، فَمشى وَأَنا من وَرَائه، فنزلنا إثنتين وَسبعين دَرَجَة، فَإِذا عَن يَمِيني دكان عَظِيمَة من حجر أسود، وَإِذا عَلَيْهِ شيخ خَفِيف العارضين طَوِيل اللِّحْيَة ملقى على ظَهره، وَعَلِيهِ ثوب أَخْضَر، فَقَالَ لي صعلوك :هَذَا إِسْحَاق عَلَيْهِ السَّلَام، ثمَّ سرنا غير بعيد وَإِذا بدكَانَ أكبر من الأولى، وَعَلَيْهَا شيخ ملقى على ظَهره، وَله شيبَة قد أخذت مَا بَين مَنْكِبَيْه أَبيض الرَّأْس واللحية والحاجبين وأشفار العينين وَتَحْت شيبته ثوب أَخْضَر، قد جُلّل بدنه والرياح تلعب بشيبته يَمِينا وَشمَالاً، فَقَالَ لي صعلوك :هَذَا إِبْرَاهِيم الْخَلِيل، عَلَيْهِ أفضل الصَّلَاة واتم التَّسْلِيم، فَسَقَطت على وَجْهي، ودعوت الله عز وَجل بِمَا فتح عَليّ، ثمَّ سرنا وَإِذا بدكَانَ لَطِيفَة، وَعَلَيْهَا شيخ لطيف آدم شَدِيد الأدمة، كثّ اللِّحْيَة، وَتَحْت مَنْكِبَيْه ثوب أَخْضَر قد جلّله فَقَالَ لي صعلوك :هَذَا يَعْقُوب النَّبِي، ثمَّ إننا عدلنا يساراً لنَنْظُر إِلَى الْحرم "[2]، وكانت تكملة القصة عند صعلوك مرشد الرحلة فقال: "سمعنا من نحو الحرم صائحاً يصيح وهو يقول تجنبوا الحرم رحمكم الله. فوقعنا مغشياً علينا،ثم أفقنا وقد أيسنا من الحياة، وأيست الجماعة منا"[3] .

---

1 – الهروي، **الاشارات لمعرفة الزيارات**، 35؛ العليمي، **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل**، 45/1–46؛عبد الغني النابلسي، **الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية**، 612.

2 – العليمي، **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل**، 45/1.

3 – نفسه، 46/1.

ولهذه الرواية عدة نقاط تدفع القارىء لعدم الأخد بها وهي كالآتي:

1. راوي القصة وهو صاحب التجربة، لم يدلِ بدوافع مقنعة حين أقدم على الهبوط لمدفن الأنبياء –عليهم السلام– فيقول: " وذلك أنني وقفت على السَّدَنَة وعلى الموضع أوقافاً كَثِيرَة، تقرب من نَحْو أَرْبَعَة آلَاف دينار، رَجَاء ثَوَاب الله عزّ وَجلّ، وَطلبت أَن أعلم صِحَة ذَلِك حَتَّى ملكت قُلُوبهم بِمَا كنت عملت مَعَهم من الْجَمِيل والكرامة والملاطفة وَالْإِحْسَان إِلَيْهِم، وأطلب بذلك أَن أصل إلى مَا يَصح وحاك فِي صَدْرِي"[1] فأموال الخير التي تدفع لأوقاف الخليل –عليه السلام – هي إحياء لسنته في إكرام الضيف لوجه الله، وعدم صحة دفنه بهذا المكان، لا يبطل تلك السنة الحسنة، أما الطريقة التي استطاع من خلالها النزول إلى المغارة ووصفها الهروي "صادق القيم بالموضوع، وكان رجلاً رومياً تقرَّب إليه بهدية، وطلب النزول إلى المغارة "[2] فهي أحد المآخذ على صاحب الرواية لشك في مصداقيته كمرتشٍ .

2. تضمنت القصة أحداثاً أُسطورية يصعب على المنطق تقبلها، وهي كالآتي:

أولاً: رؤيتهم لأجساد الأنبياء –عليهم السلام–، فهل من المعقول أن أولادهم–عليهم السلام – الذين قاموا بدفنهم تركوا أجسادهم الشريفة ملقاة، كأنهم نيام دون دفن! .

ثانياً: لم يبين الراوي مصدر الهواء الذي كان يتلاعب في لحية ابو الانبياء إبراهيم –عليه السلام– الشريفه، والمغارة اسفل المسجد يهبط اليها من خلال اثنتين وسبعين درجة على حد وصفه !

1– العليمي، **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل**، 44/1.

2 – ابن الزيات، **الإشارات إلى معرفة الزيارات**، 35.

ثالثاً: لم يعط صعلوك الذي شارك ابا بكر الإسكافي التجربة توضيحاً لمصدر الصوت الذي صاح بهم ليتجنبا الحريم، فبقيت الرواية غامضة، رغم ان الراوي كان صاحب التجربة نفسها.

أما الأدلة العقلية حول حقيقة دفن الأنبياء داخل المغارة فهي كالآتي:

أولاً: رواية الحسن بن عبد الواحد بن رزق الرازي قال: قدم أبو زرعة القاضي إلى مسجد إبراهيم- عليه السلام- فجئت لأسلم عليه، وقد قعد عند قبر سارة صلاة فدخل شيخ فدعاه، وقال له: يا شيخ أيما هو قبر إبراهيم بين هؤلاء؟ مسح الشيخ بيده إلى قبر إبراهيم – عليه السلام- ثم مضى الشيخ، وجاء شاب فدعاه وسأله بمثل ما سأل الشيخ فأشار له كما أشار له الشيخ ومضى، ثم جاء صبي فدعاه وسأله بمثل ما سأل الشاب فأشار إلى قبر إبراهيم- عليه السلام- فقال أبو زرعه: أشهد أن هذا قبر الخليل عليه أفضل الصلاة والسلام لا شك فيه ولا خفاء نقله الخلف عن السلف [1] .

وروي عن أبي بكر بن أحمد بن جابر قال: وقد سأل عن قبر الخليل- عليه السلام- فقال: ما رأيت أحداً من الشيوخ الذين لحقتهم إلا ويصححون قبره وقبر أولاده وأزواجهم – صلوات الله عليهم أجمعين- يقولون ما يطعن في ذلك إلا رجل من أهل البدع، وقال أبو بكر هذا نقل الخلف عن السلف ليس عندي فيه شك، وذكر أبو بكر أن مالك بن أنس قال: إن النقل أصح من الحديث؛ لأن الحديث ربما وقع فيه الخطأ، والنقل لا يقع فيه الخطأ[2].

---

1 - مجير الدين العليمي، **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل**، 1/ 46؛ العبدري، **رحلة العبدري**، 459 ابو المعالي المقدسي، **فضائل بيت المقدس والخليل وفضائل الشام**، 346.

2 - ابن الجوزي، **تاريخ بيت المقدس**، 79؛ العبدري، **الرحلة**، 459.

وذكر ابن بطوطة في رحلته [1] أنه لقي المدرس الصالح برهان الدين الجعبري[2] أحد الصلحاء المرضيين، فسأله عن صحة كون القبور وأكد له على ذلك بقوله: " كل من لقيته من أهل العلم يصححون أن هذه القبور قبور إبراهيم وإسحاق ويعقوب على نبينا وعليهم السلام وقبور زوجاتهم، ولا يطعن في ذلك إلا أهل البدع، وهو نقل الخلف عن السلف لا يشك فيه".

فقبورهم – عليهم السلام– داخل المغارة بالمربعة تحقيقاً،أما تعينه منها فليس فيه خبر صحيح، فينبغي أن تراعى تلك المحلة، وأن تحترم وتجلّ أن يداس في أرجائها خشية أن يكون قبر الخليل أو أحد من أولاده الأنبياء– عليهم السلام– تحتها [3].

ثانياً: إن هذا المكان قديم منذ عهد سليمان– عليه السلام– لم يختلف فيه أحد من قديم الزمان ثم جاء الصحابة والتابعون، ولم يختلف أحد في مقام إبراهيم، ولم يُحك عن مكان غير هذا أن جنابه فيه[4]، فاجتمع أهل الملل المختلفة مع تفاوت أغراضهم، وشدة اختلافهم على مكان قبورهم، فهم كل يقول: هذا قبر الخليل وإسحاق ويعقوب– عليهم السلام– وأزواجهم، ما قال أحد أن قبر إسحاق قبر يعقوب، ولا أن قبر يعقوب قبر الخليل

---

1 – **تحفة النظار في غرائب الأنظار**، 75.

2 – برهان الدين الجعبري : ولد بقلعة جعبر في حوالي سنة(640 هـ /1242م) واشتغل ببغداد ودمشق قرأ بالسبع على أبي الحسن الوجوهي صاحب الفخر الموصلي، وبالعشر على المنتخب بن حسن التكريتي وروى القراءات بالاجازة، وتصدر للقراء دهراً وصنف التصانيف الرائعة في فنون العلم وهاجر إليه الطلبة من الآفاق وله شرح الشاطبية كامل في معناه، وآخر للرائية ونظم في السبع، تولى مشيخة الحرم ببلد الخليل –عليه السلام – فأقام بها بضعا وأربعين سنة، وصنف تصانيف تقارب المائة كلها محرره، الى أن توفاه الله سنة(732هـ/1331م)، ابن فضل الله العمري، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، 322/5–324؛ الصفدي، **الوافي بالوفيات**، 49/6؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي**، 131/1–132.

3 – ابن كثير، **قصص الأنبياء**، 119.

4 – الخليلي، **تاريخ القدس والخليل**، 133.

والإجماع أنهم في المغارة[1]، " ومن كان ذا قلب سليم، وعقل مستقيم، وإيمان مستديم إذا شاهد ذلك المكان أذعن وأعلم وانقاد، ولم يظهر منه خلاف ولا عناد، ولا سيما ما فيه من الرائحة الزكية، والأنوار البهية،والمشاعر الإسلامية والأخلاق الإبراهيمية"[2].

ثالثاً: ولأن أصح قبر من قبور الأنبياء على وجه الأرض، قبر رسول الله محمد– صلى الله عليه وسلم– لقرب موته، ولأن الصحابة تولت غسله وقبره، ونقلوا ذلك، وقبر الخليل لم يكن في عصرهم ولا شاهدوه، غير أنهم رأوا الآثار، وقرأوا في الكتب السالفة، فعرفوه بالصفة، كما عرفوا مسجد بيت المقدس، رغم ما كان عليه من مزبلة، فقد هداهم الله إليها، وكذلك قبر الخليل عرفوه بالصفه، فلم يخربه الروم بل جعلته كنيساً ومتعبداً لهم حتى جاء المسلمون فأخذوه منهم[3].

رابعاً: الدلالات القرآنية التي استنبطها شمس الدين الخليلي في قوله تعالى:" ونجيناه ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين"[4]، والأرض التي باركنا حولها هي أرض الشام كقوله تعالى :" الذي باركنا حوله"[5]، وقوله:" وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها"[6]، أي بين أهل سبأ (اليمن) و"بين القرى التي باركنا فيها" الشام، وقوله:" لسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها"[7]. فثبت بقول الله تعالى أن

---

1 – أبو المعالي المقدسي، **فضائل بيت المقدس والخليل وفضائل الشام**،346.

2 – الخليلي، **تاريخ القدس والخليل**، 174.

3 – أبو المعالي المقدسي، **فضائل بيت المقدس**، 346.

4 – الأنبياء، 71.

5 – الإسراء، 1.

6 – سبأ، 18.

7 – الأنبياء، 81.

إبراهيم دخل الأرض المباركة، ولم يدل دليل على خروجه منها، وليس بالأرض المباركة مكان يُعرف به إبراهيم غير هذا المكان [1].

ورغم ماعرف به مسجد إبراهيم الخليل – عليه السلام- بالحرم إلا أنه ليس بحرم فالحرم لغة: حرّمَ الله وحَرَمُ رسوله، والحرمان: مكه والمدينة، وأَحرَمَ: دخل فيه أو في حُرمة لا تهتك[2]، كما في قوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا "[3] وقصد به مكة والمدينة بعد الفتح، وقول النبي –عليه الصلاة والسلام –يوم فتح مكه :" إِنَّ هَذَا البَلَدَ حَرَّمَهُ اللَّهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَإِنَّهُ لَمْ يَحِلَّ القِتَالُ فِيهِ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَلَمْ يَحِلَّ لِي إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، لاَ يُعْضَدُ شَوْكُهُ، وَلاَ يُنَفَّرُ صَيْدُهُ، وَلاَ يَلْتَقِطُ لُقَطَتَهُ إِلَّا مَنْ عَرَّفَهَا، وَلاَ يُخْتَلَى خَلاَه "[4].

فإطلاق كلمة حرم على هذا المسجد لهو تعبير عن مكانته المقدسة والرفيعة لدى المسلمين عامة والعرب خاصة [5]، وليس المقصود بها حرمة الله في مكة والمدينة، فالحرمُ من الدار: ما أضيف إليها من حقوقها ومرافقها، ومنك: ما تحميه وتقاتل عنه[6]، فهي لا تتعارض لغوياً مع ما يتضمنه المسجد من مكانة، ويظهر أن أحفاد إبراهيم – عليه السلام- اتخذت مساكنهم بجوار المغارة التي دفن فيها، فأصبحت (حرماً) على مّر العصور[7].

---

1 - **تاريخ القدس والخليل**، 177- 178.

2 - **القاموس المحيط**، فصل الميم، باب الحاء، مادة (حَرَم).

3 - التوبة، 28.

4 - محمد بن إسماعيل البخاري، **صحيح البخاري**، 104/4.

5 غادة شريف، **أدوار السدنة في مدينة الخليل**، رسالة ماجستير، 51.

6 - الفيروز أبادي، **القاموس المحيط**، مادة (حَرَم).

7 - مصطفى الدباغ، **بلادنا فلسطين**، 5/ 415.

وخلال التاريخ الإسلامي كله، وإلى يومنا هذا حظيت مدينة الخليل بتقديس حكام المسلمين وعلمائهم وعامتهم، شأنها شأن بيت المقدس، ومكة، والمدينة، وهو ما أشار إليه مجير الدين الحنبلي في (الحرمين الشريفين) أكثر من مرة وقصد به (القدس والخليل) [1] فارتبط المسجد الأقصى والمسجد الإبراهيمي أدبياً ومعنوياً بالحرمين الشريفين في مكة والمدينة [2]، لكن لا تسري عليهما حرمة مكة والمدينة .

وقصدت الدراسة العصر المملوكي أي الفترة الزمنية التي حكم فيها المماليك مصر منذ انقضاء عهد الأيوبيين عام(648هـ /1250م)إلى أن فتحها الأتراك العثمانيون (923هـ/1517م)، وكانت بلاد الشام ضمن حكمهم. ويعد عصر سلاطين المماليك كسابقتها عصر الدولة الأيوبية دولة جهاد وكفاح لولا وقوفها ضد المغول المغيرين لانتهى الإسلام في بقاع الشام وشمال إفريقيا[3]، فهو عصر اتسم بطابعه الخاص؛ الذي يتصف بالأمن والاستقرار والثراء والازدهار جعلته عنصراً فعالاً في الحياة الإسلامية بجوانبها السياسية والحضارية، في مرحلة انتهى فيها دور العراق وبغداد بعد أن وقع المشرق تحت سيطرة المغول، وانكمش دور المسلمين سياسياً وحضارياً في الأندلس[4].

وترجع رعاية المماليك للمقدسات الإسلامية لظهورهم على المسرح السياسي في صورة من اغتصبوا الحكم من سادتهم بني أيوب، فألقى على كاهلهم مسؤوليات كبرى، أوجبت عليهم

---

1 – مجير الدين العليمي، **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل**، 61/1، 1/ 318، 2/ 43.

2 سعيد عاشور، **بعض أضواء جديدة على مدينة القدس في عصر سلاطين المماليك**، المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام وفلسطين93/1.

3 – مصطفى الدباغ، **بلادنا فلسطين**، 5/ 65.

4 – سعيد عاشور، **بعض أضواء جديدة على مدينة القدس في عصر سلاطين المماليك**، المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام، 80/1.

الظهور كحماة للإسلام، ففرض عليهم اتخاذ الجهاد أداة لإثبات جدارتهم بالحكم، وأن يضاعفوا من رعايتهم لمقدسات المسلمين، بحمايتها وعمرانها، ورفع شعائر الإسلام فيها[1].

فإعمار المساجد والأربطة، وإجراء الرواتب والمعونات على شيوخها وطلابها، ورصد الأوقاف عليها، كان جزءاً من أعمال البر لسلاطين المماليك، التي قصدوا بها وجه الله، أو كسباً للصيت والحمد، وكان من الطبيعي أن تشمل تلك الرعاية مشاهد الأنبياء، عليهم أفضل الصلاة والسلام، وإحدى مقدسات الإسلام الأربعة (مكة، والمدينة المنورة، والقدس، والخليل).

1 – سعيد عاشور، **بعض أضواء جديدة على مدينة القدس في عصر سلاطين المماليك**، المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام، 89/1.

الفصل الأول: فضائل المسجد وذكره في المصادر

أولاً: ارتباط أتباع الديانات السماوية بالمسجد:

1. اليهود
2. المسيحيون
3. المسلمون

ثانياً: ذكر المسجد في المصادر

1. المصادر التاريخية
2. المصادر البلدانية والرحالة
3. النصوص الشعرية

اليهود:

ارتبط اليهود بالمسجد الإبراهيمي أو مغارة المكفيلا (Makphila) كما ورد في التوراه بدفن إبراهيم[1] وإسحق[2]، ويعقوب[3]–عليهم السلام– وزوجاتهم سارة،ورفقة،وليئة، داخل المغارة في حبرون[4].

واليهود ينسبون أنفسهم إلى إبراهيم – عليه السلام– من ولديه إسحاق ويعقوب –عليهما السلام–، فورد في التوراة أن الله خاطب موسى عليه السلام:" وقال أنا إله أبيك إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب"[5]، وفي موضع آخر:" وقال الله أيضاً لموسى: كذا تقول لبني إسرائيل يهود إله آبائكم، وإله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب أرسلني إليكم، هذا اسمي إلى الإبد وهذا ذكري إلى دور فدور"[6].

وورد في التوراة وصفٌ لإبراهيم –عليه السلام– بالعبراني[7]، ويظهر أن ذلك بعيدٌ عن المنطق التاريخي واللغوي، فالعبرية لغة انبثقت عن اللهجة الكنعانية اليهوديه [8]، وإبراهيم –عليه السلام–كان يتكلم بلغة يفهمها جميع سكان بلاد ما بين النهرين وكنعان، ولم تكن العبرية قد انفصلت عن سائر اللغات السامية في تلك الفترة، ولا يقال عن إبراهيم إنه إسرائيلي؛ لأن يعقوب– عليه السلام– هو أول من سمي بإسرائيل، ويعقوب حفيد إبراهيم، كما

1– العهد القديم، سفر التكوين، 2/ 7– 10.

2– العهد القديم، سفر التكوين، 35/ 27– 29.

3– العهد القديم، سفر التكوين، 12/5.

4– "هناك دَفَنُوا إِبْرَاهِيمَ وَسَارَةَ امْرَأَتَهُ. هُنَاكَ دَفَنُوا إِسْحَاقَ وَرِفْقَةَ امْرَأَتَهُ، وَهُنَاكَ دَفَنْتُ لَيْئَةَ"، سفر التكوين31/49.

5– العهد القديم، سفر الخروج، 6/3.

6– العهد القديم، سفر الخروج، 15/3.

7– " فأتى من نجا وأخبر أبرام العبراني، وكان ساكناً عند بلوطات ممر"، العهد القديم، سفر التكوين 13/14.

8 – يونس عمرو، **خليل الرحمن العربية**، 13.

لا يقال عن إبراهيم إنه يهودي؛ لأن اليهودي ينسب إلى يهوذا رابع أبناء يعقوب، ثم أصبح اسمه علماً على الإقليم الذي أعطي له عند تقسيم الأرض بين أبناء يعقوب[1].

وقد ارتبط اليهود بهذا المكان في رحلة حجهم إلى الأراضي المقدسة، فكانوا يقومون بزيارة المقام من قبيل التبرك بالأنبياء الراقدين فيه فقط[2]، فاصبحت مدينة الخليل بوجود قبور الأنبياء –عليهم السلام – إحدى المدن الأربع المقدسة لدى اليهود[3].

فمن حيث الموقع فإن المغارة تقع في حقل المكفيلا (Makphila)على سطح ممرى، وممرى ليست هي ربع من أرباع المدينة المبنية فحسب؛ بل إنها اسم لشخص كان ذا مكانة كبيرة باعتباره كان يمتلك ربع ممرى[4].

وكما ورد في التوراه فإن التاريخ اليهودي في الخليل قد بدأ بحرب قام بها النبي إبراهيم– عليه السلام– ضد الملوك الأربعة [5]، لفك أسر ابن أخيه لوط، وكان النصر حليفهم[6]، كما يعتقد أتباع الديانة اليهودية أن داود– عليه السلام– حكم الخليل قديماً سبع سنوات ونصف[7].

والخليل أو حبرون هي الأرض التي وعد الله بها إبراهيم –عليه السلام– عندما كان في بلاد ما بين النهرين كما يعتقدون[8]، ففي سفر التكوين ورد أن الرب قال لأبرام:" اذهب من

1– عباس العقاد، **إبراهيم أبو الأنبياء**، 177.

2– علي السيد، **الخليل والحرم الإبراهيمي في عصر الحروب الصليبية**، رسالة دكتوراه، 262.

3– المدن الأربع المقدسة لدى اليهودي هي : القدس، والخليل، وطبريا، وصفد، وذكرت الخليل باسم حبرون العهد القديم: إصحاح، 2/ 1– 5.

4– عوديد أبيشار، **كتاب الخليل**، 6.

5 – كدار لعومر ملك عيلام، وتدعال ملك الأمم، وأمرافيل ملك شنعار، وأريوخ ملك الأسار، نفسه، 3.

6– سفر التكوين، الإصحاح 14/1–16؛ عوديد أبيشار، **كتاب الخليل**، 3.

7– العهد القديم، صموائيل الثاني، الإصحاح، 5/5.

8– دانيال الراهب، **رحلة دانيال الراهب**، 78.

أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك... واجتاز أبرام في الأرض إلى مكان شكيم إلى بلوطة مورة... وظهر الرب لأبرام وقال لنسلك أعطي هذه الأرض"[1].

وظهر هذا الوعد مراراً في عدة مواضع في التوراة[2]، إذ توسعت بها لتشمل أرض كنعان كلها، وكان ذلك قبل ميلاد إسماعيل وإسحاق- عليهما السلام- ثم خصص أتباع التوراة ذلك الوعد بالأرض من إبراهيم إلى إسحاق ونسله دون إسماعيل ونسله[3]، ويستمر ذلك الوعد من اسحاق الى يعقوب [4]، حتى يصل إلى يهوذا رابع أبناء يعقوب ونسله[5].

ويبدو أن ما عرضناه سالفاً فيه نظر للأسباب الآتية :

1. أن العلاقة بين الله وبين عباده تقوم على أساس التقوى والعمل الصالح، فمن عبد الله، ودان له بالطاعة كان من عباده الصالحين، ومن كان عكس ذلك فهو بعيد عن ربه، ولا فرق في ذلك بين عربي، أو أعجمي، أو أسود، أو أبيض، ولا شعب دون غيره من الشعوب[6].

1- العهد القديم، سفر التكوين، الإصحاح، 12/1-7.

2- العهد القديم، سفر التكوين، الإصحاح، 13/ 14- 18.

3- "وكان في الأرض جوع غير الجوع الأول الذي كان في أيام إبراهيم، فذهب إسحاق إلى أبي مالك ملك الفلسطينيين إلى جرار، وظهر له الرب وقال لا تنزل إلى مصر، اسكن في الأرض التي أقول لك، تغرب في هذه البلاد، وأبقى بالقسم الذي أقسمت لإبراهيم أبيك، وأكثر نسلك كنجوم السماء، وأعطي نسلك جميع هذه البلاد، وتتبارك في نسلك جميع أمم الأرض". العهد القديم، سفر التكوين، الإصحاح، 26/ 1-4.

4- وظهر الله ليعقوب أيضاً حين جاء من فدان أرام وباركه، وقال له الله: اسمك يعقوب، ولا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب، بل يكون اسمك إسرائيل، فدعا اسمه إسرائيل. وقال له الله: أنا الله القادر أثمر وأكثر أمة وجماعة أمم تكون منك، وملوك سيخرجون من صلبك، والأرض التي أعطيت إبراهيم وإسحاق لك أعطيها ولنسلك من بعدك أعطي الأرض ثم صعد الله عنه في المكان الذي منه تكلم معه" العهد القديم سفر التكوين، إصحاح، 35/ 9- 13.

5- فاطمة ردمان، **إبراهيم عليه السلام في أسفار اليهود**، رسالة ماجستير، 320.

6- محمود مزروعة، **دراسات في اليهود**، ص 198.

2. لو حصل مثل هذا الوعد لكان واجباً على الله تحقيقه،وإلا أخلف في وعده، جل سبحانه عن ذلك[1]، ويعلق محمد رحمت الله الهندي على ذلك قائلاً:" وهذا غلط أيضاً لأن جميع أرض كنعان لم تعط لإبراهيم قط، وكذا لم يعط لنسله ملكاً إلى الدهر، بل الانقلابات التي وقعت في هذه الأرض لم يقع مثلها في الأراضي الأخر"[2].

ويرجع شح المعلومات عن الطائفة اليهودية إبان الفترة المملوكية إلى قلة عددهم في فلسطين ككل، أو أن وجودهم لم يكن متواصلاً[3]، ويعود ذلك العدد الضئيل أنهم كانوا مضطهدين في فترتي الحكم الأيوبي والاحتلال الفرنجي (الصليبي) [4]، فعندما غزا الفرنجة (الصليبيون) بلاد الشام في أواخر رجب من أحداث سنة (492هـ/1098م) ووصلوا إلى القدس انهزم المسلمون وملكوا المدينة وقتلوا خلقاً كثيراً وجمع الفرنجة (الصليبيون) اليهود في الكنيسة وأحرقوها عليهم، وتسلموا محراب داود بالأمان[5]، وبهذا قضى الفرنجة (الصليبيون) على أي نشاط ديني لليهود فقلَّت أعدادهم حتى يمكن القول أن وجودهم انعدم[6].

المسيحيون:

يعتقد المسيحيون بمعتقدات اليهود نفسها حول مغارة المكفيلا (Makphila) أو المسجد الإبراهيمي فكلاهما يؤمن بما جاء في العهد القديم في هذا الصدد، وكل ما تقدم من النصوص الدينية في العهد القديم يضمها كتاب مقدس واحد مع الأناجيل النصرانية، وبذلك يعتقدون أن

1- فاطمة ردمان، **إبراهيم عليه السلام في أسفار اليهود**، رسالة ماجستير، 320.

2- **إظهار الحق**، 2/ 268.

3- خليل عثامنة، **فلسطين في العهدين الأيوبي والمملوكي**، 235.

4- نسيم أبو شلوف، **الأوضاع الاجتماعية في العصر المملوكي**، رسالة ماجستير، 48.

5- ابن القلانسي، **تاريخ دمشق**، 1/ 222؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، 150/5.

6- علي السيد، **الخليل والحرم الإبراهيمي**، رسالة دكتوراه، 244.

المسيح- عليهما السلام- هو متمم للتوراة وسيرة الأنبياء فيها[1]، وهو أمر كان له أثره في دخول التقاليد اليهودية إلى النصرانية كأساس للإيمان المسيحي، حتى أن العهد الجديد لم يتعرض بالشرح أو بالتعليق حول قصص الخلق أو الطوفان في العهد القديم باعتبارها مقررات مسلم بها[2].

وأهم معتقدات المسيحيين حول المغارة هي دفن الأنبياء- عليهم السلام- داخل المغارة حسب ما ورد في العهد القديم، والعهد الجديد[3].

ومن وجهة نظر معتنقي الديانة المسيحية يتضح مدى أهمية علاقة القربى بين عيسى وإبراهيم- عليهم السلام- كأساس للمسيحية، وبأن عيسى- عليه السلام- من أحفاد إبراهيم -عليه السلام-[4]، و في موضع آخر نجد أن شجرة نسب عيسى- عليه السلام- تصل إلى يعقوب وإسحاق وإبراهيم- عليهم السلام- ثم إلى آدم ومن خلال آدم يتم التعريف بعيسى أنه (ابن الله)[5].

والفرق بين المسيحيين واليهود في قصة إبراهيم- عليه السلام- أن المقصود في العهد الجديد بذرية إبراهيم من يسيرون على نهجه ويعملون بوصيته، فهي رسالة إنسانية وليست عصبية مقتصرة على قوم من الأقوام[6].

1- العهد الجديد، إنجيل متّى، 5: 17- 20.

2- خالد الحسن، **إبراهيم عليه السلام في الأديان الثلاثة**، رسالة ماجستير، 61- 62.

3- العهد الجديد، أعمال الرسل، 7: 15: 16.

4- العهد الجديد، إنجيل متّى، 1: 1-16.

5- العهد الجديد، إنجيل لوقا، 3: 22- 38.

6- جاء في العهد الجديد أن المسيح قال لليهود الذين آمنوا به:" لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم، إنجيل يوحنا: 8: 39، وفي موضع آخر " لأن الكتاب يقول كل من يؤمن به لا يخزى، ولا فرق بين اليهودي واليوناني، لأن رباً واحداً للجميع"،رسائل بولس إلى أهل رومية، 10: 11-12.

وكان لإسحاق- عليه السلام- مكانة خاصة لدى المسيحيين فهو صورة عن وجه المسيح- عليه السلام- عند أتباعه، فمن وجهة نظرهم هو الذي اقتيد إلى الذبح بيد أبيه [1] كذلك صعد عيسى إلى السماء ليحقق الدعوة التي حددها الأب له، وحمل إسحاق الحطب على كتفه كما حمل عيسى صليبه" [2].

وكما ارتبط المسيحيون بالمسجد الإبراهيمي أو المغارة عقائدياً ارتبطوا بها تاريخياً فتعلق المسيحييون في المقام بعد اعتراف الإمبراطور قسطنطين الكبير (constantine the great) (305- 337م) بالمسيحية ديناً رسمياً، بعد أن زارت أمه هيلانة المنطقة فجعلت من المقام ديراً وبداخله كنيسة بعد إدخال كثيرٍ من التعديلات الشكلية على المبنى من الداخل وكان ذلك إيذاناً ببدء الزيارة إلى المقام كمكان مقدس لديهم[3].

وفي فترة الغزو الفرنجي (الصليبي) للمدينة سنة (492هـ- 1098م) استهدف الفرنجة المسجد بمجرد غزو مدينة الخليل، كما هدموا المشاهد وقبر الخليل- عليه السلام-[4]، وكان من الطبيعي أن تستهدف تلك الهجمة الشرسة المسجد؛ لما كان عليه من عظمة في البناء وفخامة في الأثاث، كالمصابيح والسجاجيد والستائرالتي جلبت من كل صوب بأغلى

---

1 – ورد لدى المسلمين في القرآن الكريم أن إسماعيل – عليه السلام – هو من اقتيد إلى الذبح، وبشَّر الله إبراهيم بإسحاق بعد أن امتحنه بذبح ولده إسماعيل بقوله تعالى :" فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قالَ يا بُنَيَّ إِنِّي أَرى فِي الْمَنامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ ماذا تَرى قالَ يا أَبَتِ افْعَلْ ما تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ فَلَمَّا أَسْلَما وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ، وَنادَيْناهُ أَنْ يا إِبْراهِيمُ، قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيا إِنَّا كَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ، إِنَّ هذا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ، وَفَدَيْناهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ، وَتَرَكْنا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ، سَلامٌ عَلى إِبْراهِيمَ، كَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبادِنَا الْمُؤْمِنِينَ، وَبَشَّرْناهُ بِإِسْحاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ، وَبارَكْنا عَلَيْهِ وَعَلى إِسْحاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِما مُحْسِنٌ وَظالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ "،الصافات 102-113.

2- خالد الحسن، **إبراهيم عليه السلام في الأديان السماوية الثلاثة**، رسالة ماجستير، 62.

3- علي السيد، **الخليل والحرم الإبراهيمي في عصر الحروب الصليبية**، رسالة دكتوراه، 245.

4- ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، 150/5، ابن القلانسي، **تاريخ دمشق**، 222/1.

الأثمان[1]، وسرعان ما تنبهوا إلى أهمية الموقع فقاموا بتحويل المسجد الإبراهيمي إلى كنيسة أطلقوا عليها سانت أبراهام (Saint Abraham)(القديس إبراهيم) واتخذوا منها مركزاً دينياً لكل المناطق المجاورة[2]، وبهذا تم إضفاء الصيغة اللاتينية على المسجد بالقوة والقهر، ولم يتم تسجيل أية إضافات أو تحسينات بأيديهم[3].

لم يكتفِ الفرنجة بتحويل المسجد الإبراهيمي لكنيسة، بل أقدموا بمساندة من السلطات على عملية كان لها صداها في العالم، ألا وهي اكتشاف رفات الأنبياء أسفل المسجد، ففي زمن الملك بردويل سنة (513هـ /1119م) انخسف موضع في المغارة داخل المسجد فدخل جماعة من الفرنج إليها بإذن الملك فوجدوا فيها إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب –عليهم السلام – قد بليت أكفانهم وهم مستندون إلى الحائط وعلى رؤسهم مناديل ورؤسهم مكشوفة فجدد الملك أكفانهم ثم سَدَّ الموضع[4] .

ويبدو أن الحدث لم يكن وليد الصدفة كما تناوله المؤرخون الإسلاميون والمسيحيون بل كان استثماراً لإحداث ضجة إعلامية؛ الهدف منها إضفاء مزيد من القدسّية والأهمية على المدينة والأراضي المقدسة في فلسطين، ومحاولة منهم لتمييز عصرهم من الناحية الدينية والروحية [5].

يبين الحدث التباين الفارق في الأسلوبين الفكريين لكل من الفرنجة والمسلمين حيال قبور الأنبياء –عليهم السلام –، فلم يعمد الحكام المسلمون للهبوط الى مغارة الدفن حذراً وقدسيه بل

1- ناصر خسرو، **سفرنامة**، 23.

2- دانيال الراهب، **وصف الأرض المقدسة**، 80؛ بنيامين التطلي، **رحلة بنيامين التطلي**، 256.

3- علي السيد، **الخليل والحرم الإبراهيمي في عصر الحروب الصليبية**، رسالة دكتوراه، 91، 248.

4 - الهروي،**الإشارات إلى معرفة الزيارات**، 35 ؛ ابن القلانسي، **ذيل تاريخ دمشق**، 202؛ العمري، **مسالك الأبصار في ممالك الامصار**، 158/1؛ النويري، **نهاية الأرب في فنون الادب**، 263/23.

5 - علي السيد، **الخليل والحرم الإبراهيمي في عصر الحروب الصليبية**، رسالة دكتوراه،296.

من الثابت أنهم منعوا الأهالي وغيرهم في كثير من الأحيان من الدخول الى ساحة المشاهد العلوية بغرض الزيارة [1]، وإن صحت رواية الإسكافي التي تم عرضها سابقاً فتكون تجربة استثنائية وقعت في الخفاء وبدون علم السلطات .

أما وضع المسيحيين ومؤسساتهم الدينية في عصر سلاطين المماليك، فقد تأثر بتيار الحركة الصليبية والغزو المغولي، ومنعوا من زيارة الأماكن المقدسة، بعد أن أدرك المماليك أن الجاليات المسيحية في بيت المقدس وغيرها تتعاطف مع تيار الحركة الصليبية في الخارج، ومن الممكن أن يلعبوا داخل المدينة دوراً خطيراً ضد المسلمين ومصالحهم، وأدرك المماليك أنه بامكانهم استغلال الاماكن المقدسة المسيحية للضغط على القوى المسيحية المناوئة في الشرق والغرب [2].

فقد كان للنصارى تصرفات قبيحة أثناء الغزو المغولي على بلاد الشام سنة (658هـ/1259م)، فقد أحضروا فرماناً من هولاكو للاعتناء بأمرهم وإقامة دينهم فتظاهروا بالخمر في نهار رمضان ورشوه على ثياب المسلمين في الطرقات وصبوه على أبواب المساجد، وألزموا أرباب الحوانيت بالقيام إذا مروا بالصليب عليهم ويخطبون في الثناء على دينهم وقالوا جهراً، ظهر الدين الصحيح دين المسيح[3]، ورغم ذلك فقد تعرض النصارى على يدي المغول في مدينتي القدس والخليل للقتل وسبي النساء والصبيان في اواخر سنة (699هـ/1299م)[4]

---

1 – علي السيد، **الخليل والحرم الإبراهيمي في عصر الحروب الصليبية**، رسالة دكتوراه، 264.

2– سعيد عاشور، **بعض أضواء جديدة على مدينة القدس في عصر سلاطين المماليك**، المؤتمر الدولي الثالث لبلاد الشام، 118–119.

3– المقريزي، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 512/1؛ابن كثير، البداية والنهاية، 250/13.

4 – بيبرس المنصوري، **مختار الأخبار**،112.

وبهذا كان تدخلهم في الصراعات القائمة مع الدولة الإسلامي في الشرق والغرب، قد ألحق الضرر بهم ووضعهم بين المطرقة والسندان، وأهينوا من كل الأطراف المتنازعة رغم أن حماية أنفسهم كانت مصونة بسياسة التسامح والحرية الدينية التي تمتعوا بها في ظل الدولة الإسلامية [1].

ومن وجهة نظر أخرى، فإن سياسة الدوله المملوكية في التعرض للكنائس بالهدم أو الإغلاق ومنع الحج أو الزيارة إلى الاماكن المقدسة لدى المسيحيين، كان كاضطهاد رمزي لحرية العقيدة لم يشمل أي مضار جسدية أو اقتصادية، وكان يستخدم كإحدى الأوراق للضغط في مجال العلاقات الدولية بالدولة البيزنطية أو بالدول الأوروبية الأخرى، وأحياناً على صعيد العلاقة البابوية في روما[2].

المسلمون:

ارتبط السلمون بالمسجد الإبراهيمي من خلال مكانة الأنبياء المدفونين أسفل ذلك المسجد وما ورد من مكانتهم- عليهم السلام- في القرآن والسنة النبوية وهي كما يأتي:

1. اختص الله عز وجل -إبراهيم عليه الصلاة والسلام- من بين سائر الأنبياء والرسل حيث جعله أبا الأنبياء، وجميع الأنبياء من بعده هم من نسله حتى ختمت النبوة بمحمد- صلى الله عليه وسلم- [3]، قال تعالى : " ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلاً هدينا ونوحاً

---

1 - شوكت حجة، **العلاقات بين دولة المماليك الأولى ودولة إيلخانة فارس**،467.

2- خليل عثامنة، **فلسطين في العهدين الأيوبي والمملوكي**، 225- 226.

3- هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مُرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن آدد بن مُقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن، ابن هشام، **سيرة ابن هشام**، 1/1-2؛ وعن أم سلمة- رضي الله عنها- قالت سمعت رسول الله- ص- يقول:"معد بن عدنان بن آدد بن زيد بن بريء أعراق الثرى" قالت: ثم قرأ رسول=

هدينا من قبل ومن ذريته داوود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين، وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين، وإسماعيل واليسع ويونس ولوطاً وكلاً فضلنا على العالمين"[1].

فنبي أمة محمد هو ابن إبراهيم – عليه السلام– من ولده إسماعيل وهو دعوة من دعواته قال تعالى :" ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يلتو عليهم آياتك ويعلمهم الكتب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم"[2].

2. بناء إبراهيم– عليه السلام– مع ابنه إسماعيل للبيت الحرام قبلة للمسلمين وحجهم فقال تعالى:" وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم"[3].

3. إنّ الصلاة [4] والسلام على إبراهيم وآل إبراهيم– عليهم السلام– مقرونة بالصلاة والسلام على نبيهم محمد– عليه الصلاة والسلام– في التشهد الأخير من صلاة المسلم فعن أبي حميد الساعدي[5]، أنهم قالوا: يا رسول الله كيف نصلي عليك؟ قال: " قولوا اللهم

= الله– صلى الله عليه وسلم –" أهلك عاداً وثمود، وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيراً لا يعلمها إلا الله" قالت أم سلمة: وأعراق الثرى إسماعيل بن إبراهيم، وزند: ابن هميسع، وبريء: نبتٌ، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، **المستدرك على الصحيحين**، 547/2.

1- الأنعام، 84- 86.

2- البقرة، 128- 129.

3- البقرة، 127.

4- الصلاة هنا: الصلاة من الله تعالى الرحمة المقرونة بالتعظيم، وقيل معناه عظمة في الدنيا بإعلاء ذكره وإظهار دعوته وإبقاء شريعته، وفي الآخرة بتشفيعه في أمته وتضعيف أجره ومثوبته، البخاري، **صحيح البخاري**، 1/ 146.

5- أبو حميد الساعدي: اختلف في اسمه، فقيل: هو المنذر بن سعد بن المنذر، وقيل عبد الرحمن بن سعد بن المنذر، وقيل: عبد الرحمن بن عمرو بن مسعد بن المنذر، وقيل: عبد الرحمن بن سعد بن مالك، وقيل=

صل على محمد، وعلى أزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى أزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد"[1].

4. المسلمون هم أتباع لدين إبراهيم عليه السلام- قال تعالى:" ثم أوحينا إليك أن اتبع ملّة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين"[2]، فعقيدة التوحيد التي دعا إليها إبراهيم- عليه السلام- هي عقيدة الإسلام[3].

5. المسلمون هم أحقّ الناس بالارتباط والانتساب إلى إبراهيم في العقيدة والشريعة؛ لأنهم هم من بقي على الحنفية، وسلكوا سلوكه وأخلاقه[4]. قال تعالى :"يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون، ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون، ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلما وما كان من المشركين، إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين أمنوا والله ولي المؤمنين"[5].

ففي هذه الآيات أنكر الله تعالى على أهل الكتاب من اليهود والنصارى دعوة كل منهما كون الخليل -عليه السلام- على ملتهم، وبيّن قلة عقلهم لأن التوراة والإنجيل أنزلت من بعده

= عبد الرحمن بن عمرو بن مسعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن عمرو الخزرج بن ساعدة من أهل المدينة، توفي في آخر خلافة معاوية، روى عنه الصحابة والتابعون عروة بن الزبير، والعباس بن سهل بن سعد، ومحمد بن عمرو بن عطاء، وخارجه ابن زيد بن ثابت وجماعة من تابعي أهل المدينة، ابن قيم الجوزية، **جلاء الإفهام**، 8/3.

1- **صحيح البخاري**، 146/4، مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، 306/1.

2- النحل، 123.

3- شحادة الرجبي، **الجالية اليهودية في مدينة الخليل 1917- 1936م**، رسالة ماجستير، 10.

4- خالد الحسن، **إبراهيم عليه السلام في الأديان الثلاثة**، رسالة ماجستير، 126- 127.

5- آل عمران، 65- 68.

فكيف يكون إبراهيم – عليه السلام –على دينهم وقد شرع لهم ما شرع من بعده بمدد متفاوته؟ وبيّن أن أولى الناس بإبراهيم –عليه السلام – الذين اتبعوه، وهم الذين كانوا على ملته من أتباعه في زمانه، ومن يمسك بدينه من بعدهم[1]، قال تعالى:" أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هوداً أو نصارى قل أأنتم أعلم أم الله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون"[2].

6. أمة محمد المسلمة مدينةٌ لإبراهيم– عليه السلام–، بهذه التسمية الطيبة[3]، قال تعالى "وجاهدوا في الله حق جهاده، هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج، ملة أبيكم إبراهيم، هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير"[4].

7. ارتضى المسلمون خليل [5]الرحمن إسماً للمدينة منذ الفتح الإسلامي لها[6]، وهو الاسم الذي اختص الله –عزّ وجل– نبيه إبراهيم– عليه السلام– به، قال تعالى: واتخذ الله إبراهيم خليلاً"[7].

1- ابن كثير، **قصص الأنبياء**، 111.

2- البقرة، 140.

3- خالد الحسن، **إبراهيم عليه السلام في الأديان الثلاثة**، رسالة ماجستير، 68.

4- الحج، 78.

5- الخليل في اللغة: الذي أصفى المودة وأصحها، والجمع أخلاء وخلان وهو المحب الذي ليس في محبته خلل، ابن منظور، **لسان العرب**، باب اللام، فصل الخاء المعجمه.

6- مصطفى الدباغ، **بلادنا فلسطين**، 50/5.

7- النساء، 125.

8. كما زاد من أهمية المكان لدى المسلمين إقطاع الرسول- صلى الله عليه وسلم- هذه الأرض للصحابي الجليل تميم بن أوس الداري[1]، وإخوته[2]، قبل أن تفتح الشام[3] وكتب له ذلك في قطعة أديم من خف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- بخطه:

" بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما ذهب محمد رسول الله إذا أعطاه الله الأرض لهم بيت عنون وحبرون ومرطون وبيت إبراهيم فيهم أبدا، شهد بذلك عباس بن عبد المطلب، وجهم بن قيس، وشرحبيل بن حسنة"[4]، ولما هاجر النبي- صلى الله عليه وسلم- إلى المدينة سألوا أن يجدد لهم كتاباً آخر وجددها لهم [5]، ولما فتحها عمر بن الخطاب جعل ثُلثها لابن السبيل وثلثها لعمارتها، وثلثها لهم[6]، وبقيت قطعة الأديم بيد التميميين خدام مسجد الخليل عليه

1- تميم الداري بن خارجة اللخمي صاحب رسول الله- صلى الله عليه وسلم- روى له مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة، وكنيته أبو رقية حيث لم يولد له غيرها، وهو من بني عدي بن الدار بن هانئ كان نصرانياً وأسلم سنة تسع، وكان من حملة وفد الداريين بعد منصرف النبي- ص- من تبوك روى عنه النبي- ص- قصة الدجال والجسّاسة في خطبة خطبها، سكن المدينة ثم انتقل إلى الشام بعد مقتل عثمان وأقام بها إلى أن مات وقيل نزل بفلسطين وتوفي سنة 40هـ، الصفدي، **الوافي بالوفيات** 252/10.

2- وهم بنو الدار بن هانئ بن حبيب بن نمارة بن لخم الذين صاروا إلى رسول الله- صلى الله عليه وسلم- من الشام، وهم تميم بن أوس، ونعيم بن أوس، ويزيد بن قيس وعرفة بن مالك، سماه الرسول- صلى الله عليه وسلم- عبد الرحمن وأخوه مُران بن مالك، وفاكه بن نعمان وجبلة بن مالك، وأبو هند بن بر وأخوه الطيب بن بر، فسماه رسول الله- صلى الله عليه وسلم- عبد الله، ابن هشام، **السيرة النبوية**، 310/3.

3- المقريزي، **المواعظ والاعتبار**، 183/1.

4- ابن الجوزي، **تاريخ بيت المقدس**، 78-80؛ **الأنس الجليل**، 81/2.

5- العليمي، **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل**، 81/2- 82؛ ابن الجوزي، **تاريخ بيت المقدس**، 79 الصفدي، **الوافي بالوفيات**، 252/10.

6- ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، 68/11.

السلام، وكلما نازعهم أحد أتوا بها إلى السلطان بالديار المصرية ليقف عليها ويكف عنهم ما يظلمهم[1].

ويبدو أن من دوافع النبي- صلى الله عليه وسلم- إقطاع تميم الداري وإخوته ومن يأتي خلفهم أرض الخليل- عليه السلام- ؛ لإكرام الضيوف في بلده، وهذا لا يتأتى إلا بتحديد المسؤولية على قوم بعينهم حتى يتمكنوا من توفير الأموال اللازمة من دخل الإقطاع، ومن ناحية أخرى حتى يتمكنوا من خدمة المسجد الإبراهيمي وإدارة شؤونه[2].

9. نالت ذرية إبراهيم- عليه السلام- الثناء الحسن عند المسلمين، فعن ابن عمر وأبي هريرة- رضي الله عنهما- عن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال : " إن الكريم ابن الكريم، ابن الكريم، ابن الكريم، يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الله"[3].
10. إعتاد العديد من المسلمين ممن أدوا فريضة الحج أن يعملوا على تقديس حجهم بزيارة مدينة القدس، وزيارة أضرحة الأنبياء الممكن زيارتهم في المسجد الإبراهيمي الشريف وغيرها من مزارات الأنبياء والمرسلين الذين ورد ذكرهم في القرآن بعد عودتهم من زيارة قبر النبي محمد –صلى الله علية وسلم–[4].

1- القلقشندي، **صبح الأعشى**، 111/13، الحنبلي، **الأنس الجليل**، 82/2.
2- علي السيد، **الخليل والحرم الإبراهيمي في عهد الحروب الصليبية**، رسالة دكتوراه، 73.
3- **صحيح البخاري**، 184/4.
4- غادة شريف، **دور السدنة في مدينة الخليل**، رسالة ماجستير، 52.

وتجدر الإشارة إلى أن هناك أحاديث في فضائل المسجد مصدرها في أغلب الأحيان كعب الأحبار[1]، أو وهب بن منبه اليماني[2] معروفة بالإسرائيليات[3]، اعتمدت على التوراة يعود انتشارها في صدر الإسلام، ذلك لأن المسلمين لم يتحّرجوا من النقل عن أهل الكتاب إلا فيما يناقض القرآن الكريم، فإذا دخل أحد علماء اليهود في الإسلام ونفى من روايات دينه ما يخالف القرآن، استمع إليه المسلمون فيما ينقله واعتبروه من العلم الذي سبقهم إليه أهل الكتاب، وكذلك فعل كثير من المفسرين، وبالغوا في الطمأنينة إلى أولئك الرواة، الذين إن

1- كعب الأحبار: كعب بن مانع الحميري، يكنى أبا إسحاق، أدرك عهد النبي- صلى الله عليه وسلم، ولم يره، كان من علماء اليهود في اليمن، أسلم على يد أبي بكر وقيل على يد عمر وعاش في المدينة زمناً كان كثير الرواية والنقل عن الكتب الإسرائيلية، وكان الفاروق والإمام علي- رضي الله عنهما- ينهيانه عن الإفاضة في رواياته وأساطيره، وسخر الفاروق منه حين زعم له أن مقتله مكتوب في التوراة، ولم يثبت أحد من جلة الصحابة شيئاً من تلك الأساطير، وخرج كعب الأحبار إلى الشام بعد مقتل عمر فأقام في حمص ومات فيها، عباس العقاد، **إبراهيم أبو الأنبياء**، 77- 78؛ ابن الأثير، **أسد الغابة في تمييز الصحابة**، 460/4.

2- وهب بن منبه: هو من اليمن كان من أبناء الفرس الذين أرسلهم عدي إلى اليمن ثم أسلم وتوفي في عهد الدولة الأموية، ويظن أنه وضع كثيراً مما رواه، وقد طاب له ولأمثاله ككعب الأحبار، أن يتحدثوا بأساطيرهم التي ينفردون بدعواها، فأفرطوا فيها وجعلوا يطرفون السامعين بجديد كلما نفد قديمهم، عباس العقاد، **إبراهيم أبو الأنبياء**، 77- 78.

3- منها بخط كعب الأحبار عن ابن عباس -رضي الله عنه- قال، لما أراد الله تعالى أن يقبض روح خليله إبراهيم- عليه السلام- أوصى الله تعالى إلى الأرض إني أدفن فيك خليلي فاضطربت الدنيا اضطراباً شديداً وتشامخت جبالها وتواضع منها بقعة يقال لها حبرى فقال تعالى لها: يا حبرى أنت شوعي انت شعشوعي أنت قدسي، أنت قدس قدسي خزان علمي وعليك أنزل رحمتي وبركاتي وإليك أحشد خيار عبادي من ولد خليلي فطوبى فيه وفيك أيام الدهر، عليك تنزل بركاتي وإليك تهبط ملائكتي يستغفرون لمن زار خليلي وصفيي، فطوباك ثم طوباك لا رفعت رحمتي عنك، ولا زال نور ظلي ينزل عليك ورحمتي تنحدر عليك ولا خذلت من زار قبر خليلي ولا زالت بركاتي عليك أيام الدنيا مضاعفة، وقد ذكرها العبدري في **رحلة العبدري** 463- 464، وذكرت في مخطوط **فضايل الشام وفضايل مدنها وبيت المقدس** لمؤلف مجهول، 11، برهان الدين الدمشقي، **باعث النفوس إلى زيارة القدس المحروس**، 19. وعن وهب اليماني أنه قال :إذا كان آخر الزمان، حيل بين الناس وبين الحج فمن لم يحج، ولحق ذلك فعليه بقبر إبراهيم- عليه السلام- فإن زيارته تعدل حجة ذكره، العبدري، **رحلة العبدري**، 463.

سلموا من سوء النية لم يسلموا من الجهل وضعف السند، وقلة التثبت والتمحيص[1]، كما أن هناك أحاديث موضوعة[2] في فضائل المدن، وضعت لترغيب الناس في زيارتها، وخاصة عند استيلاء الصليبيين على بلاد الشام، فوضعت أحاديث في فضل القدس، والخليل، ودمشق وبيت لحم وغيرها من المدن لاستثارة الهمم على تحريرها وطرد الصليبيين منها[3]، فوجب على المسلم الانتقاء من تلك الأحاديث التي تتعلق في فضائل مسجد إبراهيم الخليل- عليه السلام-أو فضائل المدن .

وصلاة المسلم في المسجد المقام على قبور الأنبياء[4] وزيارة القبور الشريفة، والوقوف عند الإشارات التي عليها وصلاة الجماعة، أقره الخلفاء وملوك الإسلام فصار كالإجماع وبنى المسلمون به محراباً شريفاً ووُضِعَ إلى جانبه منبرٌ وقد مضى على ذلك أزمنة متطاولة والعلماء وأئمة الإسلام مطلعون على ذلك، وثبتوا له أحكام المساجد[5].

1- عباس العقاد، **إبراهيم أبو الأنبياء**، 78.

2- منها حديث أسند إلى أبي هريرة قال:" قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: لما أسري بي إلى بيت المقدس،، وقال: انزل فصلِّ ركعتين فإن هنا قبر أبيك إبراهيم، ثم مر بي على بيت لحم وقال: انزل فصلِّ ركعتين، فإن هنا ولد أخوك عيسى عليه السلام" ذكره الحنبلي، **الأنس الجليل**، 56/1، ابن بطوطة **تحفة النظار في غرائب الأمصار**، 77؛ العبدري، **رحلة العبدري**، 459؛ ابن الجوزي: **تاريخ بيت المقدس**، ومنها عن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: من لم يمكنه زيارتي فليزر قبر أبي إبراهيم الخليل عليه السلام، الحنبلي، **الأنس الجليل**، 56/1.

3- سعيد صافي، **مدينة الخليل في العصر المملوكي**، رسالة ماجستير، 26.

4- انفرد ابن تيمية في **الفتاوى الكبرى**، 1/ 176- 178، 2/56-57 بعدم جواز الصلاة فيه استناداً إلى حديث الرسول- صلى الله عليه وسلم- قال:" لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، في **صحيح البخاري**، 88/2، ورد عليه كثيرٌ من العلماء من ضمنهم شمس الدين الخليلي، لأن الاتخاذ هنا القصد، وجعلها قبلة لهم، لأن ذلك يوهم أنهم مقصودون بالعبادة وهو خلاف الصلاة في أماكنهم وقبورهم، **تاريخ القدس والخليل**، 226.

5- العليمي، **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل**، 59/1.

لم يكن لمقام الانبياء –عليهم السلام–او لمنطقة حبرون ذكرٌ في الفتوحات الإسلامية (638هـ– 1087م)، فيبدو أن خراباً كبيراً كان قد لحق بالمنطقة قبل قدوم الفتح الإسلامي يعود لغارة الفرس في سنة (614م) أيام الحكم الروماني للمنطقة،حيث أقيمت كنيسة على مقام الأنبياء– عليهم السلام– هدمها الفرس في غارتهم تلك [1]. ويظهر أن الاهتمام الإسلامي بالمقام كان سريعاً لمنزلته الدينية التي تضم رفات الأنبياء– عليهم السلام– به، فبدأ الاهتمام العمراني للمسجد مع بداية العصر الأموي، وهو ما سيتم توضيحه في الفصول الأتية.

ثانياً: ذكر المسجد في المصادر

المصادر التاريخية:

كان ذكر المسجد الإبراهيمي أو مقام إبراهيم الخليل– عليه السلام– في المصادر التاريخية يكاد يكون نادراً، فلم تستحوذ المدينة رغم قربها من مسرى الرسول– صلى الله عليه وسلم– ووجود قبور الأنبياء– عليهم السلام– بها على اهتمام المؤرخين إلا بعد استردادها من أيدي الفرنجة (الصليبيين)[2].

ففي المصادر التاريخية جاء ذكر المسجد ضمن الحديث عن مواضيع متفرقة ومتنوعة فقد أورد الطبري(ت310هـ/922م) ذكر المقام في كتابه (تاريخ الأمم والملوك) ضمن سرده قصص الأنبياء– عليهم السلام– ففي أثناء حديثه عن وفاة سارة زوجة إبراهيم– عليه السلام– قال: " لا يدفع أهل العلم من العرب والعجم أنها كانت بالشام. وقيل إنها ماتت بقرية الجبابرة من أرض كنعان في حبرون، فدفنت في مزرعة اشتراها إبراهيم"[3]، وأورد ذكره كذلك حين

1- مصطفى الدباغ، **بلادنا فلسطين**، 53/5.

2 - علي السيد، **الخليل والحرم الإبراهيمي في عصر الحروب الصليبية**، رسالة دكتوراه، 30.

3 - ابن جرير الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، 181/1.

تطرق لوفاة إبراهيم –عليه السلام– فقال: " دفن عند قبر سارة في مزرعة حبرون"[1]، ولم يذكر الطبري مكان دفن إسحاق –عليه السلام – مباشرة، بل كان ضمن قصتي وفاة يعقوب ويوسف– عليهما السلام– فقال :"وكان دخول يعقوب مصر في سبعين إنسانا من أهله . وتقدم إلى يوسف عند وفاته أن يحمل جسده حتى يدفنه بجنب أبيه إسحاق، ففعل يوسف ذلك به ومضى به حتى دفنه بالشام ثم انصرف إلى مصر، وأوصى يوسف أن يحمل جسده حتى يدفن إلى جنب آبائه، فحمل موسى تابوت جسده عند خروجه من مصر معه ". [2]

أما ابن الأثير(ت630هـ /1232م) ففي كتابه (الكامل في التاريخ) فقد كرّر كذلك ذكر المسجد ضمن سرده قصصَ الأنبياء– عليهم السلام–، لكنه لم يحدد كمن سبقه أنهم دفنوا في حبرون، بل ذكر أن كلاً من سارة، وإبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف–عليهم السلام– دفنوا في الشام[3] وأعاد ذكره في كتابه حين تناول حدث اكتشاف رفات الأنبياء –عليهم السلام – أسفل المسجد سنة (513هـ/ 1119م) من قبل الفرنجة (الصليبيين)،فقال : " وفيها ظهر قبر الخليل وقبر ولديه إسحاق ويعقوب عليهم السلام، بالقرب من البيت المقدس ورآهم كثير من الناس لم تبل أجسادهم"[4]. وما يتميز به ابن الأثير اعتماده في كتاباته على المصادر الإسلامية، والكتابات المدونة في البلاد المختلفة .

ولأبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت774هـ/1372م) كتابان في كليهما تم ذكر المسجد ضمن قصص الأنبياء–عليهم السلام– ففي كتابه البداية والنهاية، تناول الأحداث التاريخية منذ بدء الخليقة وحتى سنة 767هـ، ونقل حديثه في قصص الأنبياء عن

---

1 – ابن جرير الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، 184/1.

2 – نفسه، 213/1.

3 – ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، 110/1، 114/1، 137/1.

4 – نفسه، 674/8.

المؤرخ الطبري، في تاريخ الأمم والملوك وابن عساكر في تاريخ دمشق لم يزد عنهما شيئاً[1]، وكغيره من المؤرخين تناول حادثة اكتشاف رفاة الانبياء في عام (513هـ- 1119م) ونقل حديثه هذا عن المنتظم لابن الجوزي[2].وكتابه الثاني قصص الأنبياء هو مقطوع عن الجزء الأول من البداية والنهاية وسرد فيه الأحداث نفسها دون زيادة[3].

وزار عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي (ت 807هـ /1404م)المسجد لكنه لم يتطرق إلى أي وصف فيه، فبعد حديثه عن القدس وزيارته لها قال: "وقضيت من سنن الزيارة ونافلتها ما يجب وانصرفت إلى مدفن الخليل عليه السلام، ومررت في طريقي إليه ببيت لحم وهو بناء عظيم على موضع ميلاد المسيح..." [4]. وفي موضع آخر جاء ذكره أكثر من مرة في فصل (الخبر عن إبراهيم أبي الأنبياء-عليهم السلام- ونسبه إلى فالغ بن عابر وذكر أولاده صلوات الله عليهم وأحوالهم) بين فيه أن مدفن ابراهيم وأولاده -عليهم السلام- وزوجاتهم، في مغارة المكفيله التي اشتراها إبراهيم -عليه السلام- من عفرون الحثّي في حبرون[5].

وجاء ذكر المسجد في مقتطفات من كتب التراجم التاريخية كتاريخ دمشق لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر(ت 571هـ/1175م)، فذكره من خلال ترجمته لإبراهيم بن آزر- عليه السلام- وبه مدفنه، وحرص ابن عساكر في كتابه على أن يدعم رواياته بسلسلة من الأحاديث والأسانيد وتكرار للرواية الواحدة [6].

---

1 - ابن كثير، **البداية والنهاية**، 200/1.
2 - نفسه، 12/ 228.
3 - ابن كثير، **قصص الأنبياء**، 118-119.
4 - ابن خلدون، **تاريخ ابن خلدون**، 77/7.
5 - نفسه، 2/ 36، 2/ 39، 2/ 40- 41.
6 - ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، 256/6- 258.

ونصيب المسجد كان قليلاً كذلك في المصادر التاريخية المعاصرة للبحث كذيل تاريخ دمشق، لأبي يعلى التميمي المعروف بابن القلانسي(ت 555هـ/1160م) حيث ذكر المسجد في موضعين فقط الموضع الأول: في عام (492هـ- 1098م) وهي حادثة دخول الفرنجة للمدينة وهدمهم قبر الخليل- عليه السلام-[1]، والموضع الثاني حيث اشترك مع باقي المؤرخين في ذكر حادثة ظهور قبور الأنبياء من قبل الفرنجة في عام (315هـ- 1119م) دون أية اختلافات جوهرية عمن سبقوه[2].

وكانت الاستعانة في رصد إنجازات السلاطين المماليك المتعلقة بالمسجد من أوقاف وتعميرات أو إضافات عمرانية بيوسف بن تغري بردي (ت 874هـ/1469م) في كتابه (النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة)، حيث تناول تاريخ مصر منذ أقدم العصور حتى عام (872هـ/1467م)، وكذلك في محمد بن أحمد بن إياس(ت 930هـ/1523م) في كتاب (بدائع الزهور في وقائع الدهور) الذي تحدث فيه عن تاريخ مصر منذ بدء الخليقة حتى (928هـ- 1521م) وتقي الدين المقريزي في كتابه (السلوك لمعرفة دول الملوك)، مع اشتراكهم جميعاً في ذكر الحوادث دون اية اختلافات جوهرية.

وانفرد المؤرخ مجير الدين العليمي (ت926هـ/1519م) بوصف شامل للمسجد الإبراهيمي في كتابه (الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل)، ومما يدعم رؤيته لذلك أنه عاش حتى نهاية الدولة المملوكية وبداية الدولة العثمانية في القدس مجاوراً لبلد الخليل -عليه

1 - ابن القلانسي، **ذيل تاريخ دمشق**، 222/1.

2 - نفسه، 321/21.

السلام-، واعتبر كتابه هذا موسوعة لتاريخ مدينتي القدس والخليل[1]، فهو من أوسع المصنفات التي تناولت تاريخ المدينتين منذ بدء الخليقة وحتى سنة (900هـ- 1494م).

تناول مجير الدين العليمي في كتابه مآثر حكام المسلمين وولاتهم، وكل من له بمسجد الخليل-علية السلام- فعل خير وآثار حسنة[2]، ويزود القارىء بمعلومات مختلفة عن السكان، وعن سماط سيدنا الخليل- عليه السلام- فوصف المكان الذي يعمل فيه السماط وكيفية إدارة هذا المكان، وتحدث عن المؤسسات الدينية التابعة للمسجد من الزوايا الصوفية وغيرها[3].

وقدم معلومات عن حارات الخليل وصناعتها وزراعتها، وترجم لعدد كبير من العلماء والأعيان الذين سكنوا بها أو زاروها[4] وبذلك أعطى بعضً من الأبعادِ الحضارية التي تركها المسجد الإبراهيمي على المدينة وسكانها.

المصادر البلدانية والرحالة

استمد أدب الرحلات أهمية تاريخية كبيرة لدى المسلمين لما ألقته هذه الرحلات من أضواء كشفت عن خبايا الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعمرانية لمختلف المناطق التي قام الرحالة بزيارتها.

وكان للمسلمين غايات وأهداف من أدب الرحلات، وعلى رأسها الرغبة في دراسة أصقاع العالم تمهيداً لنشر الإسلام، وأداء فريضة الحج، والرغبة في التعرف إلى الطرق

---

1 -علي السيد، **الخليل والحرم الإبراهيمي في عصر الحروب الصليبية**، رسالة دكتوراه، 37.

2 ــ مجير الدين العليمي، الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل، 2/60-62.

3 - نفسه، 2/94.؛97/2؛270/2؛288/2.

4 - نفسه،2/101.

التجارية، وأحياناً كان بعض هذه الرحالات بقصد التجسس والاستطلاع، أو حباً في زيادة المعرفة[1].

ومن ضمن المناطق التي حرص الرحالة على زيارتها ووصفها المسجد الإبراهيمي وذلك أثناء زيارتهم لبيت المقدس، حيث استمدت المدينة أهميتها من قبور الأنبياء- عليهم السلام- الموجودة أسفل المسجد.

واختلف الرحالة في عرض المعلومات المقدمة عن المسجد ومنهجيتها وحجمها، فابن خرداذبة(ت280هـ/ 893م)[2] في كتابه (المسالك والممالك) كان مقلاً بقوله: "ومن بيت المقدس إلى مسجد إبراهيم- صلى الله عليه وسلم- وقبره ثلاثة عشر ميلاً مما يلي القبلة"[3].

أما الأصطخري (ت340هـ/ 951م) فقد أورد ذكره في كتابه (المسالك والممالك) وقال "وفي المسجد الذي يجمع فيه الجمعة قبور إبراهيم وإسحق ويعقوب عليهم السلام صفاً وقبور نسائهم صفاً بحذاء كل قبر من قبورهم قبر امرأة صاحبة" [4]، ونقل عنه ابن حوقل[5](367هـ/977م) في كتابه(صورة الأرض) دون إضافات أو تعليق[6].

---

1 - فيتلوس، **وصف الأرض المقدسة**، 7.

2 - ابن خرداذبة: أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن خرداذبة تولى البريد والخبر ونادم الخليفة المعتمد العباسي وله كتاب أدب السماع وجمهرة أنساب الفرس والنوافل والمسالك والممالك والطبيع وكتاب الشراب وكتاب الندماء والجلساء، ابن النديم، **الفهرست**، 1/ 183.

3 - ابن خرداذبة، **المسالك والممالك**، 78- 79.

4 - الأصطخري، **مسالك الممالك**، 44.

5 - ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن حوقل أو محمد بن علي النصيبي، تاجر ورحاله جغرافي بدأت رحلاته في البلدان الإسلامية منذ عام 331هـ، واستمرت حتى 359هـ، كان لرحلته أبعاد سياسية حيث كان مبلغاً دينياً وداعياً سياسياً للدولة الفاطمية، ابن حوقل، **صورة الأرض**، 1.

6 - نفسه، 173.

وامتاز الرحالة المقدسي[1] في كتابه أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم بكثرة ملاحظاته على المسجد وما حوله، فوصف البناء والقباب وما حول المسجد من استراحات للزوار والحجاج وذكر ضيافة الخليل أو السماط، وهو أول من ذكر الهبات الثمينة التي قدمها كثير من الأغنياء المسلمين إلى ضيافة الخليل[2].

وقدم ناصر خسرو في كتاب (سفرنامه) [3] عندما زار فلسطين عام (439هـ- 1047م) وصفاً دقيقاً لمبنى المسجد ومساحته، وقبور الأنبياء المتقابلة، وعرض جانباً من الإضافات خلال العصور الإسلامية السابقة لرحلته، مما ساهم في توضيح ما قام به المماليك من إضافات للمبنى، كما أفاض في وصف ما كان في المسجد من أثاث وتجهيزات[4].

أما الإدريسي (ت 566هـ/1170م) [5] ففي كتابه (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) فتحدث عن الموقع وقبور الأنبياء، ولم يزد عمن سبقه من الجغرافيين شيئاً[6].

---

1 - شمس الدين أبو عبد الله المقدسي (ت 366هـ/976م) ولع بالأسفار فطاف أكثر بلاد الإسلام وعرفته المصادر بأنه رحالة جغرافي امتاز بكثرة ملاحظاته وسعة نظره، العليمي، **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل**، 12/1.

2 - المقدسي، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، 172- 173.

3 - أبو معين الدين ناصر خسرو ولد في مرد بإقليم خرسان عام (394/ 1003م) كان من المتصرفين في أموال السلطان وديوانه، سافر إلى الحجاز لتأدية فريضة الحج، وقام برحلات طويلة في العالم الإسلامي وكان يعني بالاتصالات بالشعوب الأخرى التي يمر بها ويتفهم مظاهر الحضارة التي يشاهدها، ناصر خسرو، **سفرنامة**، 25-14.

4 - ناصر خسرو، **سفرنامة**، 23- 25.

5 - الإدريسي: أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسيني نشأ في صقيلية وكان أديباً ظريفاً شاعراً مغرى بعلم الجغرافيا، صاغ نتاج رحلته في كتابه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق الصفدي، **الوافي بالوفيات**، 138/1؛ عبد الهادي التازي، **القدس والخليل في الرحلات المغربية**، 11.

6 - الإدريسي، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، 363/1.

وزار الهروي (ت611هـ/1214م)[1] مدينة الخليل سنة (569هـ- 1173م) أي قبل أن يحررها صلاح الدين الأيوبي من الفرنجة (الصليبيين)، فتناول في كتابه (الإشارات لمعرفة الزيارات) حادثة اكتشاف قبور الأنبياء-عليهم السلام - سنة (513هـ- 1119م) داخل المغارة أسفل المسجد كغيره من الرحالة والمؤرخين، إلا أن الهروي بحث عند قدومه المدينة عن الفارس بيرن الذي دخل إلى المغارة مع أبيه وعمره ثلاث عشرة سنة لتجديد أكفانهم وتعمير ما انخسف من المغارة، حتى وجده وسمع منه عن مشاهدته، ولم يكتف بالفارس بيرن بل تتبع الفارس جفري بن جورج حيث كان ممن تقدم الملك إليه ليجدد أكفانهم، ويعمر ما انخسف من المغارة فسأل عنه فقيل مات منذ أيام[2]، وبذلك يقول:" إن صحّ ذلك رأيت من رأى إبراهيم واسحق ويعقوب عليهم السلام يقظة لا مناماً"[3].

وبينّ العبدري[4] ما استحدث من تغيير في المسجد حين رد المقام مسجداً بعد تحريره من الفرنجة، وعدد قبور الأنبياء فيه، ووصف البنية العمرانية للمسجد، وأفاض في الحديث

---

1 - الهروي: أبو الحسن علي بن أبي بكر بن علي الهروي، أصله من خراسان، ولد بالموصل، طاف البلاد وأكثر من الزيارات وكاد يطبق الأرض من الدوران، ولم يصل إلى موضع إلا كتب خطه في حائطه وله معرفة بعلم الكيمياء، له عدة مصنّفات، الإشارات لمعرفة الزيارات، الخطب المروية، التذكرة الهروية في الحيل الحربية، ومنازل الأرض ذات الطول والعرض، توفي في حلب، الصفدي، **وفيات الأعيان** 346/3- 347؛ الهروي، **الإشارات لمعرفة الزيارات**، 4.

2 - الهروي، **الإشارات لمعرفة الزيارات**، 35.

3 - نفسه، 36.

4 - العبدري :هو محمد بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن مسعود أبو عبد الله العبدري فقيه رحالة مالكي يقال له الحيحي نسبة إلى بلاد حسامة القبلية البربرية، كان قاضياً بمراكش، استقر في حاحة وتوفي بها ولا يعرف تاريخ وفاته لكن كانت رحلته في ذي القعدة لسنة (688هـ- 689هـ/ 1289-1290م)، الزركلي، **الأعلام**، 32/7.

لرواياتٍ لمن رأى رفات الأنبياء، وبالغ في حث الناس على الزياره حتى ذكر أنها تعادل الحج، مستنداً في ذلك على الروايات الإسرائيلية لكعب الأحبار ووهب بن منبه اليماني[1].

واقتبس ياقوت الحموي (617هـ/1220 م) [2] في كتابه (معجم البلدان) عمّا كتبه الهروي في حادثة اكتشاف قبور الأنبياء[3].

وتناول ابن شداد (ت684هـ/1285م) [4] في كتابه (الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة) حادثة اكتشاف قبور الأنبياء، نقلا عن ابن حوقل في كتابه (وصف الأرض) وعن ابن القلانسي في (ذيل تاريخ دمشق)، وعن الهروي في رحلته [5].

أما رحالة العرب والعجم ابن بطوطة (ت779هـ/1377م)[6]، فقد زار المسجد في عهد سلاطين المماليك، فوصف البناء من الخارج والداخل، وعدد قبور الأنبياء، والتقى فيها بالشيخ برهان الدين الجعبري[7].

---

1 - العبدري، **رحلة العبدري**، 457- 465.

2 - الحموي: ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله شهاب الدين مؤرخ من أئمة الجغرافية ومن أعلام اللغة والأدب أصله من الروم من تصانيفه معجم البلدان، معجم الشعراء، معجم الأدباء، والمشترك وضعاً المختلف صقعاً،والمبدأ والمآل، وكتاب الدول، ومجموع كلام أبي علي الفارسي، وعنوان كتاب الأغاني والمقتضب في النسب، وأخبار المتنبي، توفي في خوارزم، ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، 127/6- 129.

3 - ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، 378/2.

4 - ابن شداد: هو محمد بن علي بن إبراهيم بن شداد عز الدين أبو عبد الله الحلبي ولد في (613هـ/ 1216م) كان شاعراً فصيحاً ومؤرخاً وصنف تاريخاً لحلب وسيره للملك الظاهر حيث كانت له مكانة عند الظاهر بيبرس والملك منصور قلاوون حين استوطن في الديار المصرية، بعد أن أخذ التتار حلب، الصفدي، **الوافي بالوفيات**، 6/2 الزركلي، **الأعلام**، 282/6-283.

5 - ابن شداد، **الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة**، 239- 240.

6 - إبن بطوطة : محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي ابن بطوطة رحالة ومؤرخ ولد في طنجة سنة (703هـ/ 1303م) بالمغرب الأقصى، خرج منها سنة (725هـ/1324م) فطاف بلاد المغرب ومصر والشام والحجاز والعراق وفارس واليمن والبحرين وتركستان وما وراء النهر وبعض الهند والصين وبلاد التتر وأواسط افريقيا، واتصل بكثير من الملوك والأمراء واستعان بهباتهم على أسفاره وعاد إلى بلاده، وأملى أخبار رحلته التي استغرقت 27 سنة على محمد بن جزي في مدينة فاس سنة (756هـ/1355م) وسماها (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) ترجمت إلى لغات عديدة، الزركلي، **الأعلام**، 6/ 235- 237.

7 - ابن بطوطة، **تحفة النظار في غرائب الأمصار**، 75- 77.

وذكر شيخ الربوة الدمشقي(ت725هـ- 1324م)[1]، في كتابه (نخبة الدهر في عجاب البر والبحر) مقاسات المسجد من الطول والعرض، وكذلك بين مقاسات الأضرحة داخل المسجد[2].

كما عدد أبو الفداء(ت732هـ/1331م)[3] في كتابه (تقويم البلدان) قبور الأنبياء داخل المسجد فقط، ووصف المدينة نقلاً عن ابن حوقل[4].

وانفرد خالد البلوي(768هـ/ 1366م) [5] الذي نزل المدينة (737هـ/1336م) بوصف أدبي جميل للمسجد،فقال: " ثم دخلت المسجد الأعظم فرأيت من حسنه عجباً، ومن بنيانه ما شئت فضة وذهبا، لا تدرك مبانيه السامية، ولا تلحق آثارها العالية، له أبواب حافله من الحديد، وشباك منه بديع، وبنيان بالرخام والأحجار والعظام الهائله المنحوتة الضخام"[6]. وتميز البلوي عن غيرة باهتمامه بالمنقوشات التاريخية في المسجد، وهو ما أهمله من سبقه من

---

1 - شيخ الربوة: هو محمد بن أبي طالب الأنصاري الصوفي شمس الدين المعروف بشيخ حطين ثم بشيخ الربوة ولد سنة (654ه/ 1256م) في دمشق عاش في القرنين السابع والثامن الهجريين وعصر الظاهر بيبرس، كان مشهوداً له بحدة الذكاء وغزارة المعلومات، فله القدرة على الدخول في كل علم وجرأة على التصنيف في كل فن، توفي في صفد سنة، الصفدي، **الوافي بالوفيات**، 3/135- 136.

2 - شيخ الربوة، **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**، 39.

3 - أبو الفداء إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، الملك المؤيد، صاحب حماة، مؤرخ وجغرافي، قرأ التاريخ والأدب وأصول الدين، واطلع على كتب كثيرة في الفلسفة والطب ونظم الشعر وأجاد الموشحات، له المختصر في أخبار البشر ويعرف بتاريخ أبي الفداء، وتقويم البلدان وتاريخ الدولة الخوارزمية، ونوادر العلم، والكناش في النحو والصرف، والموازين وغير ذلك.ولد ونشأ في دمشق، ورحل إلى مصر فاتصل بالملك الناصر من دولة المماليك،فأحبه الناصر وأقامه سلطانا مستقلا في حماة، فقرب العلماء ورتب لبعضهم المرتبات، وحسنت سيرته، واستمر إلى أن توفي بها الزركلي، **الأعلام**، 1/319.

4 - أبو الفداء، **تقويم البلدان**، 340- 341.

5 - خالد بن عيسى بن إبراهيم بن أبي خالد البلوي من أهل قنطورية، قيد رحلته في سفر، وصف فيه البلاد ومن لقي بفصول جلب أكثرها من عماد الدين الأصفهاني، لسان الدين ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطه**، 1/286.

6 - أبو البقاء البلوي، **تاج المفرق في تحلية علماء المشرق**، 63- 65.

الرحالة، كما عدد مشاهد الأنبياء وزوجاتهم داخل المسجد، وتحدث عن ضيافة الخليل-عليه السلام -واهتم بلقاء الفضلاء من المدينة[1].

ويعتبر ما أورده صفي الدين البغدادي (ت739هـ/ 1338م) في كتابه مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع لا يتجاوز ما أورده ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان؛ لأنه يعتبر اختصاراً له [2]

وزار المسجد كذلك ابن شاهين الظاهري (ت 873هـ/ 1468م) [3]، وذكر المسجد والقبور والضيافة في رحلته (زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك) [4]، وكذلك الحميري(ت 900هـ/ 1494م)[5] في كتابه (الروض المعطار في خير الأقطار)، إذ جاء حديثه مختصراً جداً عن المسجد، فمن خلال حديثه عن دفن إبراهيم- عليه السلام- وزوجته سارة فيه، فيبدو لنا أنهما لم يأتيا بجديد، مما يدل على نقلهم عمن سبقهم [6].

أما الرحالة الأوروبيون فقد بدأت رحلاتهم إلى الأراضي المقدسة في وقت مبكر، مع أن الكنيسة لم تجعل الحج إليها فريضة على المسيحيين، لكن المسيحي الأوروبي كان يرى أنه لزاماً عليه أن يقوم بزيارة الأراضي المقدسة، وبهذا فإن هؤلاء الرحالة كانوا في الغالب

---

1 - أبو البقاء البلوي، **تاج المفرق في نحليه علماء المشرق** ، 63- 65.

2 - صفي الدين البغدادي، **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، 480/1.

3 - غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري، يعرف ابن شاهين أمير من المماليك، نسبته إلى الظاهر بيبرس اشتهر بمصر ولي نظر الإسكندرية، ونيابة الكرك، وأتابكية صفد ونيابة ملطية توفي في طرابلس، له عدة مصنفات منها زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، والإشارات إلى علم العبارات، والمواهب في اختلاف المذاهب، الزركلي، **الأعلام**، 317/2- 318.

4 - ابن شاهين الظاهري، **زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك**، 24.

5 - أبو عبد الله الحميري، ابن عبد المنعم عالم بالبلدان والسير والأخبار، أندلسي من أهل سبتة، أنجز تأليف رحلته في جدة سنة (866هـ/1461م)، الزركلي، **الأعلام**، 53/7.

6 - الحميري، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، 186.

ينظرون إلى الأماكن نظرة دينية منتزعة من الكتاب المقدس، وما يدور حوله من توضيحات وشروح[1].

ففي فترة الغزو الفرنجي (الصليبي) كانت تلك الرحلات عمل إعلامي لحث الناس على المشاركة في تلك الغزوات[2]، ويبدو أن غالبية تلك الرحلات كانت لرجال الدين، كما حرص الفرنجة(الصليبيون) عند سقوط الأراضي المقدسة في أيديهم على إحياء الإحتفالات في المواقع التاريخية، لجذب الآلاف من الحجاج في القدوم إلى الأراضي المقدسة، نظراً لما لذلك من مكاسب مالية يعود ريعها إلى خزانة مملكة بيت المقدس، ومن ضمن تلك الاحتفالات السنوية الاحتفال عند بلوطة ممرا في الخليل[3]، وكان من الطبيعي أن تتضمن تلك الزيارة، زيارة المسجد الإبراهيمي أو المغارة المزدوجة كما يطلقون عليها.

وغالبية الرحالة الذين دونوا رحلاتهم لم يكونوا مؤرخين ولا جغرافيين، فلم يهتموا بتدعيم رواياتهم بالأسانيد والبراهين الدالة على صدقها كالمصادر الموثوقة أو المشاهدات الشخصية أو التقارير الرسمية، أوالمصادر الجغرافية السابقه لرحلاتهم [4]، وبذلك فإن الاعتماد على مثل هذه الرحلات يؤخذ بحذر.

وكان من أشهر هؤلاء الرحالة الأوروبيين الذين قصدوا زيارة المغارة التي دفن فيها الأنبياء– عليهم السلام– دانيال الراهب[5] والجدير بالذكر أنه عندما قام بتدوين رحلته إلى

---

1 – نقولا زيادة، **فيلكس فابري في فلسطين، المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام**، 1992/2؛ فيتلوس **وصف الأرض المقدسة**، 8.

2 – ثيودوريش، **وصف الأماكن المقدسة في فلسطين**، 16.

3 – فيتلوس، **وصف الأرض المقدسة في فلسطين**، 13.

4 – فيتلوس، **وصف الأرض المقدسة في فلسطين**، 10–11.

5 – راهب دير وعضو في الكنيسة الروسية اليونانية، كانت رحلته إلى الأراضي المقدسة في فلسطين ما بين (500–501هـ/ 1106–1107م) وكانت رحلته لبواعث دينية بحتة، دانيال الراهب، **وصف الأرض المقدسة**، 18– 30.

الخليل لم يكن الفرنجة (الصليبيون) قد شيدوا كنيستهم على مسجد إبراهيم الخليل-عليه السلام- بعد[1].

شرح دانيال مكانة المقام من وجهة نظره الدينية وذكر قصة شراء إبراهيم- عليه السلام- للمغارة كما وردت في التوراة، كما عدد قبور الأنبياء داخل المغارة، وأعطى وصفاً للسور والبناء الذي يستنبط من خلاله اهتمام المسلمين العرب به حيث وصفه " وتقع المغارة داخل السور، والمكان كلّه مرصّع بقطع الرخام الأبيض، وتحت هذا السطح المرصوف تقع المغارة المنحوتة، حيث يرقد إبراهيم وإسحق ويعقوب وجميع أبنائه وزوجاتهم[2].

أما فيتلوس الذي زار الأراضي المقدسة حوالي سنة (525هـ/ 1130م)، فقد كان إفرازاً صادقاً لعصره الذي سيطرت فيه النزعة الدينية على عقول الأوروبيين، فلم تخلُ رحلته من البعد الأسطوري والتفسيرات اللاعقلانية، والمصادر التي اعتمد عليها في رحلته كانت نادرة [3]، منها قوله: " واتخذت الخليل كمدينة كهنة ومقراً لإقامة قبيلة يهوذا... وفي هذه المنطقة خلق الله سبحانه وتعالى أبونا آدم عليه السلام، والموقع الذي خلق فيه آدم عليه السلام ظاهراً، ومقام عليه بناء نصفه صناعي والنصف الآخر طبيعي... وفي أسفل هذا الجبل عاش سيدنا إبراهيم عليه السلام فترة طويلة من الزمن، وهناك ما تزال شجرة البلوط قائمة، وهي التي أقام تحتها سيدنا إبراهيم عليه السلام وشاهد الملائكة الثلاثة، الذين يمثلون الثالوث المقدس... وعند شجرة البلوط يقام هناك سنوياً احتفالٌ بعيد الثالوث المقدس وسط فرحة

---

1 - دانيال الراهب، **وصف الأرض المقدسة** ، 55.

2 - نفسه، 79.

3 - فيتلوس، **وصف الأرض المقدسة**، 10- 11.

وسرور المسيحيين، ورغم جفافها –يقصد شجرة البلوط– إلا أن خاصيتها العلاجية ثابتة وفقاً للحقيقة القائلة إن الفارس إذا حمل معه قطعة منها؛ فإن حصانه لن يتعثر أبداً"[1].

وبالغ فيتلوس براويته الأسطورية عن المدينة بقوله: " وفي الخليل يوجد الحقل الذي خلق آدم من ترابه كما يقال، والذي تم نقله إلى الجنوب بفعل الرب، لتكون له السلطة في جنة عدن كما يصوره لنا التاريخ القديم، فإنه خرج من الجنة ونزل إلى الخليل... ولما كانت تربة الحقل ذات لون أحمر، فإن الاعتقاد السائد لدى أهالي الخليل بأن آدم ذو بشرة حمراء" [2].

أما المقام الذي دفن فيه الأنبياء فلم يصفه لنا في رحلته أو يبين وضعه السياسي في عصره، فقد تحدث عنه من منظوره الديني أثناء تفسيره لاسم المدينة حين قال: "وتدعى الخليل باسم أربع، والتي تعني أربعة بلغة المسلمين العرب...، ويقصد بالأربعة سيدنا آدم، والبطارقة الثلاثة إبراهيم وإسحق ويعقوب الذين دفنوا في المغارة المزدوجة في أرض عفرون الحثي مع زوجاتهم الأربع أمّنا حواء وسارة ورفقه وليا"[3].

ونقل ثيودريش[4] الرحالة الألماني عن فيتلوس ما يتعلق بالمغارة حيث ذكرها أثناء حديثه عن اسم المدينة[5].

---

1 – فيتلوس، **وصف الأرض المقدسة**، 36– 37.

2 – نفسه، 37– 38.

3 – نفسه، 37.

4 – من الشخصيات غير المعروفة، عمل أسقف في مدينة فورزبورغ الألمانية كانت رحلته إلى فلسطين ما بين الفترة الممتدة (558– 569هـ / 1162–1173م)، ثيودريش، **وصف الأرض المقدسة**، 11–13.

5 – نفسه، 115.

ووصف بنيامين التطيلي[1] المسجد أثناء رحلته وسماه (كنيسة القديس إبراهيم) وعدد قبور الأنبياء في المسجد، وبين وضع السائح اليهودي الذي كان يحجها للتبرك لقاء إتاوة يؤديها [2] ووصف المغارة من الداخل، وأدلى بمعلومات جديدة لا يعرف مدى صحتها " وفي هذا الغار عدد من القوارير مملوءة بعظام الموتى، فقد جرت عادة اليهود أن يأتوا بعظام موتاهم إلى هذا المقام"[3].

النصوص الشعرية

تردد كثير من رجال الدين والعلماء والمتصوفين في العصر المملوكي على زيارة المسجد الإبراهيمي ومزاولة نشاطهم العلمي والديني والروحي، وقد تناثرت أسماؤهم وسيرهم وتراجمهم في كتب الطبقات، وحوليات التاريخ المعاصر لتلك الحقبة، وبنشاطهم شهدت مدينة الخليل نهضة أدبية وعلمية برزت في عدد كبير من المؤلفات والرسائل والمصنفات .

وبذلك فقد كان للمسجد ذكر في الأدب والشعر، ومن ذلك ما أورده ابن حبيب [4]حين زار المدينة والمسجد سنة (738هـ / 1337م) في خدمة والدته،ويبدو أنه هاله ما راه من بركات هذا المكان فقال في ذلك :

---

1 - بنيامين التطيلي: عالم ورحالة يهودي إسباني كان تاجراً يجمع إلى إلمامه بالاقتصاد وفنون التجارة إلماماً كافياً بالتوراة والتلمود، كانت رحلته في حدود سنة (561هـ- 1165م)، بنيامين التطلي، **رحلة بنيامين التطلي**، 5- 7.

2 - نفسه، 257- 258.

3 - نفسه، 258.

4 - ابن حبيب: الحسن بن عمر بن الحسن بن حبيب، بدر الدين الحلبي مؤرخ، ولد في دمشق سنة (710هـ- 1310م) رحل إلى مصر والحجاز، وبلاد الشام واستقر في حلب، له نسيم الصبا، ودرة الأسلاك في دولة الأتراك وجهينة الإخبار في أسماء الخلفاء وملوك الأمصار وتذكرة النبيه في أيام المنصور، ونبيه والنجم الثاقب في السيرة النبوية والمقتضب في ذكر فضائل المصطفى وكشف المروط، توفي سنة (779هـ/ 1377م)، الزركلي، **الأعلام**، 2/ 208- 209.

لما رأيت صاحبي ملقى على باب الخليل المجتبى من الورى

قلت له ادخل وانبسط واشرب وكل هذا محلٌّ منعم سَنَّ القرى

ومن شعر المتصوفة في مدح المسجد ومن فيه ما قاله إبراهيم بن رفاعة[1] :

وليلة العيد ناداني مؤذنهم فقلت لبيك من داع يناديني

شددت مئزر إحرامي على عجل وسرت بين جماعات الملبين

مع فتية لو سروا في ظلمة لأضاءت ناديتهم وفؤادي غير محزون

وآخر الليل عرَّسنا بمنزلة تلوح منها روابي طور سنين

وطاف محبوبنا بالكأس في غسق على الندامى فيسقيهم ويسقيني

مدامة بكر راح ليس يشبهها خمر إذا مت في الحانات تحييني

تشعشع الكأس في الظلماء من يده فأشرق الغور والبحر الفلسطيني

ولا تلفَّعَ ساقينا بنا خطفت أبصارنا وبقينا كالمجانين

كأن ألحاظ من أهواه تمزجها وكلما غبت عن حبي تناجيني

وكلما رمت أدنو نحوها لحظت قلبي فيلمحها طرفي فيرميني

دبت كمثل دبيب الروح فى جسدي وفى مجاري عروقى والشرايين[2]

(البحر البسيط)

وفي قصيدة أخرى له تقول :

وطيفا زارني في جنح ليل فأنعشني وأحيا حين زارا

فرشت لنعله بصري وخدي كأني قد بسطت له إزارا

---

1 – هو برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن بهادر الشافعي الغزي الشهير بابن رفاعة، كان إماماً بارعاً مفناً في علوم كثيرة ولا سيما معرفة الأعشاب والرياضة وعلم التصوف، ولد سنة (724هـ/ 1323م) عمل خياطاً، أخذ القراءات عن الشيخ شمس الدين البكري والتصوف عن الشيخ عمر حفيد الشيخ عبد القادر، كانت رئاسته في علوم كثيرة وله حظ وافر عند ملوك مصر، توفي سنة (816هـ/ 1413م)، الذهبي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، 11/ 35؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي**، 1/ 166.

2 – عبد الغني النابلسي، **الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية**، 631–632.

أشار وقال متّ في الحب طوعاً فمِتُّ وعشتُ لما أن أشارا
وغاراً كم أغار على فؤادي فضوُّع نشرُه ندًّا وغارا
وسردابا وقنديلا تيدا ومن نيران أحشائي استنارا
يطوف بغارهم حرم الشريف وكم طاف الحب به ودارا
وفتيان أقاموا في مقام على قدم الوفا لمن استجارا
ويوفون النذور ويقبلوها ويحمون المحارم والديارا
وأنوار الخليل تلوح فيه اسحاق المفدا ثم سارا
ويعقوبٌ ويوسفُ في الحواشي وقيل العيص جاورهم جوارا
وبرق لاح من حبرون وَهناً كمثل النار يستعر استعارا
كأنّ زناده مقداح نار ففي وجه العدا يرمي شرارا
وسلّ على مشارقه سيوفا واضرمَ في المغارب منه نارا
رأى قلبي يطوف فجاء يسعى فأرمى في مشاعره جمارا
ولولا صاحب السرداب نادى توارى عنه في ظلي توارا [1]

(البحر الوافر)

وفي قصيدة ثالثة له يقول :

كم شممت النسيم من جانبيها وشهدت الخليل في المحراب
سادة حبهم ألم بقلبي من زمان الصبا وعهد التصابي
ليت عيني قبل الممات تراهم عند حبرون بين تلك الهضاب
وأرى النور حولها كخيام عاليات ممدودة الأطناب
ومناراتها تشير إلينا أن آل الخليلِ في السرداب
في محاريبهم جعلت سجودي حين نادى مؤذنٌ باقتراب
ولكم طفت بالمقام ودمعي سايح، سايح على الأعتاب
فتراني سبعين عاما مقيما من صبأي ملقىً على الأبواب

1 – عبد الغني النابلسي، **الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية**، 632–633.

صرت شيخا وما تغير حالي عن هواهم وهمتي كالشباب
وإذا ما أموت مت شهيدا وسطور الغرام رقمُ كتابي
كل من مات في هواهم غراما فله جنة بغير حساب [1]

(البحر الخفيف)

واستجار بقبورهم أبو الحسن البكري الصديقي[2]، فقال:

أَما هو بعد المصطفى أكمل وأرفعهم قدراً وأعلا وأعظم
أما هو شيخ الأنبياء وتاجهم أما هو طرز للسيادة مُعلَمُ
وهل فوقه إلا الحبيب وشأنه أعز وأسمى في الكمال وأكرم
على كلهم صلى وسلم ربنا فكلكم صلوا عليه وسلموا [3]

(البحر الطويل)

وأفاض المسجد شعراً من أفواه المؤرخين حين زارها ابن فضل الله العمري سنة (745هـ/ 1344م)

هذا خليل الله إبراهيم قد لاحت لنا أعلامه الشم الذرى
هذا الذي سنَّ القرى لضيوفه كرماً ولولاه لما سن القرى [4]

(البحر الكامل)

---

1 – عبد الغني النابلسي، **الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية**، 633–634.

2 – علاء الدين أبو الحسن علي بن جلال الدين محمد البكري الصديقي الشافعي الإمام المحدث، ولد في القاهرة سنة (899هـ/ 1493م)، أخذ العلم عن جماعة من مشايخ الإسلام والتصوف عن الشيخ رضى الدين الغزي وتبحر في علوم الشريعة من فقه وتفسير وحديث، وله كتاب في تفسير القرآن وهو تفسير البكري، وشرح العباب، وواهب المواهب في بيان المقامات والمراتب والدرة المكللة في فتح مكة المبجلة وغير ذلك، وله كرامات كثيرة، توفي بالقاهرة سنة (952هـ/ 1545م)، الذهبي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، 419/10– 421؛ الزركلي، **الأعلام**، 57/7؛ نجم الدين الغزي، **الكواكب السائرة بأعيان المائه العاشرة**، 61/3.

3 – عبد الغني النابلسي، **الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية**، 634–635.

4 – ابن فضل الله العمري، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، 1/ 159.

وقال في قصيدة أخرى:

هذا الذي مد السماط فما انطوى ذاك السماط تكرماً وسلِ الورى

هو ذا صاحب السماط ولكن صاحب الحوض نجله وذووه

ذو فناء يقري به كل ضيف لم يخيب تحت الدجى طارقوه

منعم سيد جواد كريم منذ مدوا سماطه ماطووه [1]

وزارها مرة ثانية فقال :

خليل إله العرش أول من قرى ضيوفاً وها قد جئته واستضفته

أتيتُ كريماً لا تزال رحابه مطبقة بالوفد حين نظرته

وعن ناره الضيفان في غسق الدجى وليس سواها بارقاً ثم شِمتُهُ

فتى الجودِ شيخُ الأنبياءِ جميعهم ووالدهم حقاً يقينا علمته [2]

(البحر الطويل)

وعندما زار المقرّي المسجد عام (1037هـ- 1627م) أنشد فيه قول ابن مطروح[3] :

خليل الله قد جئنا نرجو شفاعتك التي ليست ترد

وقل يا رب أضياف ووفد لهم بمحمد صلة وعهد

أتوا يستغفرونك من ذنوب عظام لا تعد ولا تحد

---

1 - ابن فضل الله العمري، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، 1/ 159.

2 - نفسه، 1/ 159.

3 - أبو الحسن يحيى بن عيسى بن إبراهيم بن الحسين بن علي بن حمزه بن إبراهيم بن الحسين بن مطروح الملقب جمال الدين من أهل صعيد مصر، نشأ هناك وأقام بقوص، تنقلت به الأحوال في الخدم والولايات، ثم اتصل بخدمة السلطان الملك الصالح أبي الفتح أيوب الملقب نجم الدين بن السلطان، الكامل بن السلطان الملك العادل بن أيوب فكان ابن مطروح المذكور في خدمته بنيابة دمشق، توفي سنة (649هـ/1251م)، ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، 24/7؛ ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، 258/6-259.

إذا وزنت بيذبل أو شهام، لرجحن ودونها رضوى واحد

ولكن لا يضيق العفو عنهم وكيف يضيق وهو لهم معد[1]

ومن شعر الرحالة عبد الغني النابلسي، في المسجد قوله:

منك نرجو نيل القبول ونخشى ... من دواعي الصدود والهجران

حرم آمن أتينا إليه ... من أتاه ينال كل الأماني

ودخلنا لجامع ورواق ... ظاهر النور باهر اللمعان

وبقبر الخليل فرط جلال ... وجمال وهيبة وتداني

وسنى يملأ الرحاب ويهدي ... من رآه لساحة الامتنان

قبة أشرقت بحبرون تحكي ... شمس أفق منيرة الأركان

فسقى الغار والذين حواهم ... ذلك الغار من قديم الزمان

سادة الجود والمكارم كانوا ... كشموس تضيء في البلدان

وبقبر الغيور إسحاق سيف ... مصلت في يد الإله يماني

كلما هزه التوسل أفرى ... في نفوس العدا بغير تواني

وهو سور البلاد طبق مقال ... في منام لقاصد البنسيان [2]

(البحر الخفيف)

---

1 – المقري، **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب**، 57/1.

2 – **الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية**،629.

الفصل الثاني : الدور الحضاري العمراني للمماليك في المسجد

أولاً: مبنى المسجد الإبراهيمي قبل العهد المملوكي

1. المغارة
2. السور
3. المصليات والأروقة

ثانياً: الدور المملوكي المعماري في المسجد

1. المئذنتان
2. مسجد الجاولية
3. مدرسة السلطان حسن أو القلعة
4. الرباط المنصوري
5. مصلى المالكية (اليوسفية)
6. دكة المؤذنين أو دكة المبلغ
7. قبة قلاوون
8. سقاية قلاوون
9. بركة السلطان

ثالثاً:ترميمات ونقوش القباب المملوكية

أولاً: مبنى المسجد الإبراهيمي قبل العهد المملوكي

المغارة :

هي المغارة التي يعتقد أن النبي إبراهيم – عليه السلام – اشتراها ليدفن فيها زوجته سارة ثم أصبحت مقبرة له ولأسرته، فدفن –عليه السلام– فيها وابناه اسحاق ويعقوب–عليهما السلام – وزوجاتهم [1]، والمغارة هي الجزء الأساسي الذي لأجله تم بناء السور والمسجد. وجميع مراقد الأنبياء –عليهم السلام – وزوجاتهم واقعة في هذا الغار السفلي، وما الأضرحة العليا إلا إشارات لها [2]،"ويقال إنها محاذية لها "[3].

والملاحظ أن مبنى المغارة لم تكن له تلك الصورة البدائية والعشوائية ككهف محفور داخل صخرة الجبل، ولكن كان قد تم تنظيمه بطريقة تغلب عليها الدقة حتى أنها اتخذت شكل المقبرة العظيمة، حيث تتميز المكفيلة عن باقي المغارات المنتشرة في المنطقة بأنها تمتد تحت كل مساحة المبنى العلوي [4].

وللمغارة ثلاثة مداخل أحدها مواجهة للقبلة بجوار الحضرة الخليلية [5]، عرف بفم الغار[6]، وسمك الصخرة تحت فتحة المدخل متر تقريباً، وتقدر مساحة الغرفة التي تحت

1- العهد القديم، سفر التكوين 2/7-10؛35/27-29؛5/12؛ سفر الخروج 3/6؛3/15؛ ابن كثير، **البداية والنهاية**، 1/201، 253؛الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، 1/184، 213؛العليمي، **الأنس الجليل**، 1/ 68.

2 – المجلس الإسلامي الأعلى، **دليل الحرم الإبراهيمي الشريف**، 5؛ نبيل الآغا، **مدائن فلسطين**، 84.

3 –ابن بطوطة، **تحفة النظار في غرائب الامصار**، 75.

4 –علي السيد، **الخليل والحرم الإبراهيمي في عصر الحروب الصليبية**، 262.

5 – المجلس الإسلامي الأعلى، **دليل الحرم الإبراهيمي**، 6؛نبيل الآغا، **مدائن فلسطين**، 84؛ المكتب المعماري الهندسي، لجنة إعمار الخليل، **تقرير عن إصلاح وإعمار الحرم الإبراهيمي**، 8.

6 – عبد الغني النابلسي، **الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية**، 120.

المدخل بثلاثة أمتار في ثلاثة أمتار[1]، وفي أعلى السقف توجد الفتحة التي تسرج فيها القناديل [2] كانت توقد ليل نهار[3].

أما المدخل الثاني، فهو على يمين القبلة في الجانب الشمالي من مصلى الإسحاقية[4] عرف ذلك المدخل بمغارة السرداب [5]، ومن الداخل بين فتحة المدخل ودرج المغارة مسافة بإرتفاع متر ونصف، ويعد درجه بخمس عشرة درجة [6] من الرخام محكمة العمل تفضي إلى مسلك ضيق هو ممر إنسان واحد يوصل إلى فسحة ليست بكبيرة مفروشة بالرخام، فيها صور القبور الثلاثة، ويقال إنها محاذية لها [7]، وقد نقل وصفها إلينا العبدري في رحلته حيث نزلها مراراً قاصداً بها الدعاء [8].

وفي داخل تلك المغارة باب لطيف ينتهي إلى المنبر،عاينه بعض الخدم في القرن التاسع الهجري /الخامس عشر الميلادي، لسبب أوجب ذلك وهو أن شخصاً معتوهاً سقط فيه فنزل إليه جماعة من الخّدام إلى المنبر تحت القبة بجوار بيت الخطابة [9]، أما المدخل الثالث

1- صلاح أبو أرميلة، **المسجد الإبراهيمي**، 92.

2 -ابن فضل الله العمري، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**،278/3؛غرس الدين الظاهري، **زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك**، 24.

3 -بنيامين التطيلي، **وصف الأرض المقدسة**، 256.

4- المكتب المعماري الهندسي، لجنة إعمار الخليل، **تقرير عن إصلاح وإعمار الحرم الإبراهيمي**،8 المجلس الإسلامي الأعلى، **دليل الحرم الإبراهيمي**، 6؛نبيل الآغا، **مدائن فلسطين**، 83.

5- العليمي، **الأنس الجليل**، 62/1.

6 -العليمي، **الأنس الجليل**، 62/1؛صلاح أبو أرميلة، **المسجد الإبراهيمي**، 92.

7- ابن بطوطة، **تحفة النظار في غرائب الأمصار**، 75؛العبدري، **رحلة العبدري**، 475.

8 -العبدري، **رحلة العبدري**، 458.

9- العليمي، **الأنس الجليل**، 62/1.

للمغارة، فهو بين القبرين الرمزيين لسيدنا إسحاق-عليه السلام- وزوجته السيدة رفقة[1] وجميع مداخل المغارة مسدودة باستثناء فم الغار الذي يوقد فيه القناديل .

السور"الحير"

وهو ما يطلق على الحوائط الخارجية الأربعة للمسجد، والأحجار التي يتكون منها هذا السور ضخمة جداً[2]، بناؤه متين ومحكم "يفنى الدهر ولا يفنى ...لم يذهب منه قلامة ظفر ولم يتصدع ولم يختل ولا تغير ظاهراً أو باطناً"[3]،على الرغم من عمره المديد الذي يزيد على ألفي عام، ورغم تعرض المدينة للعديد من الزلازل الشديدة لم يفقد المبنى رشاقته، ولا تبدو عليه علامات الثقل، ولم يتعرض إلى ضرر يقتضي ترميمه [4].

وما يجلب الدهشة أن كثيراً من هذه الأحجار قد بنيت بدون ملاط [5] وصفّت بنظام دقيق[6]، وأحجاره مجهولة المصدر، وإن كانت قريبة في لونها من أحجارالكعبة لكنها تختلف في الكبر والعظم عنها [7]، وتمتاز بشدة تهذيبها ودقائقها الناعمة ويحيط بالحجر الواحد منها إطار مسمسم عرض الواحد منها (10 سم) [8].

1- المكتب المعماري الهندسي، لجنة اعمار الخليل، **تقرير عن إصلاح وإعمار الحرم الابراهيمي**، 8؛المجلس الاسلامي الأعلى، **دليل الحرم الإبراهيمي الشريف**، 5 ؛نبيل الآغا، **مدائن فلسطين**، 83 .

2- العبدري، **رحلة العبدري**، 457؛ابن بطوطة، **تحفة النظار**، 75؛رشدي الأشهب، **المعالم الأثرية في فلسطين**، 18.

3- شمس الدين الخليلي، **تاريخ القدس والخليل**، 148.

4 -مجموعة من الباحثين، **الخليل القديمة**، 55.

5- الملاط : الطين الذي يجعل بين سافي البناء ويملط به الحائط، اي يخلط، ابن منظور، **لسان العرب**، باب الطاء، فصل الميم، مادة (ملط).

6 -نبيل الآغا، **مدائن فلسطين**، 83.

7- شمس الدين الخليلي، **تاريخ القدس والخليل**، 148.

8 -مجموعة من الباحثين، **الخليل القديمة**، 55.

لقد أثارت رتابة السور اختلاف أنظار الرحالة في تفسيرمادة البناء وطريقته المتقنة فسجل ناصر خسرو في رحلته بأنه قد بني من الحجر المصقول [1] ورأى ابن بطوطة والرحّالة الإيطالي دانيال الراهب بانه بني بالصخر المنحوت[2]، أما المقدسي فرأى بأنها حجارة منقوشة [3] بينما فسَّر شمس الدين الخليلي أن اللغز يكمن في كيفية بناء هذا السور حيث وضعوا حجرين واحداً من الداخل والآخر من الخارج، ثم وضعوا عليهما حجراً مخروطاً من الطرفين بحيث صارت الثلاثة كحجر واحد [4].

ولم يكن هناك اختلاف كبير في تقدير المؤرخين لمقاسات السور التي تراوحت في طوله ثمانين ذراعاً وعرضه أربعين وارتفاعه عشرين، وثخانة حوائطه ذراعين [5]، والتي لم تبتعد كثيراًعن مقاساتها الفعلية وهي ما تعادل تقريبا(59.28) متر في الطول، و(33.97) متر في العرض،وارتفاعه 16متراً،وسمك الجدران هو (2.68)متراً [6]، ويكمن الخلاف عند الرحالة على من قام ببناء هذا السور، فذهب الفريق الأول إلى أنه بفعل الجن أمر به سليمان –عليه السلام– [7]، وأرجع الفريق الثاني أن من قام به هو هيرودوس الروماني سنة 25 ق .م [8]

1- **سفرنامة**، 23.

2 – ابن بطوطة **تحفة النظار في غرائب الأمصار**، 75؛ دانيال الراهب، **وصف الأرض المقدسة**، 79.

3- **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، 172.

4 - **تاريخ القدس والخليل**، 148.

5- ناصر خسرو، **سفرنامة**، 23؛شمس الدين الخليلي، **تاريخ القدس والخليل**،148؛الدمشقي، **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**، 39.

6- المكتب المعماري الهندسي، لجنة إعمار الخليل، **تقرير عن إصلاح وإعمار الحرم الإبراهيمي الشريف** . 19

7- العبدري، **رحلة العبدري**، 457؛العليمي، **الأنس الجليل**، 56/55،2/1؛ ابن الجوزي، **تاريخ بيت المقدس**77.

8- محمد حسن شراب، **الخليل مدينة عربية فلسطينية**، 34.

ويبدو أن السور لم يبنه سليمان –عليه السلام –وإنما بناه هيرودوس الكبير الذي عينه الرومان حاكماً على فلسطين، وحكم ما بين (37–4 ق.م)، والمشهور عنه أنه قام بأعمال عمرانية واسعة [1] ويبدو ذلك في الأسباب الآتية :

أولاً : اعتمد الفريق الأول في وجهة نظره على الرواية الإسرائيلية عن كعب الأحبار " أن سليمان بن داود –عليهما السلام – لما فرغ من بناء بيت المقدس أوحى الله تعالى إليه أن ابني على قبر خليلي ليعرف به، فخرج سليمان فبنى في موضع الرامة فأوحى الله تعالى إليه ليس هو هذا ولكن انظر إلى النور المتدلي من السماء إلى الأرض فينظر فإذا النور على بقعة يقال لها حبرى فعلم أن ذلك المقصود فبنى عليه "[2].

ويبدو أن هذه المقارنة لا تستند إلى وقائع، فلم يدرك علماء الآثار إن كان مخطط حرم الرامة سيقتصر على حير،وبأية ارتفاعات سيكون، أم أنه سيتحول إلى مبنى مسقوف، حيث إن العمل لم يكتمل أبداً، ولو أن التشابه بالتقنيات وأشكال الحجارة وأحجامها والمواد لا يمكن إنكاره [3].

ثانياً: يبدو أن آراء الرحالة الذين أيدوا بناء سليمان –عليه السلام– للسور كانت متأثرة بالروايات الإسرائيلية، فليس من شأن الأنبياء أن ينشغلوا بالعمران الذي يثبت أمام الناس وأمام عوامل الهدم، وإن ثبت ذلك لثبت بناؤه للهيكل المزعوم لدى الاسرائيليات في مدينة القدس [4].

1- محمد حسن شراب، **الخليل مدينة عربية فلسطينية** ،34.

2 – ابن الجوزي، **تاريخ بيت المقدس**، 77.

3– مجموعة من الباحثين، **الخليل القديمة**، 55.

4– محمد حسن شراب، **الخليل مدينة عربية فلسطينية**، 34.

ثالثاً: اعتمدت الآراء التي تقول أن السور هو بأمرٍ من سليمان –عليه السلام– للجن، وذلك لعظم الأحجار المستخدمة وضخامتها[1]، فإن ذلك التعليل مستبعدٌ كذلك ؛ لأن الطراز المعماري الذي بني به الحيرلا يدع مجالاً للشك بأنه على الطراز المعروف بالهيروديانى، الذي يمتاز باستعمال الحجارة الضخمة التي قد تصل إلى عدة أمتار في الطول، وبارتفاع قد يزيد على متر[2]، وهو ما أكدت عليه البعثة الأثريه الفرنسية للمسجد عام(1342هـ/ 1923م)، فالنتوآت التي تُكسى بها حجارة الحيرالضخمة،هي أسلوب معماري تم استخدامه بواسطة أزاميل مسنّنة ببراعة، رسمت بها الحجارة حتى لا تفضح الحجارة المتعرضة لأضرار فادحة أثناء عملية النقل[3].وبهذا فهي حجارة من فعل البشر،فلا بد بإنهم استخداموا الحيل في رفعها، كما استخداموا الحيلة لإخفاءعيوب النقل.

أما الأجزاء العلوية من السور فقد تم بناؤها في عهد بني أمية على ارتفاع ثلاثة أمتار[4].

ودوّن ناصر خسرو في رحلته أن الدخول للمشهد كان مستحيلاً،وكان الناس يزورونه من الإيوان في الخارج،ولما جلس الخليفة الفاطمي المهدي على عرش مصر (358–369هـ/969–980م) أمر بفتح باب فيه وفرشه بالسجاجيد، وأدخل على عمارته اصلاحاً كثيراً،وباب المشهد وسط الحائط الشمالي على ارتفاع أربع أذرع فوق الأرض وعلى جانبيه

---

1 امين أبو بكر، **قضاء الخليل**، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، 78.

2مجموعة من الباحثين، **الخليل القديمة**، 651.

3L.H.VINCENT,E.J.H.MACKAY ,**Hebron le Haram El–Khalil**,48.

4 صلاح أبو أرميلة، **المسجد الإبراهيمي**، 55.

درجات من الحجر، فيصعد إليه من جانب، ويكون النزول من الجانب الثاني ووضع هناك باب صغير من الحديد [1].

إلا أن المبنى قد تحول إلى مسجد قبل الفترة الفاطمية، فلا بد أنه كان له باب وهو الموجود حالياً في الجدار الشرقي، وما ذكره ناصرخسرو بهذا الخصوص كان يتعلق بالباب الذي يربط مقام سيدنا يوسف –عليه السلام– بالمسجد، أو أن يكون خسروا قد نقل هذا عن آخرين [2].

المصليات والأروقة

حظي الحير وما يحتويه بقدسية قديمة جداً، حينما تم تحويله إلى بيت للصلاة في الفترة الإسلامية، ولكن لا يمكن الجزم تماماً متى بدأ استخدامه كمسجد، وما هو شكل البناء الأول له[3]، ففي أوروبا يستطيعون تحديد تاريخ عمارة الكنائس؛ بسبب تميز تلك العصور بطرز معمارية واضحة المعالم، ساد كل منها في وقت معين، حتى الطرز المحلية منها، ومثل هذا لا نجده في تاريخ العمارة الإسلامية [4]؛إضافة إلى ما تعرض له المسجد من التدمير في أثناء الغزو الفرنجي (الصليبي)كمغطى المسجد الذي يعتقد أنه كان يغطي المنتصف الجنوبي للحير وكما دمر الطابق الثاني للمسجد،عدا عن تخريب الزخارف وكسوة الجدران والمنبر والمحراب والسجاد والأواني التي كانت تغطي المكان[5]، وبذلك يظهر أن صورة المسجد بعد

1– ناصر خسرو، **سفرنامة**، 24.

2– مجموعة من الباحثين، **الخليل القديمة**، 66.

3– مجموعة من الباحثين، **الخليل القديمة**، 63.

4 –حسين مؤنس، **المساجد**، 103.

5 –مجموعة من الباحثين، **الخليل القديمة**، 69.

الغزو الصليبي بقيت غير واضحة ويعتريها الغموض وقلة المعلومات جراء التدمير الذي لحق به .

ويبدو أن نهاية الفترة الأموية قد تكون هي البداية لتحول الحير إلى مسجد، فيقدم المقدسي الذي ألف كتابه سنة (375هـ/985م)، أول وصف إسلامي معقول للمبنى، ذكر فيه أن الحير قد جعل مسجداً وبني حوله دور للزوار [1]، كما زاره الرحالة الفارسي ناصر خسرو سنة (439هـ/1047م) وبينّ أن الحير كان مسجداً[2]. وبذلك نستطيع أن نرسم صورة للمسجد قبل العهد المملوكي، فالمسجد بتقسيماته المجردة من الإضافات المملوكية كان يحتوي على أكثر من بيت للصلاة[3]، ويبدو أن الإسحاقية [4] كانت هي المصلى الرئيس فيه .

احتوى وسط مصلى الاسحاقية كما هو الآن، على المشهدين الرمزيين لقبرسيدنا إسحاق –عليه السلام– وزوجته رفقة، وبني هذان المشهدان من الحجر المصقول واللذان يعود بناؤهما إلى العهد الأموي [5] ويبلغ ارتفاع كل منهما قامة رجل، بيهما عشرأذرع، وكانت أرض المصلى وجدرانه مزينة بالسجاجيد القيمة والحصر المغربية التي تفوق الديباج حسناً[6].

---

1 -**أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، 172.

2–**سفرنامة**، 23.

3– بيت الصلاة :هو الجزء المسقوف من صحن المسجد ناحية القبلة، وقد وجد بيت الصلاة مع مسجد الرسول –عليه الصلاة والسلام–بصورة بسيطة وتطور مع الزمن حتى أصبح الجزء الرئيس من المسجد، فبداخله القبلة والمحراب والمنبر،وفوقه في كثيرٍ من الأحيان تقوم القباب وتوجد فيه المقصورة أو المقاصير، حسين مؤنس، **المساجد**، 76.

4– للمصلى شكلٌ مستطيل، وتبلغ مساحته 575 متراً مربعاً، المكتب المعماري الهندسي، لجنة إعمار الخليل **تقرير عن مساحة المصليات والمقامات في الحرم الإبراهيمي**، 1.

5 –العليمي، **الأنس الجليل**، 61/1.

6– ناصر خسرو، **سفرنامة**، 23.

وكان للإسحاقية قبل العهد المملوكي بابان ينتهيان إلى صحن المسجد باستثناء الباب الذي فتح في عهد المماليك وسيتم التطرق إليه،وهما باب من جهة الشرق عند باب السور السليماني يخلفه قبر السيدة سارة، والباب الثاني ينتهي إلى الحضرة الشريفة الخليلية[1].

أما الحضرة الخليلية فكانت تتوسط المسجد [2]،وكان الوصول إليها من باب الإسحاقية ورواق صحن المسجد، وبها قبتان مبنيتان على الأضرحة تعود لحضرة الخليل – عليه السلام– وزوجته سارة من بناء بني أمية [3] وما زالت تلك الحضرة تحتفظ بهيكليتها فيبلغ مساحة مقام الخليل –عليه السلام– 26متراً مربعاً، ومقام السيدة سارة 22متراً مربعاً والحضرة الإبراهيمية بينهما 32متراً مربعاً، أما الممر فأمام الحضرة 120متراً مربعاً [4].

والمشهد الأيمن داخل الحضرة يعود لقبر إبراهيم –عليه السلام– كان يكسوه ستر من حرير[5] وهو مشهد كبير، ومن داخله مشهد اخر لا يستطاع الطواف حوله، لكن له أربع نوافذ كان يراها الزائرون وهم يطوفون حول المشهد [6]، وكانت أرضيته وجدرانه قد كسيت ببسط من الديباج، ومشهد القبر من الحجر وارتفاعه ثلاث أذرع، وعلق بها كثير من القناديل

1– العليمي، **الأنس الجليل**، 61/1.

2 – ناصر خسرو، **سفرنامة**، 23.

3– العليمي، **الأنس الجليل**، 61/1.

4– المكتب المعماري الهندسي، لجنة إعمار الخليل، **تقرير عن مساحات المقامات والمصليات في الحرم الإبراهيمي**، 1.

5– غرس الدين الظاهري، **زبدة كشف الممالك**، 24.

6 – ناصر خسرو، **سفرنامة**، 23.

والمصابيح الفضية، والمشهد الثاني على مسار القبلة [1] هومشهد قبر زوجته سارة، وبين المشهدين ممر عليه باب، وهو كالدهليز، وبه كثير من القناديل والمسارج [2].

واشتمل المسجد الإبراهيمي كباقي المساجد على صحن[3] مكشوف مستطيل الشكل ضلعه الشرقي هو جدار الحصن السليماني [4] كان من عمل بني أمية [5]، وبه سلم يوصل إلى غرفة المكتبة [6]، حيث انشئت زمن صلاح الدين الأيوبي [7]، وكانت تتضمن عدداً من المخطوطات والكتب القيمة باللغة التركية والفارسية، في الفقه واللغة [8].

وفي آخر الصحن من داخل الحير من جهة الشمال مشهد قبر سيدنا يعقوب- عليه السلام- شكله مثمّن، له نافذتان إحداهما تطلّ على اليوسفية، والثانية تطل على صحن

1- القبلة : هي صدر المسجد، وهي جداره المتجه نحو مكة فإذا صلى الناس اتجاهها، كانت وجوههم ناظرة لبيت الله في ذلك البلد الحرام، وهي ظاهرة عبادة ينفرد بها الإسلام دون غيره من الأديان، ففرض على عمارة المساجد ان تكون بيوت الصلاة في المساجد كلها ناحية القبلة، حسين مؤنس، **المساجد**، 62.

2- ناصر خسرو، **سفرنامة**، 23.

3- الصحن :هو الجزء غير المسقوف، وفي أول الأمر كان الصحن يعتبر امتداداً لبيت الصلاة يستعمل في مناسبات الصلوات الجامعة، ولا يعتبر فيما عدا ذلك جزءاً من المصلى نفسه، وأخذ الفقهاء يحددون استعمال صحون المساجد، ويحرمون القيام بأي عمل لا يتصل بالصلاة فيه، حسين مؤنس، **المساجد** 61-62.

4- ناصر خسرو،**سفرنامة**، 24؛العليمي، **الأنس الجليل**، 61/1؛ المكتب المعماري الهندسي، لجنة إعمار الخليل، **تقرير عن إصلاح وإعمار الحرم الإبراهيمي**، 37.

5 -العليمي، **الأنس الجليل**، 61/1.

6 -المكتب المعماري الهندسي، لجنة إعمار الخليل، **تقرير عن إصلاح وإعمار الحرم الإبراهيمي الشريف** 37.

7- القدس، سجلات المحكمة الشرعية، 1/1/90، 6/32/2.

8 -وزارة الأوقاف والشؤوون الدينية، **دليل المسجد الإبراهيمي**، 4؛ محمود عطا الله، **فهرس مخطوطات مكتبة الحرم الابراهيمي**، 7.

المسجد[1]، يقابله مشهد قبر زوجته ليقة من جهة الشرق[2]، وقبتها مماثلة تماماً لقبة يعقوب إلا أن قاعدتها مسدّسة وليس لها شبابيك [3].

والساحة بين المشهدين مستطيلة الشكل ذات سقف معقود وليس لها شبابيك، ولها باب على الصحن المكشوف، وبابان للمشهدين، وبابان لغرفة السدنة [4] وتبلغ مساحة تلك الساحة 45متراً مربعاً [5] وكان فوق هذه الساحة طابقٌ ثانٍ؛ عبارة عن مضافات وحجر إقامة للمجاورين من الزّوار، وقد وقف عليها أوقاف كثيرة من القرى ومستغلات بيت المقدس [6].

كما كان يحتوي المسجد خارج أسوار الحير الأربعة من جهة الغرب، على ضريح يوسف –عليه السلام– [7]، ويتخذ شكلاً مستطيلاً [8]، تبلغ مساحته 38متراً مربعاً [9]، وفي عهد الخليفة العباسي المقتدر (282–320هـ/895–932م) بنيت القبة التي على مشهد القبر[10].

1– المكتب المعماري الهندسي، لجنة إعمار الخليل، **تقرير عن إصلاح وإعمار الحرم الإبراهيمي الشريف** 39.

2– العليمي، **الأنس الجليل**، 61/1.

3– المكتب المعماري الهندسي، لجنة إعمار الخليل، **تقرير عن إصلاح وإعمار الحرم الإبراهيمي**، 39.

4 –نفسه، 39.

5– المكتب المعماري الهندسي، لجنة إعمار الخليل، **تقرير عن مساحات المصليات والمقامات في الحرم الإبراهيمي**، 1.

6– ناصر خسرو، **سفرنامة**، 24.

7 –ناصر خسرو، **سفرنامة**، 24؛غرس الدين الظاهري، **زبدة كشف الممالك**، 24.

8 –المكتب المعماري الهندسي، لجنة إعمار الخليل، **تقرير عن إصلاح وإعمار الحرم الإبراهيمي**، 44.

9 –المكتب المعماري الهندسي، لجنة إعمار الخليل، **تقرير عن مساحات المصليات والمقامات في الحرم الإبراهيمي**، 1.

10– العليمي، **الأنس الجليل**، 69/1.

وخارج الأسوار بين قبر يوسف –عليه السلام– وقبر الخليل –عليه السلام– كانت هناك قرافة كبيرة يدفن بها الموتى من جهات عديدة [1].

ثانياً: الدور المملوكي المعماري في المسجد

المئذنتان

وهما أول ما يجلبان النظر من بناء المسجد من الخارج، فالمئذنتان (المنارتان) وكذلك الأجزاء العلوية من الحير مملوكية البناء [2] ومما يؤكد ذلك هو مقارنتهما بالمآذن المملوكية فقد سارتا على نهج مآذن الشام المملوكية من حيث البناء والطراز، على خطة البدن المربع وهيئة البرج التي قلما تصل إلى ارتفاعات عالية، وشرفة الآذان فيها فوق البدن وفوق ذلك ترتفع ظلة خشبية لتحمي المؤذن وتسمى الجوسق [3]. وهو ما ينطبق على مئذنتي المسجد حتى الدورة الأولى ذات القاعدة المربعة. أما ما يعلو هذه الدورة فقد جدد حديثاً بشكل لا يتفق مع طراز عصرها [4] رغم ذلك لم تختفِ ملامحها المملوكية بناءً على الوصف السابق للمآذن المملوكية.

أقيمت المئذنتان على الركنين الشمالي الغربي والركن الجنوبي الشرقي للمسجد[5] وينفرد بحث وزارة التخطيط والتعاون الدولي بأن تلكما المئذنتين هما من أصل أربع مآذن داخل

---

1 – ناصر خسرو، **سفرنامة**، 24.

2– وزارة التخطيط والتعاون الدولي، **معالم التراث الثقافي والحضاري المهددة في محافظات الضفة الغربية** 198.

3 –حسين مؤنس، **المساجد**، 117.

4 –المكتب المعماري الهندسي، لجنة إعمار الخليل، **تقرير عن إصلاح وإعمار الحرم الإبراهيمي الشريف** 198.

5 –العليمي، **الأنس الجليل**، 60/1،غرس الدين الظاهري، **زبدة كشف الممالك**، 24.

المسجد دون توضيح لذلك [1]، وتبقى مسأله عدد المآذن الحقيقية عالقه مع غياب الدراسات الأثرية للمسجد .

مسجد الجاولية :

يقع المسجد بظاهر السور السليماني من جهة الشرق، بشكلٍ معقود ومستطيل قطع في جبل وجوف وبني السقف والقبة عليه، وهو مرتفع على أثنتى عشرة سارية قائمة في وسطه[2]، وكان أبو سعيد سنجر الجاولي [3] هو من قام في ببنائه من ماله الخاص، حيث استغرق عامين، ابتداء من(718-720هـ/1318-1320م)[4].

وقد نقش ذلك على حائط المسجد:" أنشء في أيام مولانا السلطان الملك الناصر، ناصر الدنيا والدين، محمد خلد الله ملكه، ابن مولانا السلطان الشهير الملك المنصور قلاوون الناصري، من ماله رحمه الله، لم ينفق عليه شيء من مال الحرم، كُتب بتاريخ، ربيع الآخر

1- **معالم التراث الثقافي والحضاري المهدد في محافظات الضفة الغربية**، 198.

2- العليمي، **الأنس الجليل**، 62/1.

3- الأمير علم الدين سنجر بن عبد الله الجاولي :المعروف أبو سعيد الجاولي ولد سنة(653هـ/1255م)من أمراء الملك الناصر محمد بن قلاوون، أصله من الأكراد، رتب مسند الشافعي وشرحه في مجلدات، كان نائب الشوبك بغير أمره، ثم نقل منها وجعل أميراً أيام سلار وبيبرس الجاشنكير، عمل كاستادرية للملك محمد بن قلاوون، وكان يراعي مصالح الملك اللناصر ويتقرب إليه فلما قدم الملك الناصر من الكرك جهزه إلى غزة نائباً وإلى القدس وبلد الخليل ونابلس وقاقون واللد والرملة، وأقطعه إقطاعاً هائلاً، وكان غالب أرباب الوظائف ترعاه، حتى وقع بينه وبين الأمير سيف الدين تنكز نائب الشام، فأمسكه الملك الناصر وحبسه نحو ثماني سنين ثم أفرج عنه وولاه نيابة غزة، أشتهر بأعماله العمرانية المتقنة المحكمة فعمر ميداناً، وجامعاً، وحماماً، وبيمارستاناً ومدرسةً وخاناً في غزة وآخر في قاقون، عدا مسجده في بلد الخليل –عليه السلام–،والقصر والقناطر بغابة أرسوف، نقل في نهاية حياته إلى نيابة حماة، فأقام بها يسيراً وعزل وطلب إلى القلعة، وتوفي فيها سنة (745هـ/1344م)،ابن تغري بردي، **المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي**، 74/6-75؛الصفدي، **الوافي بالوفيات**، 292/15-293؛ابن حجر العسقلاني **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، 317/2-318.

4- العليمي، **الأنس الجليل**، 61/1؛المقريزي، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 490/2؛ ابن تغري بردي **النجوم الزاهرة**، 110/10؛ابن حجر العسقلاني،**الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة** 318/2 المقريزي **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 490/2،النويري، **نهاية الأرب**، 332/32.

سنة عشرين وسبعماية للهجرة النبوية"[1]، كما قام كذلك بنقشه على رقم لا يعرف موقعه الأصلي تم العثور عليه داخل المسجد في غرفة المزيتة[2]، كان قد نقش عليه :" على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً .أنشأ هذا المسجد ...الفقير إلى الله سبحانه، الراجي عفوه وغفرانه الشهيد الملك المنصور، سيف الدنيا والدين، ابي الفتح ...قامع المبتدعين، مُحيي العدل بالعدل في العالمين، حاجِّ الحرمين الشريفين ... ربيع الآخر، سنة ثماني عشرة وسبعماية،وفراغه سلخ ربيع الآخر، سنة عشرين وسبعماية، والجميع قطع في جبل من عند الشبابيك، إلى آخره، ونبار سقفه ..."[3].

ويتألف المسجد من مدخل رئيس عبارة عن سلم حجري من الجهة الشمالية الغربية طول هذا السلم حوالي عشرين متراً،وعرضه 2.75متراً[4] وعدد درجاته حوالي 30 درجة وهو ملاصق لبناء المسجد .

ويعد هذا السلم مملوكي، وذلك بناءً على تشابهه إلى حد بعيد بحجارة المباني المملوكية الموصوفة عامه وطريقة بنائها، فتزهو جوانبه بالحجارة الملونة البيضاء والحمراء، وكذلك العقد العاتق فوق الباب الرئيس يعلوه قوس من حجارة على شكل وسائد حجرية عددها 13 وسادة [5].

1- عبد الغني النابلسي، **الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية**، 605؛يونس عمرو،**رقوم المسجد الإبراهيمي** .454.

2- يونس عمرو، **رقوم المسجد الإبراهيمي**، 456.

3- نفسه، 463.

4 -مريم شاهين، **مساجد مدينة الخليل في العهد المملوكي**، رسالة ماجستير، 91.

5- نفسه، 92.

وبعد اجتياز المدخل هناك قاعة مربعة تقريبا ما بين المدخل والمسجد تبلغ مساحتها 50 متراً مربعاً [1]، ويظهر في سقف هذه القاعة الصغيرة فتحة مربعة مغلقة بعمق حوالي (40 سم)، ربما استخدمت للتهوية أو أنها مغلقة أصلاً[2]، ويشترك الجاولي مع المسجد الإبراهيمي بممرمسقوف يقود إلى كلا البناءين، ولا يمكن تمييز جدرانه حيث يشترك كلاهما بالجدار الشرقي للحير[3]، يبلغ طول الممر(30 متراً)وعرضه (4.75متراً)[4].

تبلغ مساحة المصلى (476متراً) مربعاً[5]، وفرشت أرض المسجد وحيطانه وسواريه بالرخام[6] التي امتازت بألوانها البيضاء والسوداء والحمراء بارتفاع(2.25متراً) [7]، وللمسجد محراب جميل نحت بالصخر،وكسي تجويفه بالرخام الملون [8] ويرتكز المحراب على عمودين مملوكيين وطاقية المحراب قوس يتخللها الزخرفة الميمية حيث أحرف الميم المتداخلة مع بعضها البعض بألوان مختلفة والمعروفه في البناء المملوكي [9].

ويقوم في هذا المصلى ثلاثة أروقة معقودة حسب طراز الأقواس المتضاربة على دعامات حجرية مربعة [10]، تتوسطه قبة دائرية تقوم على أشكال زخرفية تعرف

---

1 – المكتب المعماري الهندسي، لجنة إعمار الخليل، **تقريرعن مساحات المصليات والمقامات في الحرم الإبراهيمي**، 1.

2– مريم شاهين، **مساجد مدينة الخليل في العهد المملوكي**، رسالة ماجستير، 192.

3 –مجموعة من الباحثين، **الخليل القديمة**، 73.

4– المكتب المعماري الهندسي، لجنة إعمار الخليل، **تقرير عن مساحات المصليات والمقامات في الحرم الإبراهيمي**، 1؛ مريم شاهين، **مساجد مدينة الخليل في العهد المملوكي**،رسالة ماجستير،93.

5 – المكتب المعماري الهندسي، **تقرير عن مساحات المصليات والمقامات في الحرم الإبراهيمي**، 1.

6– العليمي، **الأنس الجليل**، 62/1.

7– مريم شاهين، **مساجد مدينة الخليل في العهدالمملوكي**، 93.

8– المكتب المعماري الهندسي، لجنة إعمار الخليل، **تقرير عن إصلاح وإعمار الحرم الإبراهيمي**، 43.

9– مريم شاهين، **مساجد مدينة الخليل في العهد المملوكي**، 95.

10- يونس عمرو، **رقوم المسجد الإبراهيمي**، 454.

بالمقرنصات[1] بداخلها اثنا عشر شباكا، وفي زاويا القبة زخرفة الصدف، ويغطي نوافذ رقبة القبة زجاج معشق بالجبس بألوان جميلة، يبدو أنها استخدمت للتهوية والإضاءة .

وشبابيك المسجد من جهة الغرب وكذلك الأبواب عملت من حديد [2]، وثبت أبو سعيد سنجر الجاولي ذلك في نقش متروك في المصلى بتاريخ مفقود : "عملت الأبواب والشبابيك في أيام مولانا السلطان الملك الناصر، ناصر الدنيا والدين، محمد خلّد الله ملكه، ابن مولانا السلطان الشهيد الملك المنصور قلاوون الصالحي، تغمده الله برحمته بنظر العبد الفقير إلى الله تعالى، سنجر بن عبد الله الناصري، من ماله رحمه الله، لم ينفق عليها شيئاً من مال الحرم كتب بتاريخ ..."[3].

وجددت عمارة مسجد الجاولي سنة (876هـ/1462م)في عهد السلطان الظاهر خشقدم[4]، بمباشرة الأشرف ناصر الدين محمد بن الهمام ناظر الحرمين الشريفين[5]. وثبت

1- المقرنصات:حليات معمارية توضع دائماً مدلاة في طبقات منتظمة، وتكون هذه الطبقات مصفوفة بالتبادل بعضها فوق بعض واستعمالها كزخرفة معمارية في كثير من الحالات، وعلى سبيل المثال تستعمل في التدرج والتمهيد بها من أركان المربع إلى المحيط الداخلي إلى القبة، كما تقوم الكوابيل خاصة أسفل حطات المآذن والشرفات، وأخذت فكرة المقرنصات في فن العمارة الإسلامية من التحجر الطبيعي المعلّق في الكهوف،محمد خلوصي، **عمارة المساجد**، 529.

2- العليمي، **الأنس الجليل**، 62/1.

3- يونس عمرو، **رقوم المسجد الإبراهيمي**، 473.

4- هو السلطان الملك أبو سعيد سيف الدين خشقدم بن عبد الله الناصل المؤيدي ولد سنة(795هـ/ 1393م) وهو السلطان الثامن والثلاثون من ملوك الترك وأولادهم في الديار المصرية، تسلطن سنة (865هـ/1469م)،لقب، وكني بأبي سعيد، كان مملوكا للخوجة ناصر الدين إليه نسبته،ثم اشتراه منه المؤيد شيخ بن عبد الله بمصر وأعتقه واستخدمه، عيّنه الأشرف إينال (أمير سلاح)ثم ولاّه المؤيد أحمد أتابكية العساكر، وهي أعلى الرتب في الدولة، وثار المماليك على المؤيد فخلعوه ونادوا بسلطنة خشقدم وكان داهية ومهيباً، كفواً للسلطنة، فصيحاً بالعربيه، قليل الأذى بالنسبة إلى من جاء بعده من ملوك الروم، هدأت البلاد في أيامه، واستمر حكمه إلى أن توفي بالقاهرة سنة (872هـ/1467م)،الزركلي **الأعلام**، 30/2،ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، 253/16-256.

5- العليمي، **الأنس الجليل**، 99/2.

ذلك على نقش أيضاً: "فاق سر للناظرين وبدا أحمده على رفع بيوت يذكر فيها اسمه أبداً وأشكره على نصب موائد سماط خليله سرمدا، أما بعد فقد جُدد هذا الجامع المبارك في أيام مولانا السلطان الملك الظاهر أبي سعيد خشقدم عز نصره، بنظر المقر العالي الناصري محمد بن الهمام الظاهري الشافعي، ناظر الحرمين الشريفين، بسط الله ظلاله في افتتاح من عام سبع وستين وثمانمايه، شغل محمد بن العز " [1].

القلعة (مدرسة السلطان حسن):

وهي حصن ملاصق للجهة الغربية للمسجد،بناها الفرنجة (الصليبيون)،حيث حرصوا أثناء غزوهم للبلاد على تأسيس قلعة رئيسة في كل منطقة يسيطرون عليها، وتم اختيارها في مدينة الخليل أعلى المنحدر غرب المسجد الإبراهيمي؛ حيث شكل المسجد دعامة قوية ترتكن القلعة إليها، فبنيت القلعة لحماية المنطقة وحماية مخازن الغلال والمحاصيل في المزارع المجاورة [2]، وظلت قلعة سانت أبراهام كما أسموها تقوم بدورها الدفاعي والهجومي على خير وجه حتى تسلمها صلاح الدين أثناء الفتح بالأمان [3].

ولعل ملاصقة أبنية القلعة للمسجد الإبراهيمي جعل كثيراً من الرحالة يخلطون بينهما ويصفون مبنى المسجد بشدة التحصين [4]، وينسب وقفها إلى الملك الناصر حسن [5] حيث جعلها مدرسة في العهد المملوكي [6].

1- يونس عمرو،**رقوم المسجد الإبراهيمي**، 527-528.

2 -علي السيد، **الخليل والحرم الإبراهيمي في عصر الحروب الصليبية**، 354-355.

3- عماد الأصفهاني، **الفتح القسي**، 114.

4- ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، 212/2،البلوي، **تاج المفرق**،64.

5- حسن الناصر بن محمد الناصربن قلاوون : أبو المحاسن ولد سنة (736هـ/1336م) من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام بويع صغيراً وكان اسمه (قماري) فلما ولي السلطنة تسمى (حسناً)،وقام بأمور الدولة الأمير يلبغا أروس نائب السلطنة، واستمر إلى سنة (752هـ/1351م) فثار عليه بعض أمراء الجند فخلعوه وسجنوه في دور الحرم، وولوا أخاه الصالح الثاني ثم خلعوه وأعادوا الناصر سنة (755هـ/1354م) فقبض على زمام الأمور بحزم، وخافه الناس، مات قتيلاً على يد مملوكه (يلبغا) سنة (767هـ/1361م)، الزركلي، **الأعلام**، 216/2.

6 - العليمي، **الأنس الجليل**، 78/2.

أما الوصف المعماري للمدرسة فهي مستطيلة الشكل سقفها معقود ومبيض، كذلك جدرانها عدا جدار الحصن السليماني، وكان لها ثلاثة شبابيك[1] تطل على الساحة [2] تبلغ مساحتها(11متراً مربعاً)[3]، ويوجد تحت هذه المدرسة ممر معقود ضيق يوصل إلى غرفة قبر سيدنا يوسف المعقود سقفها[4].

أما البناء من الخارج، فقد شيد من أحجار تم تقطيعها من كتل حجرية محدّبة الشكل ضمت عدداً من الغرف المتجاورة، كان قد تم تخصيصها لسكن الحامية الفرنجية، وارتكزت هذه الغرف على السور الغربي للقلعة، هذا وقد كان الفرنجة (الصليبيون) يزيدون من ارتفاع الأسوار الخاصة بالمسجد، متوِّجين لها بدرابزين مسنن وكوات رمي لإطلاق القذائف [5].

تحولت مدرسة السلطان حسن في العهد المملوكي إلى مساكن لبعض أهالي المنطقة في القرن التاسع الهجري /الخامس عشر الميلادي [6].

---

1 –للمدرسة حالياً شباكان حيث تمّ إنشاء سلم مستحدث من إحدى الشبابيك، المكتب المعماري الهندسي، لجنة إعمار الخليل، **تقرير عن إصلاح وإعمار الحرم الإبراهيمي**،42.

2– نفسه، 44.

3- المكتب المعماري الهندسي، لجنة إعمار الخليل، **تقرير عن مساحات المصليات والمقامات في الحرم الإبراهيمي** .1

4– المكتب المعماري الهندسي، لجنة إعمار الخليل، **تقرير عن إصلاح وإعمار الحرم الإبراهيمي**، 42.

5 –علي السيد، **الخليل والحرم الإبراهيمي الشريف في عصر الحروب الصليبية**، 355.

6– العليمي، **الأنس الجليل**، 78/2.ش

الرباط المنصوري:

يقع تجاه باب القلعة، ملاصقاً للمسجد من جهة الغرب، والمشهور باب الناظر،عمّره الملك المنصور قلاوون [1]، في سنة (679هـ/1280م)[2]، كما هو منصوص عليه في لوحة تذكارية موجوده حالياً في متحف بلدية الخليل مكتوب عليها :

" بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي عمّ فضله كل شيء وصلى الله على محمد وآله أمر بعمارة هذا الرباط المبارك ووقفه على الفقراء زوّار الخليل –عليه السلام– مولانا السلطان الملك المنصور أبو المعالي سيف الدنيا والدين قلاوون الصالحي أدام الله أيامه وتقبل منه سنة تسع وسبعين وستماية وصلى الله على سيدنا محمد وآله "[3].

ويتألف بناؤه من عشرات الغرف التي تحيط بساحة مكشوفة، وربما يكون هذا الرباط موجوداً قبل تلك الفترة؛ لأن كلمة عمّره التي استدل بها العليمي تدل على أن الرباط كان قائماً قبل ذلك [4].

1- قلاوون الألفي العلائي الصالحي النجمي، أبو المعالي، سيف الدين، السلطان الملك المنصور :أول ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام والسابع من ملوك الترك وأولادهم بمصر، ولد سنة (620هـ/1223م) كان من المماليك، أعتقه الملك الصالح نجم الدين أيوب فأخلص الخدمة للظاهر بيبرس، قام بأمور الدولة في ايام العادل سلامش، فكان يخطب له وللعادل على منابر مصر، وضربت السكة باسمهما، ثم خلع العادل، وتولى السلطة منفرداً، انتصر على الجيوش المغولية والأرمنية والإفرنج، فكان من أجلِّ الملوك قدراً وأكثرهم آثاراً، توفي سنة (689هـ/1290م)،الزركلي، **الأعلام**، 203/5.

2 العليمي،**الأنس الجليل**، 89/2،79.

3 يونس عمرو، **رقوم المسجد الإبراهيمي**، 550؛ المكتب المعماري الهندسي، لجنة إعمار الخليل، **تقرير عن إصلاح وإعمار الحرم الإبراهيمي**، 10 .

4 العليمي، **الأنس الجليل**، 89/2؛سعيد أبو صافي، **مدينة الخليل في العهد المملوكي**، رسالة ماجستير 164.

مصلى المالكية (اليوسفية):

يقع هذا المصلى شمال غرب مصلى الإسحاقية الرئيس إلى جانب مشهد سيدنا إبراهيم –عليه السلام–، وهو رواق مستطيل الشكل سقفه معقود، جدرانه وأسقفه مبيضة، وله أربعة أبواب باب ناتج من بروز مثمن قاعدة قبة الخليل موصل إلى المصلى الرئيس وبمؤخرته باب موصل إلى المدرسة المنسوبة إلى السلطان حسن، وباب آخر موصل إلى المئذنة، وفي وسطه باب للغرفة الرمزية لقبر سيدنا يوسف – عليه السلام–، وبسقف هذا المصلى توجد فتحتان يغطي كل منهما قبو صغير أصم لا فائدة منه [1].

وللمصلى محراب موشّى بالقيشاني قام بعمارته الأمير شهاب الدين اليغموري ناظر الحرمين الشريفين، ونائب السلطنة في دولة الملك الظاهر برقوق، سنة (796هـ/1393م) وفتح فيه الباب الموصل إلى الرواق وعمَّر الأروقة، وعمَّرالباب الذي يتم من خلالهالوصول إلى مقام السيد يوسف – عليه السلام –[2]، وسمي ذلك المصلى بجامع النساء [3]. وتبلغ مساحة المصلى (183متراً مربعاً)[4].

وتبدو العناصر المعمارية المملوكية والزخرفية منها واضحة على مشهد ضريح النبي يوسف –عليه السلام – حيث أخذ الشكل المكعّب، بدلاً من الضريح الممتد أفقياً في الطراز العربي، ويزهو المشهد بالزخرفة الجميلة التي تخترقها النوافذ المشبكة بأعمال

1– المكتب المعماري الهندسي، لجنة إعمار الخليل، **تقرير عن إصلاح وإعمار الحرم الإبراهيمي**، 40.

2– العليمي، **الأنس الجليل**، 61/1.

3– مجموعة من الباحثين، **الخليل القديمة**، 73.

4- المكتب المعماري الهندسي، لجنة إعمار الخليل، **تقرير عن مساحات المصليات والمقامات في الحرم الإبراهيمي**،1.

الجبص، والمحاطة بإطار من الأفاريز المتتالية من الزخرفة العربية المتقنة العمل وهي ما تسمى الأربسك [1].

دكة المؤذنين أو دكة المبلغ

وهي من أجمل إضافات الفترة المملوكية [2] الواقعة في القسم الجنوبي من مصلى الإسحاقية بمحاذاة المحراب، مكونة من أعمدة وتيجان رخامية تحمل ألواحاً من الرخام .

وهي من عمارة تنكز نائب الشام في سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة (732هـ/1332م)[3].

قبة قلاوون:

وهي القبة القائمة على باب الغار في مصلى الإسحاقية الرئيس بجوار دكة المؤذن أو بيت الخطابة [4]، وتعد تحفة فنية رائعة، ترتكز القبة على أربعة أعمدة رخامية تتوسطهما فوهة الغار بنيت على هيئة بئر تحت القبة مباشرة، بابها من نحاس فتح بثقوبٍ متعددة صغيرة تسمح بدخول الهواء لقناديل الزيت، وترتكز القبة على قاعدة مربعة .

وحرص المعماري الذي باشر في بناء القبة بنقش اسم السلطان محمد بن قلاوون الذي أمر ببنائها [5]، بأسلوب معماري يعكس فناً مبدعاً، حيث طليت قاعدة القبة بطلاء أحمر قرمزي، والرقم طلي بطلاء ذهبي [6]، أما نص النقش كالآتي :" اللهم يا عالم بما يكون، أيد بنصرك مولانا السلطان محمد بن قلاوون أمر بإنشاء هذه القبة المباركة في أيام مولانا

1- سعد زغلول عبد الحميد، **العمارة والفنون في دولة الإسلام**، 481-482.

2- مجموعة من الباحثين، **الخليل القديمة**، 73.

3- العليمي، **الأنس الجليل**، 1/ 61.

4-العليمي،**الأنس الجليل**، 62/1.

5- المجلس الإسلامي الأعلى، **دليل الحرم الإبراهيمي الشريف**، 6.

6 - يونس عمرو، **رقوم المسجد الإبراهيمي**، 373.

السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين، محمد بن قلاوون الصالحي، عز نصره "[1] وتمتاز هذه القبة كغيرها من القباب المملوكية بأنها بنيت بالحجر، بعد أن كانت القباب تبنى عادة بالطوب [2].

سقاية قلاوون:

وهي إحدى السقايات التي أنشأها المماليك في مدينة الخليل وضاعت بسبب الهدم الذي جرى حول المسجد الإبراهيمي الشريف، مما أدى إلى صعوبة تحديد مكانها الأصلي ونقل نقش السقاية إلى متحف بلدية الخليل [3].

أما نص النقش فهو كالآتي : "أمر بعمارة هذه السقاية المباركة مولانا السلطان الملك المنصور أبو المعالي سيف الدين قلاوون الصالحي عزّ نصره في سنة تسع وسبعين وستماية"[4].

بركة السلطان:

كانت تقع خارج المسجد وتبعد عنه عدة أمتار، تم إنشاؤها في عهد السلطان سيف الدين قلاوون سنة (682هـ/1283م)؛ لخدمة ساكني المنطقه وزوّار المسجد. فرسم بأن تكون جوالي الذمة بالقدس وبلد الخليل، وبيت لحم، وبيت جالا مرصدة لعمارة البركة في بلد الخليل

1- يونس عمرو، **رقوم المسجد الإبراهيمي** ، 381.

2- سعيد عبد الحميد، **العمارة والفنون في دولة الإسلام**، 482.

3 -يونس عمرو، **رقوم المسجد الإبراهيمي**، 555.

4- نفسه، 554.

–عليه السلام– وهي مربعة الشكل، طولها وعرضها حوالي مئة وخمسين قدماً، وينزل إليها من درجات في زاويتين من زواياها وحولها [1].

ثالثاً : ترميمات ونقوش القباب المملوكيه :

بدأ عمل الترميمات في المسجد منذ بداية العهد المملوكي، فقد قام السلطان الظاهر بيبرس بتجديد قبر الخليل –عليه السلام– وأصلح أبوابه وميضأته وجدد الأخشاب والأضرحة وكان ذلك سنة (666هـ/1267م) على يد الأمير جمال الدين بن نهار [2].

وقام كذلك السلطان المنصور قلاوون بعدة إصلاحات داخل المسجد منها فتح باب الحضرة الخليلية الشمالي، سنة (685هـ/1286م) وثبت ذلك على مصاريع الأبواب النحاسية:" أمر بعمارة هذا الباب،على ضريح أبينا إبراهيم الخليل عليه أفضل الصلاة والسلام،مولانا السلطان الملك المنصور قلاوون الصالحي، قسيم أمير المؤمنين في غرة شهر رجب الفرد، من شهور سنة خمس وثمانين وستمايه، عز نصره "[3]، وكذلك على حلقتي الباب: "أمر بعمارة هذا الباب المبارك،على أبينا إبراهيم الخليل "صلى الله عليه وسلم"، مولانا السلطان الملك المنصور، سيف الدنيا والدين، قلاوون الصالحي "[4].

1- المقريزي، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 165/2،القساطلي نعمان بن عبدو، **الروضة النعمانية في سياحة فلسطين وبعض البلدان الشامية**، 134-145.

2- المقريزي، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 47،49/2؛ بدر الدين العيني، **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان**، 178/2؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، 194/7؛ النويري، **نهاية الأرب في فنون الأدب** 138،298/30.

3- يونس عمرو، **رقوم المسجد الإبراهيمي** ، 705.

4 -نفسه، 708-709.

أما ترخيم الحضرة الخليلية فقد قام بها الملك المنصور قلاوون الصالحي سنة (686هـ/1287م) [1] وثبت ذلك بنقش حجري رخامي على العتبة العليا لغرفة مشهد ضريح سيدنا إبراهيم –عليه السلام– من الداخل : "أمر بترخيم هذه القبة الشريفة، مولانا السلطان أبو المعالي، سيف الدين والدنيا قلاوون الصالحي أعز الله نصره، وضاعف أجره، سنة ست وثمانين وستمايه "[2].

وجدد تركيبتي الرخام على قبري إسحاق –عليه السلام– وزوجته رفقة السلطان الملك المنصور محمد بن قلاوون، وقام بتنفيذها الأمير تنكز الناصري نائب السلطنة بالشام[3]، ووثق ذلك بحجارة مختلفة بين القرآنية والتوثيقية على مشاهد الضريحين :"بسم الله الرحمن الرحيم، وبشرناه بإسحق نبياً من الصالحين .هذا ضريح نبي الله إسحق، ابن سيدنا الخليل، عليه الصلاة والسلام، جدد في أيام مولانا السلطان الملك الناصر، بالإشارة العالية السيفية كافل الممالك الشريفة بالشام المحروسة "[4].

"بسم الله الرحمن الرحيم .إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا.هذا ضريح ربقة [5]، زوجة نبي الله اسحاق ابن سيدنا إبراهيم الخليل، صلوات الله عليهما، جُدد في أيام مولانا السلطان الملك الناصر، أعز الله أنصاره "[6].

1- العليمي، **الأنس الجليل**، 89/2.

2- يونس عمرو، **رقوم المسجد الإبراهيمي**، 387.

3- المكتب المعماري الهندسي، لجنة إعمار الخليل، **تقرير عن إصلاح وإعمار الحرم الإبراهيمي**، 11.

4 –يونس عمرو، **رقوم المسجد الإبراهيمي**، 354.

5- ذكر بالنقش ربقه بالباء بدلاًمن الفاء . وهو الصحيح فهو اسم عربي كنعاني دخل إلى العربية ومعناه الرباط أو النير، وسبب التحول هو خطأ سبب الوقوع فيه لفظ الباء لفظاً خفيفاًحسب لفظ الصوت الكنعاني العبري، يونس عمرو، **رقوم المسجد الإبراهيمي**،361.

6 – نفسه، 365.

أما قبر يوسف –عليه السلام– فقد كان في غرب المسجد حين دفن ونقل من مصر وقد زيد في المسجد حتى رجع قبره في داخله [1]، فقد تم فتح باب اليوسفية السفلية الموالي للباب الغربي للمسجد الإبراهيمي في عهد السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون في فترة حكمه الثانية (698–708هـ/1298–1308م)وكان نائب السلطنة في تلك الأيام الوزير فخر الدين الخليلي، ونقش على بابه:" بسم الله الرحمن الرحيم، أمر بفتح باب سيدي نبي الله يوسف صلى الله عليه وسلم، بعد ما سذَ وهجر، أيام رعاية ومنحة المقر الكريم العالي السامي محل الحزم نائب السلطنة المعظمة وناظر الحرمين الشريفين عز نصره، في تاريخ عاشر من ربيع الآخر سنة اثنتين وسبعماية" [2].

وفي دولة الظاهر برقوق، قام ناظر الحرمين الشريفين، شهاب الدين اليغموري بتعمير مقام السيد يوسف –عليه السلام– وفتح فيه الباب الموصل إلى مصلى المالكية كما قد تم ذكره سنة (796هـ/1393م)[3]، وجدد كذلك مشهد ضريح يعقوب –عليه السلام–وكتب على عتبة باب القبة من الداخل :"جدد هذا الطراز في أيام مولانا السلطان الملك الناصر، ناصر الدنيا والدين محمد ابن السلطان الشهيد الملك المنصور سيف الدنيا والدين عز نصره في سنة سبع وسبعماية"[4].

ويبدو أن الضريح جُدد مرة أخرى في فترة سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون الثالثة التي امتدت ما بين عامي (709–741هـ/1309–1340م)، حيث عثر في غرفة المزيتة على نقش يتعلق بتجديد أو ترميم لمقام سيدنا يعقوب عليه السلام – كانت قد تعرضت

---

1 – العبدري، **رحلة العبدري**، 458.

2 – يونس عمرو، **رقوم المسجد الإبراهيمي**، 476.

3– العليمي، **الأنس الجليل**، 1/2،61/273.

4– نفسه، 439.

للتآكل والقطع نقش عليها :"...ضريح السيد يعقوب عليه السلام و...بتاريخ سادس عشر من شهر جمادٍ الآخر سنة سبع وعشرين وسبعماية "[1].

ومما يستدل من هذه النقوش وإن لم تصلنا كاملة هو ما حظي به المسجد الإبراهيمي من رعاية مستمرة لدى سلاطين الدولة الإسلامية في الفترة المملوكية .

وفي دولة الظاهر برقوق، قام ناظر الحرمين الشريفين، شهاب الدين اليغموري بتعمير مقام السيد يوسف –عليه السلام– وفتح فيه الباب الموصل إلى مصلى المالكية كما قد تم ذكره سنة (796هـ/1393م)[2].

ومن تلك الترميمات أيضاً تغطية أجزاء واسعة داخل المسجد بالرخام [3]، قام بها الملك الناصر محمد بن قلاوون في سلطنة الثالثة بإشارة تنكز نائب الشام [4]، وثبت ذلك في لوحة بالجدار الشرقي داخل مصلى الإسحاقية في الناحية القبلية التي ترتفع عن الأرض(118سنتمتراً)[5].

"أمر بإنشاء هذا الرخام المبارك، في أيام مولانا السلطان الملك الناصر، ناصر الدنيا والدين محمد بن قلاوون، بالإشارة العالية الأميرية السيفية، تنكز الناصري، كافل الممالك الشريفة الشامية، أثابه الله الجنة، في شهور سنة أثنتين وثلاثين وسبعماية "[6].

1- العليمي، **الأنس الجليل**، 513-515.

2 – نفسه، 1/2، 61/273.

3- البلوي، **تاج المفرق**، 64؛العليمي، **الأنس الجليل**، 2/92؛دانيال الراهب، **وصف الأرض المقدسة**، 79.

4 – العليمي، **الأنس الجليل** 2/92.

5 – المكتب المعماري الهندسي، لجنة إعمار الخليل، **تقرير عن إصلاح وإعمار الحرم الإبراهيمي**، 10 يونس عمرو، **رقوم المسجد الإبراهيمي**، 366.

6- يونس عمرو، **رقوم المسجد الإبراهيمي**، 367.

وعلقت الستائر الحريرية على الأضرحة الشريفة في المسجد الإبراهيمي في عهد الملك الأشرف إينال ضمن كسوته لباقي الأضرحة في فلسطين كضريح سيدنا موسى الكليم، وسيدنا لوط، هذا وقد تم في عهد المماليك إضافات من المخطوطات للمكتبة التابعة للمسجد حيث يرجع تاريخ نسخ أقدم مخطوطة من مخطوطات مكتبة المسجد الإبراهيمي، التي تم كشفها إلى سنة (748هـ/1347م) أي إلى العهد المملوكي والتي تعرف باسم (مطول على التلخيص في المعاني والبيان) للتفتازاني[1].

وسيدنا يونس-عليه السلام-[2]، كما قام بعمارة باب المصلى الرئيس من جهة قبر إسحاق -عليه السلام- سنة(859هـ/1454م)جاء بنقش كتب فيه :" جدد هذا الباب المبارك مولانا السلطان الملك الأشرف إينال،خلد الله ملكه، وذلك بنظر المقر العِزيِّ، ناظر الحرمين الشريفين، وذلك في سنة تسع وخمسين وثمانماية"[3].

1- محمود عطا الله، **فهرس مخطوطات مكتبة الحرم الإبراهيمي**، 7.

2- العليمي، **الأنس الجليل**، 95/2؛البلوي، **تاج المفرق**، 63.

3- يونس عمرو، **رقوم المسجد الإبراهيمي**، 716.

الفصل الثالث: إدارة شؤون المسجد في العصر المملوكي

أولا: إدارة سلطة المماليك للمسجد

1. نيابة القدس ونظارة الحرمين الشريفين
2. ناظر الوقف

ثانياً: الإدارة الداخلية للمسجد

1. مشيخة المسجد
2. إمام المسجد
3. خطيب المسجد
4. المؤذن
5. الميقاتي
6. الحارس
7. إنارة المسجد
8. القيم
9. كشاش الحمام (الحمامجي)

ثالثا:الإدارة التابعة للمسجد

معلمو السماط

لم تركن سلطة المماليك إلى التطوع في خدمة المساجد وإعمارها، إذ يتقاعس فيه المتطوع أحياناً عن القيام بالواجب، كما أن أوقاف المساجد تعدت الهدف عن تعميرها لتشمل نفقة الموظفين ورواتبهم، والقائمين على أعمال المسجد الذين يعملون في المساجد بنظافتها والإمامة والأذان، فمسألة الرواتب تعطي اهتماماً أكبر وأداءً أفضل[1].

وبالرغم من أن أصحاب تلك المهن لا تعظم ثروتهم وأرزاقهم بالغالب، كالأئمة والمؤذنين فقد نعم كثير منهم بسبب وظائفهم تلك بألوان من الجاه والنعيم، والقرب من الهيئة الحاكمة، فكان لبعضهم شيء من الأمر والنهي والكلمة المسموعة [2].

أما مسجد إبراهيم الخليل-عليه السلام- فلم تقتصر إدارته على العاملين عليه داخل المسجد، ويبدو أن ذلك يعود إلى أهميته الدينية التي حظي بها وكثرة الأوقاف التابعة له؛ إلى جانب ارتفاع عدد زواره ومرتاديه، وبذلك كان هناك أكثر من جهة تتحكم في إدارته وتصريف شؤونه .

أولا : إدارة السلطة المملوكية للمسجد

نيابة القدس ونظارة الحرمين الشريفين :

في أوائل العصر المملوكي كانت الخليل من الناحية الإدارية ولاية صغيرة تتبع ولاية دمشق [3]، ثم أصبحت تابعة لنيابة الكرك بعد إقطاعها لنائبها عز الدين أيدمر الظاهري

1- كامل العسلي، **وثائق مقدسية تاريخية**، 116/1؛ فايز الزاملي، **الأوقاف في فلسطين في عهد المماليك**، 70.

2- ابن خلدون، **المقدمة**، 329/1.

3- القلقشندي،**صبح الأعشى**،108/4 ؛ابن شداد، **الأعلاق الخطيرة**،241؛ خليل عثامنة،**فلسطين في العهدين الأيوبي والمملوكي**،300.

سنة 661هـ/1262م)[1]، ثم ألحقت بنيابة غزة عند تأسيسها سنة (711هـ/1311م)على يد السلطان الناصر محمد بن قلاوون، وكان نائبها الأمير علم الدين سنجر الجاولي[2]، وبعد تأسيس نيابة القدس سنة (777هـ/1375م)، تحولت الخليل من ولاية صغيره يليها جندي إلى نيابة مستقلة وهي نيابة القدس ونظر الحرمين (حرم الخليل-عليه السلام- وحرم القدس)[3]، وكان لوجود الأماكن المقدسة بمدينة الخليل دورٌ بإزدياد تلك الأهمية الإدارية [4].

وكان تقسيم المماليك ألدولة إلى نيابات هو تعبيراً عن فلسفتهم الإدارية، التي كانت تنحو نحو المركزية في حصر صلاحيات الحكم وآليات الإدارة في يد السلطان، والوالي مجرد من الصلاحيات حتى داخل ولايته، إلا أن ذلك لم يكن متبعاً في نيابات الشام حتى الصغرى منها بسبب بعدها عن عاصمة الدولة التي كانت تحول دون نجاح الإدارة المركزية[5].

ووظيفة ناظر الحرمين الشريفين وظيفة قديمة تعود إلى الأيام الأولى لتحرير بيت المقدس من الاحتلال الفرنجي(الصليبي)، وكان موسى بن غانم الأنصاري هو أول ناظر

1- المقريزي،**السلوك لمعرفة دول الملوك**، 24/2.

2- العمري، **التعريف بالمصطلح الشريف**، 226،227،العليمي،**الأنس الجليل**، 272/2،ابن تغري بردي **النجوم الزاهره**، 193/9.

3- القلقشندي، **صبح الأعشى**،104/12.

4- سعيد أبو صافي، **مدينة الخليل في العصر المملوكي**،41.

5 -خليل عثامنة، **فلسطين في العهدين الأيوبي والمملوكي**، 300.

للحرمين الشريفين[1]، وفي العصر المملوكي كان يتولاها أمير كبير برتبة طبلخانه[2]، وأحيانا يتولاها عالم جليل برتبة قاضي القضاة، وربما جمع النائب بين النظر والنيابة [3].

ولم يكن الجمع بين نظارة الحرمين الشريفين ونيابة القدس عرفاً إدارياً ثابتاً بل كانت بين الجمع والفصل، ففي عهد السلطان الملك الناصر فرج سنة (808هـ/1405م) أصدر مرسوماً خاصا بفصلهما وعدم جمعهما في يد أمير واحد، ثم نقش ذلك المرسوم السلطاني على رخامه وألصقها على جدار باب السلسلة على يمين الداخل من الباب[4]، وبعد موت السلطان فرج عادت ظاهرة والعمل بها من جديد، فلما ولي السلطنة الأشرف برسباي (826هـ/1422م) جمع الوظيفتين في يد الأمير أركاس الجلباني [5].

تعد نظارة الحرمين الشريفين من الوظائف المدنية التي جمعت مع نيابة القدس وبذلك نستبعد تصنيفها من الوظائف الدينية حيث كان السلاطين المماليك يختارون لتوليها في غالب الأحيان القادة العسكريين من أمراء المماليك، وكان معظمهم يجهل اللغة العربية، ومعرفة الفقه والأحكام الشرعية التي تؤهلهم لتولي المناصب الدينية [6]، كما إن تصنيفها من الوظائف

1- العليمي،**الأنس الجليل**،269/2.

2 – طبلخانه:موظف يكون تحت إمرته دون المئة من المماليك، ويتراوح عدد مماليكه من الأجناد ما بين أربعين وثمانين، والطبلخانه معناها بيت الطبل، ويشتمل على الطبول والأبواق وتوابعها من الآلات ويحكم ذلك أمير من أمراء العشرات يعرف بأمير علم، فلأمراء الطبلخانات الحق بأن ترافقهم الطبول القلقشندي، **صبح الأعشى**، 13/4.

3 – العليمي،**الأنس الجليل**،272/2.

4- نفسه، 95/2.

5 –نفسه، 96/2.

6 –خليل عثامنة، **فلسطين في العهدين الأيوبي والمملوكي**، 330.

الدينية يتعارض مع صلاحيات متوليها الذي أطلق عليه صفة الناظر[1]، وتعارضها كذلك مع طبيعة الأنشطة التي كان يمارسها.

فكانت مهامه في النظر بكل ما يحتاج إليه الحرمان الشريفان من إصلاح وترميم وخدمة للزوار، وتوفير الماء اللازم للمصلين، وبيد ناظر الحرمين الشريفين تعيين موظفي المسجد كأئمة المساجد وخطبائها وأرباب الخدم والقيّم[2].

وتولى ناظر الحرمين الشريفين الإشراف على أموال الأوقاف التي ترصد لهما، ويتعهد بإدارتها ويتفقد مصروفاتها على إعمارهما وتطوير مرافقهما، وهو ينوب عن أبي الضيفان (إبراهيم –عليه السلام) في إفاضة بره، وبذلك فهو مسؤول عن مد السماط وعدم انقطاعه[3].

وكانت صلاحيات ناظر الحرمين الشريفين تتعدى هذا النطاق لتشمل أموراً إدارية لنيابة المنطقة كجباية الأموال، وفرض الضرائب، التي غالى بعضهم في فرضهما، ففي أحداث سنة (820هـ/1417م)وقفت طائفة من بلد الخليل – عليه السلام– وشكوا للسلطان الملك المؤيد أبو النصر[4]، ناظر الحرمين الشريفين شمس الدين محمد بن عطاء الله الهروي

1– النظر :هو من ينظر في الأموال وينفذ تصرفاتها، ويرفع إليه حسابها لينظر فيه ويتأمله فيمضي ما يمضي ويرد ما يرد، وهو مأخوذ إما من النظر الذي هو رأي العين، لأنه يدير نظره في أمور ما ينظر فيه، وإما من النظر الذي هو بمعنى الفكر؛ لأنه يفكر فيه المصلحة من ذلك، ثم هو يختلف باختلاف ما يضاف إليه كناظر الجيش أو الدواوين، القلقشندي، **صبح الأعشى**، 437/5.

2 –العمري، **التعريف بالمصطلح الشريف**، 146/1–147؛العليمي، **الأنس الجليل**،292/2.

3– العمري، **التعريف بالمصطلح الشريف**، 146/1–147؛العليمي، **الأنس الجليل**،270/2،97،94.

4 -السُّلْطَان أَبُو النَّصْر: السُّلْطَان الْملك الْمُؤَيد أَبُو النَّصْر شيخ المحمودي الظَّاهِرِيّ سُرق من بِلَاده وَهُوَ صَغِير فَصَارَ إِلَى تَاجر يُقَال لَهُ مَحْمُود شاه اليزيدي، وَقدم بِهِ إِلَى الْقَاهِرَة سنة اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ وَسبعمائَة وعمره قَرِيبا من اثْنَتَيْ عشرَة سنة، فَأَخذه السُّلْطَان الْملك الظَّاهِر بعد موت مَحْمُود، ورقاه فِي خدمته فَعرف بشيخ المحمودي ثمَّ أنعم عَلَيْهِ بإمرة طبلخاناة وَجعله رَأس نوبَة ثمَّ سَار من جملَة أُمَرَاء الألوف وَولي نِيَابَة طرابلس ثمَّ نِيَابَة الشَّام وحاربه السُّلْطَان الْملك النَّاصِر فرج بن برقوق إِلَى أَن انهزم وَقتل وَقدم بعد قَتله إِلَى الديار المصرية من دمشق بالخليفة المستعين بِاللَّه، وفوض الْخَلِيفَة إِلَيْهِ جَمِيع الْأُمُور ولقبه نظام الدولة فتصرف فِي الولايات والعزل وَالْأَخْذ وَالعطَاء وَغير ذَلِك بِحَيْثُ لم يكن للخليفة مَعَه أَمر وَلَا نهي وَلَا نُفُوذ كلمة، بويع بالخلافة سنة (815هـ/1412م) إلى أن توفي سنة (824هـ/1421م)،المقريزي، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 338/6–339.

على مال أخذه منهم في أيام نظره على بلد الخليل، فبعث إليه السلطان يأمره بأن يخرج لهم مما يلزمه من الحق[1].

وأورد المؤرخون أشهر من تولى نظاره الحرمين الشريفين في القدس وبلد الخليل – عليه السلام – في العصر المملوكي، وكان أشهرهم :

1. علاء الدين الأعمى، كان ناظر الحرمين في أيام الظاهر بيبرس إلى أيام المنصور قلاوون، وكان مهيبا لا تخالف مراسيمه [2].
2. القاضي شرف الدين عبد الرحمن إبن الصاحب الْوَزير فَخر الدّين الخليلي، الذي تولى نَظارة أوقاف الْحَرَمَيْنِ الشريفين مَكَّة وَالْمَدينَة، وحرمي الْقُدس الشريف والخليل–عَلَيْهِ السَّلَام–، بأمر من الملك المنصور حسام الدين لاجين في سنة (697هـ–1297م) وَكان قد بَاشَرَهَا قبل ذَلِك سنة (677هـ/1278م)[3].
3. الملك الأوحد نجم الدين يوسف بن الملك الناصر داود بن الملك المعظم عيسى ولي في رجب سنة (698هـ–1298م)[4].
4. الأمير علم الدين أبو سعيد سنجر بن عبد الله الجاولي الشافعي، الذي تولى نظر الحرمين الشريفين والنيابة بالقدس وبلد الخليل–عليه السلام – وولي نيابة غزه.[5].

---

1 المقريزي، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 468/6

2 –الْأَمِير عَلَاء الدّين الْأَعْمَى الركني الزَّاهِد نَاظر أوقاف الْقُدس والخليل عَلَيْهِ السَّلَام أنشأ العمائر والربط وَغير ذَلِك وَأثر الْآثَار الْحَسَنَة بالقدس والخليل وَالْمَدينَة النَّبَوِيَّة كَانَ من أحسن النَّاس سيرةً وأجملهم طَرِيقَة انعمرت الْأَوْقَاف فِي أَيَّامه، وتضاعف مغلها واشتهر ذكره، وَكَانَ من أذكياء الْعَالم يُقَال عَنهُ إِنَّه خطّ حمام بلد الْخَلِيل –عَلَيْهِ السَّلَام –ورسم الأساس بِيَدِهِ وذره بالكلس للصناع، وَكَانَ يحب الْخَيل ويستولدها وَقيل إِنَّه كَانَ إِذا مر بِهِ فرس من خيله عرفه وَقَالَ هَذَا من خيلي، توفّي بالقدس سنة ثَلَاث وَتِسْعين وستمِائَة وَصلي عَلَيْهِ،الصفدي،**الوافي بالوفيات**، 272/9؛ابن تغري بردي، **المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي**، 163/3؛ العليمي، **الأنس الجليل**،270/2.

3– العليمي، **الأنس الجليل**، 272/2.

4– نفسه،272/2.

5– ابن تغري بردي، **المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي**، 74/6–75؛الصفدي، **الوافي بالوفيات** 292/15–293؛ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنه في أعيان المائة الثامنة**،317/2–318.

5. الأمير تمراز الذي تولى نظارة الحرمين الشريفين ونيابة القدس سنة (777هـ/1375م).
6. الأمير قطلوبغا، كان متوليا في دولة الملك الأشرف شعبان بن حسين سنة (779هـ/1377م).
7. الأمير بدر الدين حسن بن عماد الدين العسكري، كان متوليا سنة (782هـ/1380م).
8. الأمير ناصر الدين محمد بن بهادر الفخر بن الظاهر بن ناظر الحرمين الشريفين ونائب السلطنة في دولة الملك الظاهر برقوق، كان متوليا سنة (789هـ/1387م).
9. الأمير شرف الدين موسى بن بدر الدين حسن كان متوليا سنة (793هـ/1390م)[1].
10. الأمير شهاب الدين أحمد اليغموري، ولي نظر الحرمين الشريفين ونيابة السلطنة سنة(796هـ/1393م)، حيث أبطل الرسوم التي أحدثها النواب قبله، وعمر المسجد الإبراهيمي ومقام يوسف –عليه السلام[2].
11. سودون المغربي[3] تولى نظارة الحرمين الشريفين سنة(831هـ/1427م) [4].
12. أركماس الجلباني تولى نيابة القدس ونظارة الحرمين الشريفين سنة (833هـ/1429م)[5]

1- العليمي، **الأنس الجليل**،271/2–272.

2– المقريزي، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 64/6؛العليمي، **الأنس الجليل**، 274/2.

3-سودون بن عبد الله الظاهري، الأمير سيف الدين أحد أمراء العشرات، وحاجب ثم نائب دمياط، من مماليك الملك الظاهر برقوق، وممن تأمر بعد موت الملك المؤيد شيخ، وممن صار حاجباً في الدولة الأشرفية برسباي بعد أن ولي نظر القدس، ثم ولاه الأشرف نيابة دمياط، فتوجه إلى الثغر وباشر مدة سنين، ثم عزل وعاد إلى ما كان عليه إلى أن أعاده الملك الظاهر جقمق إلى نيابة دمياط ثانياً، وذلك في سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة، وكان ديناً، خيراً عفيفاً، فقيهاً بالنسبة إلى أبناء جنسه، يكثر من طلب العلم ويجتهد في ذلك إلى الغاية، وكان تصوره غير صحيح، فهمه غير مستقيم، قل أن يجلس بمكان ولا يبحث فيه مع أحد، وكان عنده نشوفة وظن بنفسه، ولهذا المقتضى سمي بالمغربي. ولما ولي الحجوبية سار في أحكامه سيرة جيدة، ولم يتناول من أحد ببابه ما يتناوله غيره من الحجاب، وكان لا يسمع رسالة مرسل، ولا يعتني بأحد من أصحابه في حكومة، وكان يقع له =خطأ كثير في أحكامه، وكان يتقشف في ملبسه ومركبه، مات في دمياط سنة (843هـ/1439م)،ابن تغري بردي **المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي**، 180/6.

4- العليمي، **الأنس الجليل**، 274/2.

5 أركماس الجلباني من المماليك الذين رقاهم الملك الْمُؤَيد ثم صَار أحد المقدمين بالديار المصرية ثمَّ أعطَاهُ نِيَابَة غَزَّة ثمَّ نَقله ططر إِلَى نِيَابَة طرابلس ثمَّ خرج إِلَى الطَّاعَة فَأمْسك وَأَقَام بِالْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّة نَحْو عَام ثمَّ بالقدس زِيَادَة على عشرَة أَعْوَام ثمَّ ولي نظر الْقُدس والخليل ونيابة الْقُدس فَلم تحمد سيرته فعزل وَأعْطى تقدمة بِالشَّام، و فِي آخر سنة سبع وَثَلَاثِينَ من أنبائه قدم جمَاعَة من المقادسة والخليلية إِلَى القاهرة =

ناظر الوقف :

ويسمى أيضاً بكاشف الوقف، أو المباشر أو ناظر الأحباس، وهو الناظر في أرزاق الجوامع والمساجد والأربطة والزوايا والمدارس من الأراضي المفردة لذلك، وما هو من ذلك القبيل على سبيل البر والصدقة لأناس معينين[1].

ويشترط في الناظر الإسلام، فلا ولاية لغير المسلم على الوقف الإسلامي، وبلوغه سن الرشد كي يحسن التصرف بالوقف وما يرد منه من أموال، ورجاحة العقل، والاتزان في التفكير، فلا يتولى الوقف فاسد التدبير، أو الأمانة أو النزاهة، أو الكفاءة [2].

ومن مسؤولية ناظر الوقف عمارة جميع الموقوف، وترميم ما يهرأ من أبنية، وبالنسبة للمساجد كان عليه فرشها بالحصر والبسط وتنويرها ويبتاع في كل سنة شمعاً أو زئبقاً لصلاة التراويح في المساجد الموقوفة لأجل التنوير، وبخوراً من الطيب يبخر به المسجد[3]، وكان ناظر الوقف يصرف من صندوق أوقاف الخليل ثمن الحطب وأجرة العاملين على السماط [4].

=يَشكونَ منه على أنواعٍ من الظُّلم والأذية بِجَمِيعِ الطوائف، وَمِمَّا اعْتَمدهُ أَنه حبس القَاضِي شمس الدّين البصروي، وَهُوَ يَوْمئِذٍ قَاضِي الشَّافِعِيَّة بِهِ وَزعم أَنه استنقذه من الْعَوام لِئَلَّا يرجموه، وَحجر على الْمِيَاه الَّتِي ببَيْت الْمُقَدّس فختم على الْآبَار وَمنع النَّاس من الاسْتِسْقَاء مِنْهَا إِلَّا بِثمن إِلَى غير ذَلِك فَلَمَّا علم السُّلْطَان بسيرته= = أَمر بعزله وَقرر غَيره فِي الْأَمر، وَمَات بالرملة فِي جُمَادَى الأولى سنة (838هـ/1434م) وَحمل إِلَى الْقُدس فقبر بها،، العليمي، **الأنس الجليل**،274/2؛ابن تغري بردي،**المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي**، 333/2؛السخاوي، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، 268/2.

1 - القلقشندي، **صبح الأعشى**، 39/4؛ محمد دهمان، **معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي**،152.

2 –عبلة المهتدي، **أوقاف القدس في زمن الانتداب البريطاني**،27.

3– القدس، **سجلات المحكمة الشرعية**، 2/36–1/؟/6؛ كامل العسلي،**وثائق مقدسية تاريخية**، 116/1.

4– القدس، **سجلات المحكمة الشرعية**، 9/9/9–1/922/6؛كامل العسلي، **وثائق مقدسية تاريخية** 117/1؛العمري، **مسالك الأبصار في مماليك الأمصار** 170/1.

وكان السلطان المملوكي في القاهرة هو من يعين كاشف الوقف في القدس والخليل وتكون وظائفه من نصيب ناظر الحرمين الشريفين عند عدم وجود الكاشف [1]، ومن هؤلاء النظار الذين تولوا نظارة أوقاف مسجد الخليل –عليه السلام– :

1- سيف الدين إبراهيم بن الأمير علم الدين الجاكي[2].

2- شيخ الإسلام الكمالي بن أبي شريف، عينه السلطان قاتيباي سنة(895هـ/1489م) للإشراف والكشف على أوقاف الخليل، حيث أقام نظامها وأصلح أمر السماط الكريم بعد اختلاله [3].

3- القاضي مجد الدين محمد بن محمد بن عبد الله بن حامد الشافعي، كان من أعيان المباشرين على أوقاف القدس والخليل[4].

4- الشيخ شهاب الدين أحمد بن يوسف الشافعي، باشر الإشراف بأوقاف الخليل –عليه السلام – وتوفي سنة (891هـ/ 1486م)[5].

ثانياً: الإدارة داخل المسجد

مشيخة المسجد

ويقصد بها الإشراف على شؤون المسجد ورعاية المهمات التي يقوم بها، حيث يتولى أمر إعداد الخطباء، والمدرسين، والموظفين داخل المسجد وعلى شيخ المسجد استقبال ضيوفه وإكرامهم بضيافة أبي الأنبياء [6].

---

1 –ابن تغري بردي،**النجوم الزاهرة**،15/58–59.العليمي، 354/2،القلقشندي،**صبح الأعشى**، 39/4.

2– النويري، **نهاية الأرب**، 244/33.

3– العليمي،**الأنس الجليل**، 354/2.

4 –نفسه،197/2.

5 – نفسه، 205/2.

6– القلقشندي، **صبح الأعشى**، 12/419–420، سعيد أبو صافي، **مدينة الخليل في العصر المملوكي**، 184.

وتعيين شيخ مسجد الخليل – عليه السلام – يصدر من نائب السلطنة، وتكتب أحيانا نسخة توقيع من القاهرة ونصها كالتالي: "رسم بالأمر الشريف– أعلاه الله تعالى، وبسط عدله الّذي لا يبلغه الواصف ولو تغالى، وسرى لأولياء بني الأولياء ببرّه الّذي تسنّن بسنّة الغيث ثم توالى– أن يستقرّ.....– أدام الله تعالى ببركته الانتفاع، وباقتداء سلفه الارتفاع، وأعاد من بركات بيته الّذي قام البرهان بفضله، وقال بوضوح شمسه الإجماع– في مشيخة حرم سيدنا الخليل صلوات الله عليه وسلامه، على عادته القديمة المقدّمة، ومستقرّ قاعدته المعلومة المعلمة، بعد إبطال ما كتب به لغيره، فإنّ هذا الوليّ أولى، ولأنّ الحقّ معه وباع الحقّ أطول على المعنيين إطالة وطولا، وضعا للشّيء في محلّه الفاخر، وحملا على ما بيده من تواقيع شريفة، وارث بركتها ملوك البسيطة في الأوّل والآخر، وعلما أنّه بقيّة العلم المشيد، والزّهد العتيد، وخليفة السّلف الصالح وما منهم إلّا من هو «أمين» العزم «رشيد»، وأنّه الشيخ وكلّ من عرفه في بقائه ولقائه مريد، والقائم بالمقام الخليليّ– صلوات الله تعالى على ساكنه– مقاما مجتبى، والمنتسب إلى خدمة الحرم الإبراهيميّ مخدوما صلّى الله عليه ونسبا، والقديم الهجرة فلا تتركه الأوطان ولا تهجره، والمقيم بالبلد الخليليّ على إقامة الخير، فما ضرّه أنّ العدوّ يشكوه إذا كان «الخليل» يشكره؛ وقد سبقت له مباشرات في هذا الحرم الشريف فكان عزمها تماما، وشكرها لزاما، وكانت على الصّادرين كتلك النّار النبويّة بردا وسلاما.فليعد إلى مباشرة وظائفه المذكورة في التواقيع الشريفة الّتي بيده، وليكن يومه في الفضل زائدا على أمسه مقصّرا عن غده، بثناء يتلقّى أضياف أبي الأضياف، بأليف أحوال الداخلين إليه شتاء وصيفا وإن لم تكن رحلة إيلاف، جاريا في بركة التّدبير والتثمير على عادته وعادة سلفه فنعم الخلف ونعم الأسلاف، مواظبا على عادة تقواه ورفع الأدعية لهذه الدّولة الشريفة، جاعلا ذلك منه أوّل وآخر كلّ وظيفة؛ والله تعالى ينفع ببركات سلفه وبه، ويكافئ عن الأضياف بسط راحته بالخيرات وفضل تعبه. "[1]

ومن أوائل الذين تولوا مشيخة المسجد الإبراهيمي في العصر المملوكي الشيخ برهان الدين أبو إسحق إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل المقري الجعبري الخليلي الشافعي ويقال له شيخ الخليل ولد بجعبر سنة (640 هـ/1242م)، ثم قدم وأقام بالخليل أربعين عاما، له

1- القلقشندي، **صبح الأعشى**، 12/419-420

مصنفات في القراءات والنحو وعلوم الحديث ما يقارب المائة، ولي مشيخة مسجد الخليل – عليه السلام – بضعا وأربعين سنة إلى أن توفي سنة (732هـ/1331م)[1].

وكانت مشيخة مسجد إبراهيم كانت وراثية، انحصرت توليتها في آل الجعبري، فالشيخ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن خليل بن أبي العباس الجعبري الشافعي، الذي ولد في (690 هـ/1291م)، ولي مشيخة مسجد إبراهيم – عليه إسلام– بعد والده وانفصل منها ثم أعيد واستمر بها إلى أن توفي سنة (749هـ/1348م) وولي ابنه عمر مشيخة المسجد من بعده وكان يقاسم أخاه المعلوم المتعلق بها إلى إن توفي سنة (785هـ/1383م) وتولى المشيخة بعده أخوه نور الدين ويقال له علاء الدين أبو الحسن توفي سنة (803هـ/1400م) بعد إن فوض مشيخة المسجد إلى ولده شمس الدين أبو عبد الله محمد حيث تولى مشيخة مسجد إبراهيم الخليل – عليه السلام – ومشيخة الزاوية البكائية بعد عمه الشيخ عمر [2].

وتقاسمت عائلة الجعبري مشيخة المسجد بنسب وحصص مختلفة، كالشيخ سراج الدين أبي حفص عمر بن محمد بن علي بن محمد بن إبراهيم الجعبري، الذي تولي نصف مشيخة مسجد إبراهيم – عليه السلام– ونظر وقف عم جده الشيخ علي بكاء[3]، وكذلك الشيخ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي بن محمد بن إبراهيم الجعبري، تولي نصف مشيخة المسجد متقاسما مع أخيه عن أبيهما [4]، ومن الذين تولى حصة من تلك الولاية الشيخ

1- العليمي، **الأنس الجليل**،152/2؛ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، 131/1-135.

2- العليمي، **الأنس الجليل**، 152/2-156.

3- العليمي، **الأنس الجليل**، 208/2-209؛السخاوي، **الضوء اللامع**، 119/6-120.

4- العليمي، **الأنس الجليل**، 215/2؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، 152/9.

عبد القادر بن عمر بن محمد بن محمد بن علي الجعبري، فتولى حصة من مشيخة المسجد بعد والده[1].

إمام المسجد:

ومهمته إمامة المصلين اليومية في المسجد، والصلاة يوم الجمعة، ومواسم الصلوات المخصوصة في الأعوام، كالتراويح من شهر رمضان، والرغائب في أول جمعه من شهر رجب، وليلة النصف من شعبان، حيث تمتلىء المساجد في هذه المواسم بالمصلين[2].

ويشترط في الإمام أن يكون رجلا عاقلا قارئا فقهيا سليم اللفظ من رث[3]، أو لثغ[4] وإن يخلص في صلاته، ويجاد في دعائه ويتضرع في ابتهاله، وأن يكون حسن المظهر، ويحضر إلى المسجد أول الوقت فإن اجتمع الناس بادر بالصلاة، وإلا انتظر الجمع ما لم يفحش الانتظار [5]، وأن لا يطيل بالصلاة حتى يعجز عن الضعيف وينقطع بها ذوو الحاجات [6].

---

1 -العليمي، **الأنس الجليل**، 212/2 – 313.

2 – ضياء الدين الأخوه،**معالم القربة في طلب الحسبة**،176،173.

3- الرثُّ: الخسيس من كل شيء،، نقول ثوبٌ رثّ، وحبلٌ رث، ورجلٌ رث،ابن منظور، **لسان العرب**، فصل الراء، مادة (رثث).

4-اللُّثْغةُ: أَن تَعْدِلَ الحرْفَ إِلى حَرْفٍ غَيْرِهِ. والأَلْثَغُ: الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ أَن يَتَكَلَّمَ بِالرَّاءِ، وَقِيلَ: هُوَ الَّذِي يُجْعَلُ الرَّاءَ غَيْنًا أَو لَامًا أَو يَجْعَلُ الرَّاءَ فِي طرَف لِسَانِهِ أَو يَجْعَلُ الصَّادَ فَاءً، وَقِيلَ: هُوَ الَّذِي يَتَحَوَّلُ لِسَانُهُ عَنِ السِّينِ إِلَى الثَّاءِ، وَقِيلَ: هُوَ الَّذِي لَا يَتِمُّ رَفْعُ لِسَانِهِ فِي الْكَلَامِ وَفِيهِ ثِقَلٌ، وَقِيلَ: هُوَ الَّذِي لَا يُبَيِّنُ الكلامَ، وَقِيلَ: هو الَّذِي قَصُرَ لِسَانُهُ عَنْ مَوْضِعِ الْحَرْفِ ولَحِقَ مَوْضِعَ أَقْرَبِ الْحُرُوفِ مِنَ الْحَرْفِ الَّذِي يَعْثُر لِسَانُهُ عَنْهُ، وَالْمَصْدَرُ اللَّثْغُ، ابن منظور، **لسان العرب**، فصل الام، مادة (لثغ).

5 – تاج الدين السبكي، **معيد النعم ومبيد النقم**، 164؛ ضياء الدين الأخوة،**معالم القربة في طلب الحسبة**،172.

6- ضياء الدين الأخوة، **معالم القربة في طلب الحسبة**، 111.

ولا يجوز للأئمة أخذ الأجرة على الصلوات والإمامة، فإنه حرام، إلا إن رفع إليه شيء من غير شرط، جاز له أخذه على سبيل الهدية أو الهبة أو الصلة أو البر، ولا يأتي الإمام إلى جنازة من غير أن يستدعيه ولي الميت [1].

وتولية الإمامة كانت إما من النائب أو من الوالي أو الناظر أو قاضي القضاة[2]، وإذا قلد السلطان إماماً كان أحق بالإمامة من غيره وإن كان أفضل منه[3].

وترتيب الأئمة في الصلوات بمسجد الخليل – عليه السلام– يصلي فيه أولا إمام المالكية بالرواق الغربي الذي خلف الحجرة الشريفة الخليلية، ثم إمام الحنفية عند مقام آدم، وكان هذا الترتيب خلاف الترتيب بالمسجد الحرام فإن يصلى هناك أولا إمام الشافعية بمقام إبراهيم تجاه باب الكعبة ثم إمام الحنفية، مقابل حجر إسماعيل تجاه المحراب، ثم إمام المالكية بين الركنين اليماني والشامي، ثم إمام الحنابلة مقابل الحجر الأسود، وقبلة أهل بيت المقدس وما جاوره وما وراء ذلك من السواحل جهة محراب الكعبة وحجر إسماعيل –عليه السلام–[4].

خطيب المسجد

كان لأئمة العلماء الأولوية في تولي مهامها، وكانوا يعيّنون بموجب مرسوم خاص يصدره رأس السلطة في الدولة، وخاصة إذا كان الخطيب قاضياً مشهوراً، أو كان ذا مكانة مرموقة في المجتمع [5]، ويتم التعيين في خطابة المسجد الأقصى والمسجد الإبراهيمي من قبل قاضي القضاة، ثم أصبح السلطان يتدخل في التعيين بمرسوم يصدر من مقره في القاهرة[6].

1– عبد الرحمن الشيزري،**نهاية الرتبة الظريفة في طلب الحسبة**، 111.

2– القلقشندي، **صبح الأعشى**،523/11؛العليمي، **الأنس الجليل**، 292/2.

3– ضياء الدين الأخوة، **معالم القربة في طلب الحسبة**،175.

4– العليمي، **الأنس الجليل**، 32/2.

5- القلقشندي، **صبح الأعشى**، 11/4،219/288.

6– العليمي، **الأنس الجليل**، 295/2 – 296.

وهو المسؤول عن خطبة الجمعة والعيدين، وعليه أن يرفع صوته بحيث يسمعه أربعون نفسا من أهل الجمعة، وأن يستعمل الألفاظ الواضحة، التي يسهل فهمها، وأن لا يطيل الخطبة على الناس، أما الدق على درج المنبر، والمبالغة في الإسراع بالخطبة الثانية والمجازفة في وصف السلاطين عند الدعاء لهم، فهي من الأشياء التي ينهون عنها [1]، ففي سنة (819هـ/1416م) أمر السلطان شيخ الخطباء عند الدعاء للسلطان على المنبر في يوم الجمعة أن ينزلوا درجة ثم يدعون له حتى لا يكون ذكره في الموضع الذي يذكر فيه اسم الله عز وجل واسم نبيه – صلى الله عليه وسلم – [2].

وكان منصب الخطابة وراثياً يتولاه الابن عن أبيه، أو أحد أقربائه [3]، وكان من الذين تولوا الخطابة في المسجد الإبراهيمي في العصر المملوكي :

1. الخطيب تاج الدين إسحاق بن الخطيب برهان الدين إبراهيم بن أحمد بن محمد بن كامل التدمري الشافعي،مصنف كتاب مثير الغرام إلى زيارة الخليل – عليه الصلاة والسلام – سنة (763 هـ /1361م) [4].
2. الخطيب عماد الدين إسماعيل بن الخطيب برهان الدين إبراهيم بن الخطيب شهاب الدين أحمد بن الخطيب شمس الدين محمد بن كامل التدمري الشافعي، توفي سنة (835هـ/1431م)[5].

1– تاج الدين السبكي، **معيد النعم ومبيد النقم**، 161.

2–ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، 43/14.

3- العليمي، **الأنس الجليل**، 295/2

4– نفسه، 137/2.

5– العليمي، **الأنس الجليل**، 140/2.

3. الخطيب مجد الدين عبد الوهاب بن الخطيب عماد الدين إسماعيل التدمري الأصل الخليلي الشافعي، باشر الخطابة بعد والده دهراً طويلا إلى أن توفي سنة (890هـ/1485م)[1].

4. الخطيب غرس الدين خليل بن عبد الرحمن الأنصاري الخليلي الشافعي باشر نيابة الحكم بمدينة الخليل – عليه السلام – وناب في الخطابة بمسجده الشريف، توفي في (874هـ/1469م)[2].

المؤذن

وهو من أرفع الوظائف الدينية بالمسجد " فعن جابر رضي الله عنه أن رجلاً قال : يا رسول الله أي الخلق أول دخولا إلى الجنة؟ قال :الأنبياء قال: ثم من؟ قال: الشهداء قال: ثم قال :مؤذنو بيت المقدس قال :ثم من ؟ قال: مؤذنو المسجد الحرام قال: ثم من ؟ قال :مؤذنو مسجدي قال :ثم من ؟ قال :سائر المؤذنين"[3].

ويشترط أن يكون المؤذن ذا ثقة وأمانة، وعارفاً بأوقات الصلاة، ويمتحن على ذلك قبل صعوده على المنارة، ويأخذ عليه العهد إذا صعد المنارة أن يغض بصره عن النظر إلى دور الناس، وأن لا يصعد إلى المنارة غير المؤذن في أوقات الصلاة، وأن يكون حسن الصوت عاقلا بالغا ذكرا، وكان المؤذن ينوب أحياناً عن الإمام في إقامة الصلاة، وعليه التكبير في الصلوات وصلاة التراويح من شهر رمضان، وأن يؤذّن للصبح من نصف الليل وعند وجوب الوقت، ولذلك يسن للصبح مؤذنان [4].

1- العليمي، **الأنس الجليل**، 142/2.

2- نفسه، 193/2.

3- نفسه، 234/1 .

4- عبد الرحمن الشيزري، **نهاية الرتبة الظريفة في طلبالحسبة**، 111؛ السبكي، **معيد النعم ومبيد النقم**، 165.

وكان مؤذنو مسجد الخليل – عليه السلام – في عهد المماليك على نوبتين، وعندما تولي القاضي عز الدين خليل السخاوي نظارة الحرمين الشريفين في عهد الملك الظاهر أبي سعيد جقمق العلائي الظاهري زادهما نوبة ثالثة[1].

الميقاتي

وهي من الوظائف المتعلقة بإقامة الصلاة، كان يقوم بها أحياناً بعض المؤذنين العارفين بالمواقيت، ودخول الأوقات المشروعة مستخدمين في ذلك الوقت الساعات الرملية [2].

ومن الذين باشروا التأقيت بالمسجد الإبراهيمي الشيخ شهاب الدين أحمد بن عمر بن إبراهيم القلانسي الخليلي، الشهير بابن الموقت حيث ورثها عن أبيه [3].

الحارس:

وكانت وظيفته تتمثل بحراسة مشاهد الأنبياء وما تحتويها، وحراسة الغار الشريف من دخول العابثين إليها ليلاً ونهاراً وصيفاً وشتاءً[4]، وإن كانت حادثة الإسكافي التي مر ذكرها[5]، فهي حادثة استثنائية تمت دون علم السلطات، وكان على الحارس منع أهل الذمة من دخول المسجد وذلك بأمر من السلطان الظاهر بيبرس البندقداري، بعد زيارته لبلد الخليل –عليه السلام– سنة (664هـ/1265)[6] وتعدت حراسة القيم على المسجد وممتلكاته إلى

1– العليمي، **الأنس الجليل**، 97/2.

2 السبكي، **معيد النعم ومبيد النقم**، 16،محمد أمين، **الأوقاف والحياة الاجتماعية**،191.

3 العليمي، **الأنس الجليل**، 210/2.

4 الهروي، **الإشارات لمعرفة الزيارات**، 35؛ العليمي، **الأنس الجليل**، 46.

5 راجع الدراسة، 3–4.

6 المقريزي، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 33/2،النويري، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، 283/30.

ممتلكات الزائرين، حيث يذكر النابلسي في رحلته أن نعال الزائرين توضع عند رجل في الباب، وظيفته حفظ نعال الزائرين من النساء والرجال، ويلبس الزائر نعاله في الدرج [1].

ويبدو أن اتساع المسجد وتعدّد أبوابه كان يوجب أن يكون هناك أكثر من قيم وحارس يقوم على صون مقدساته وحفظ حرمة مقام أنبيائه.

إنارة المسجد

وتكون وظيفته من يتولى هذه المهمة إنارة قناديل المسجد، والقناديل التي بداخل مقامات الأنبياء بالزيت[2]، وعليه إنارة القنديل الذي بداخل فتحة الغار الشريف، وكان يسمى بصاحب السرداب[3] والقنديل[4].

قيّم المسجد

وهو من كان يقوم بمهمة كنس المسجد ومقامات الأنبياء، ونفض حُصرها من الغبار ومسح حيطانها وغسل قناديلها، ورش ماء الورد لإضفاء الرائحة الزكيه فيه، ويلزم بغلق أبوابها عقب الصلوات وصيانتها من الصبيان والمجانين، وممن يأكل فيها الطعام وينام أو يعمل صناعة أو يبيع فيها سلعه، أو يجلس لحديث الدنيا[5]، وفي العصر المملوكي زاد الظاهر بيبرس من رواتبهم بعد زيارته لبلد الخليل –عليه السلام – [6].

---

1 النابلسي، **الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية**،621.

2- القدس، **سجلات المحكمة الشرعية**، 2/36-1/؟/6.

3- السرداب : خباء تحت الأرض يلجأ إليه من حر الصيف، ابن منظور، **لسان العرب**، باب الباء، فصل السين،مادة "سردب".

4- العمري، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، 332/3.

5- ضياء الدين بن الأخوه، **معالم القربه في طلب الحسبه**،172.

6- ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، 194/7.

ولم تسعفنا المصادر التاريخية بمعرفة أسمائهم أو رواتبهم، ولم نجد في سجلات المحكمة الشرعية في القدس والخليل، إلا أسماء موظفي مسجد الخليل-عليه السلام- من فرش وكنس في فترة الحكم العثمانية [1].

كشّاشّ الحمام (حمامجي)

وهي وظيفة وردت بسجلات المحكمة الشرعية إختصت بها عائلة بدر (كشكول)([2])،ويبدو أنه كان يقوم بدوره بإبعاد الطيور عن صحن المسجد للمحافظة على نظافة الصحن لتأدية الصلاة.

ثالثاً: الإدارة التابعة للمسجد

معلمو السماط

وهم العاملون على طبخ سماط الخليل – عليه السلام-، وكانوا في بداية العصر المملوكي يقومون بذلك داخل المسجد، إلى أن تم إنشاء الرباط المنصوري من قبل السلطان المنصور قلاوون سنة (679هـ/1280م) [3]، في الجهة الجنوبية الغربية من المسجد بالقرب من القلعة [4]، حتى لا يعيق توزيع السماط على صلاة المصلين أو دخولهم للمسجد، وكانت تصرف رواتبهم من نظارة الوقف، وهي من تقوم بتوفير مستلزمات السماط من آنية وزيت وحطب[5]، وكذلك توزيع العاملين لسماط الخليل – عليه السلام- كان كذلك تحت إشرافهم[6].

1- الخليل، **سجلات المحكمة الشرعية**، 2/نمره31/17-70.

2- الخليل، **سجلات المحكمة الشرعية**، 18/نمره 20/30.

3- العليمي، **الأنس الجليل**، 2/89،79.

4- الخليل، **سجلات المحكمة الشرعية**، 5/نمره24/307.

5- القدس، **سجلات المحكمة الشرعية**، 9/9/9-9/922/1،9/6/5-1/؟/6.

6- العمري، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، 159/1؛ العليمي، **الأنس الجليل**، 63/1.

الفصل الرابع: أوقاف وهبات المسجد في العصر المملوكي

أولا : تعريف الوقف وأنواعه

ثانيا: دوافع الوقف في العصر المملوكي

1. **الأسباب الدينية**
2. **الأسباب السياسية**
3. **الأسباب الإقتصادية**

ثالثا :أعيان الموقوفات التابعة للمسجد

رابعاً: مصروفات الوقف

خامساَ: هبات السلاطين المماليك على الوقف والسماط

أولا : تعريف الوقف وأنواعه

الوقف لغة : الحبس والمنع، وهو مصدر الفعل وقف، ووقف الأرض على المساكين حبسها[1]، ووقفها توقيفا، جعل في يديها الوقف [2].

وشرعا: حبس العين المملوكة ملكا تاما، عقارا أو منقولا، على حكم الله تعالى والتصدق بمنفعته على ذوي القربى أو غيرهم ولو غنيا[3].

وقوام الوقف حبس العين أن لا يتصرف فيها بالبيع والرهن والهبة، ولا تنتقل بالميراث وصرف المنفعة لجهات الوقف على مقتضى شروط الواقف [4].

والأوقاف أربعة أنواع :

1. الوقف الخيري أو الحكمي، وهو ما خصص ريعه ابتداء على جهة من جهات البر كالوقف على المساجد والمدارس والمشافي [5]، أما الحكمي فهو الوقف الذي حدد حكم الحاكم بصحته، فهو ثابت لا يمكن نقصه أو الاعتداء عليه [6]، وهو من أنواع الوقفيات المعروفة في العصور الإسلامية، وزاد انتشارها زمن الأيوبيين والمماليك، وهي مخصصه للإنفاق على الحرمين الشريفين في مكة والمدينة والقدس والخليل[7]، وعلى جهات البر والصدقات، وفداء الأسرى ويصرف ريعه في أوجه الخير المختلفة كالمساجد

1- ابن منظور، **لسان العرب**، باب الفاء، فصل الواو، مادة (وقف).

2- الفيروز أبادي،**القاموس المحيط**، باب الفاء، فصل الواو، مادة (وقف).

3 -محمد أسعد الحسيني،**المنهل الصافي في الوقف وأحكامه**، 7.

4- عبلة المهتدي،**أوقاف القدس في زمن الانتداب البريطاني**، 23.

5- محمد أسعد الحسيني،**المنهل الصافي في الوقف وأحكامه**،7.

6 - طالب الصوافي، مؤتمر بيت المقدس الإسلامي الدولي الرابع، **دور المماليك في دعم أوقاف المؤسسات التعليمية في القدس**،112.

7- طالب الصوافي، مؤتمر بيت المقدس الإسلامي الدولي الرابع، **دور المماليك في دعم أوقاف المؤسسات التعليمية في القدس**، 112؛ محمد الخطيب، **الأوقاف الإسلامية في فلسطين في العصر المملوكي** رسالة دكتوراه، 13.

والمدارس والزوايا[1]، وكانت هذه الأوقاف منذ عهد الظاهر بيبرس تحت إشراف قاضي القضاة الشافعي[2].

2. الأوقاف الأهلية (الذرية): وهي الأوقاف التي خصصت منافعها إلى شخص أو أشخاص معينين وذريتهم من بعدهم، ثم إلى جهة من جهات البر بعد انقراض الموقوف عليهم ويسجل هذا الوقف في المحكمة الشرعية، ويطلق عليه حجة الوقف أو الوقفية[3].

وكانت غالبية هذه الوقفيات للإنفاق على الحرمين الشريفين بمكة والمدينة أولا، ثم على الحرمين الشريفين في القدس والخليل ثانيا، وبالتالي على المساجد والمدارس والزوايا وما شابه ذلك من المؤسسات الخيرية[4].

3. الوقف المشترك :حيث تخصص الغلة إلى الذرية وجهة بر معا، ويجب في جميع الأحوال أن ينتهي الوقف إلى جهة بر لا ينقطع [5].

4. الأحباس: وهي الأراضي الزراعية التي يعطيها الخلفاء والملوك والسلاطين بمقتضى حجج شرعية أو تقاسيط ديوانية إلى بعض الناس، وقد وقفت هذه الأحباس على المنشآت الدينية كالمساجد والمدارس والربط، وأعفيت من الضرائب [6]، وبلغ من اهتمام سلاطين المماليك بديوان الأحباس، أنه في أحوال كثيرة تولى السلطان بنفسه الإشراف

1- سيد سابق، **فقه السنة**، 521/3.

2- ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، 165/11.

3- عبلة المهتدي، **أوقاف القدس في زمن الانتداب البريطاني**، 26.

4- محمد أبشرلي، **أوقاف وأملاك المسلمين**، ف.

5- عبلة المهتدي، **أوقاف القدس في زمن الانتداب البريطاني**، 26.

6- محمد الخطيب، **الأوقاف الإسلامية في فلسطين في العصر المملوكي**، 12.

العام على ديوان الأحباس، وفي أحيان أخرى فوض هذا الإشراف إلى نائب السلطنة أو الموظفين الكبار[1].

ولكل وقف من هذه الأوقاف ناظر خاص به حسب شروط الواقف،وهذا الناظر في الغالب ما يكون هو الواقف نفسه أيام حياته،ومن بعده لأولاده، أو لمن يوصي له بذلك من الأمراء والشيوخ[2].

وفي عهد الدولة العثمانية، وبعد صدور أول قانون مدني منظم يحكم أراضي الدولة العثمانية، قسمت أراضي الأوقاف إلى قسمين :

1. أراضي الأوقاف الصحيحة وحازت على صحتها من خلال ملكية الواقف لرقبتها ملكية خاصة.
2. أراضي الأوقاف غير الصحيحة ووصمت بعدم الصحة لنفي الملكية الفردية الخاصة عن رقبتها، وتأكيد ملكية الدولة أو الخزينة لها، وتتألف من الأراضي الزراعية وغير الزراعية القائمة خارج حدود الأراضي المشمولة بالعمران، وبما أن ملكيتها تعود للخزينة فإن حبس رقبتها ومنافعها لا بد أن يأتي من الإمام أو السلطان المؤتمن على ممتلكات الخزينة، ونتيجة لذلك تندرج الغالبية العظمى من الأوقاف في قائمة الأوقاف غير الصحيحة [3].

1- محمد محمد أمين، **الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر**، 111.

2- أمين أبو بكر، **أوقاف الحرم الإبراهيمي**، 438، 439.

3- طالب الصوافي، مؤتمر بيت المقدس الإسلامي الدولي الرابع، **دور المماليك في دعم أوقاف المؤسسات التعليمية في القدس**، 114/1.

وبالاستناد إلى نصوص الوقفيات التي سطرت بشأن أراضي الأوقاف غير الصحيحة التي حبست على مصالح المسجد الإبراهيمي، نجد أن معظمها يرجع في تاريخه للعهدين الأيوبي والمملوكي[1].

وتعتبر أوقاف المسجد الإبراهيمي من الأوقاف واسعة الانتشار شملت عقارات مختلفة كالدكاكين والحمامات والبساتين والخرب والمزارع والبيوت والطواحين والمخازن والكروم والأشجار في القدس وقاقون والرملة واللد وغزه ونابلس ومصر والشام، [2].

ثانيا: دوافع الوقف في العصر المملوكي:

حتمت طبيعة العصر المملوكي وظروفه على انتشار الوقف وازدهاره، فكل من كان لديه أرض أو عقار أو مال ثابت أو منقول، كان يتطلع إلى وقفه لسبب أو لآخر [3].

وقد حاول ابن خلدون أن يعطي تعليلا لظاهرة انتشار الوقف في ذلك العصر الذي لفتت انتباهه وهو أن "أمراء الترك في دولتهم يخشون عادية سلطانهم على من يتخلفونه من ذريتهم لما له عليهم من الرق أو الولاء، ولما يخشى من معاطب الملك ونكباته، فاستكثروا من بناء المدارس والزوايا والربط، ووقفوا عليها الأوقاف المغلة، يجعلون فيها شركا لولدهم ينظر عليها أو يصيب منها، مع ما فيهم غالبا من الجنوح إلى الخير، والتماس الأجور في المقاصد والأفعال، فكثرت الأوقاف لذلك وعظمت الغلات والفوائد، وكثر طالب العلم ومعلمه بكثرة جرايتهم منها،وارتحل إليها الناس في طلب العلم من العراق والمغرب، ونفعت بها أسواق العلوم وزخرفت نجارها"[4].

1- أمين أبو بكر، **أوقاف الحرم الإبراهيمي**،439.

2- محمد عدنان البخيت، **لواء القدس الشريف من دفتر تحرير طابو** 131.

3- محمد محمد أمين، **الأوقاف والحياة الاجتماعية**، 70.

4- ابن خلدون، **المقدمة**، 363/1.

وبهذا فقد كانت هناك عدة دوافع استدعت السلاطين المماليك للإكثار من الأوقاف وهي كالآتي:

1.الأسباب الدينية:

فقد شهد عصر سلاطين المماليك نشاطاً دينيًا يسترعي الانتباه، بخاصة بعد أن غدت مصر قاعدة الخلافة العباسية، ومقصد المسلمين في المشرق والمغرب، فالاهتمام بالأوقاف هو شكل طبيعي لتثبيت أركان الدولة الإسلامية، وتقوية نفوذ المماليك وشعبيتهم من خلال إسهاماتهم الجليلة في الوقف، وبناء المؤسسات الدينية من مساجد ومدارس وغيرها[1]، وزاد من ذلك صراع المماليك مع الأحلاف الشيعية من بواقي الخلافة الفاطمية [2].

وانصب اهتمام المماليك من أوقاف وغيرها على المساجد، وقلما أن نجد سلطانا منهم لم يشيد مسجدا أو أكثر، حيث إنها لم تكن تستخدم مواضع للعبادة فحسب، بل استخدمت مواضع للعلم [3]، وكان شرفٌ عظيم ودعامةٌ كبرى لكل حاكم مسلم أن يظهر أمام المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها في صوره حامي الحرمين الشريفين مكة والمدينة، والحرمين القدس والخليل [4].

2. الأسباب السياسية :

وفي مقدمتها الخطر الفرنجي (الصليبي)، حيث حرص سلاطين المماليك على جعل فلسطين وأكنافها قادرة على مواجهة أخطار الفرنجة والمغول من خلال نظام الوقف الإسلامي

1- فايز الزاملي، **الأوقاف في فلسطين في عهد المماليك**، رسالة ماجستير، 66.

2- سعيد عاشور، **الأيوبيون والمماليك في مصر والشام**، 319.

3- نفسه، 320.

4- محمد الخطيب، **الأوقاف الإسلامية في فلسطين في عصر سلاطين المماليك**، رسالة دكتوراه، 15؛ طالب الصوافي، **دور المماليك في دعم أوقاف المؤسسات التعليمية في القدس**، مؤتمر بيت المقدس الإسلامي الدولي الرابع، 113/1.

الذي أتاح نمواً لاقتصاد المدينة، وبالتالي جعلوها محط أنظار المسلمين للعيش والمجاورة فيها في وجه الأعداء، ولتكون هذه الزيادة السكانية المرجوة ذخراً استراتيجياً للدفاع عن تلك الأراضي المباركة أمام التحديات [1].

كما كان للعلاقة بين الحكام بالمحكومين، وفي العلاقات الداخلية بين أفراد الطبقة الحاكمة ذاتها، وهي من قام بتعليلها ابن خلدون[2]، ذلك أن سلاطين المماليك لم يصلوا إلى حكم البلاد عن طريق شرعي، حسب مفهوم العصر، وإنما كانوا غرباء عن البلاد وأهلها فانعكس ذلك على كثير من النظم السياسية، ومنها الزيادة من نظام الوقف.

3.الأسباب الاقتصادية :

شهد عصر المماليك ظروفا اقتصادية ومستجدات أدت إلى انتشار الأوقاف وازدهارها وتمثلت هذه الظروف في انتعاش الحياة الاقتصادية بدولة المماليك في معظم سنوات حكمهم نتيجة لازدهار التجارة الداخلية والخارجية، ومما شجع عامة الناس على وقف أملاكهم؛ إعفاء هذه الأوقاف من إخراج الضرائب[3].

إضافة لذلك كان للنظم المالية في عصر سلاطين المماليك ما يساعد بطريقة غير مباشرة على زيادة الأوقاف وانتشارها، كديوان المواريث الحشرية[4] التي كانت تعود ملكيتها للأوقاف.

1- فايز الزاملي، **الأوقاف في فلسطين في عهد المماليك**، رسالة ماجستير، 65.

2-**المقدمة**، 363/1.

3- محمد محمد أمين، **الأوقاف والحياة الاجتماعية**، 90.

4 -المواريث الحشرية : هي مال من يموت وليس له وارث خاص بقرابة أو نكاح أو ولاء، القلقشندي **صبح الأعشى**، 532/3.

وكان هناك حرص من سلاطين المماليك على حماية الأملاك والأوقاف التابعة للحرم القدسي في مكة والمدينة والقدس والخليل، ففي 3 رجب من سنة (701 هـ/1301م) أمر السلطان الناصر محمد بن قلاوون بالوصية بأوقاف الحرمين الشريفين إلى الإسفهسلار [1] بقوله: "إننا قد رسمنا بالوصية بأوقاف الحرمين الشريفين، وإجرائها في الإكرام الرعاية والخدمة وتخفيف الوطأة، وحسم مواد الضرر على العادة في ذلك، والقاعدة المستقرة إلى آخر وقف وإيصال المرتب من الغلات والغير والأصناف من الأرزاق الشطروش إلى مباشري الأوقاف المبرورة، من غير تأخير ولا إهمال، على ما يشهد به الديوان المعمور إلى آخر وقت، فليعتمد مرسومنا هذا كل واقف عليه، ويبادر إلى العمل به، والله تعالى الموفق بمنه وكرمه، كتب ثالث شهر رجب الفرد سنه إحدى وسبعين بالإشارة الملكية الركينة نائب السلطنة الشريفة بالديار المصرية (الأمير سلار، وقد صدر المثال عن السلطان بإشارة من الأمير المذكور)، علاه الله تعالى الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم " [2].

وبالرغم من كل ما ذكر؛ لم يكن للمماليك فلسفة ثابتة في النظرة إلى الأوقاف، فكما أن هناك دوافع سياسية ودينية واقتصادية دفعتهم للإكثار من الأوقاف وحمايتها، حاد بعض سلاطينهم وأمرائهم عن فلسفةأسلافهم، فكانت القوانين والمبادئ المنظمة للأوقاف تسير في كثير من الأحيان وفق أهوائهم، ووجدوا من يزين لهم الاعتداء على الأوقاف من بعض الفقهاء، بدعوى النفقة على المماليك، والزيارة في إقطاعياتهم ومخصصاتهم، وتجهيز التجاريد

1- الاسفهسلار: بسينين مهملتين بينهما فاء ثم هاء من ألقاب أرباب السيوف ومعناها مقدم العسكر، وهو مركب من لفظين :فارسي، وتركي، (أسفه) بالفارسية بمعنى المقدم، و(سلار) بالتركية بمعنى العسكر القلقشندي، **صبح الأعشى**، 6/6.

2- كامل العسلي، **وثائق مقدسية تاريخية**، 182/1.

العسكرية للدفاع عن الدولة، فأدى ذلك إلى إخراج الوقف عن أهدافه ومقاصده، وتلاشيه بين فترة وأخرى[1].

إضافة إلى ذلك كان هناك نظام عرف بحل الوقف، أصدره أول مرة الأمير برقوق سنة (780هـ/1378م)لحل أوقاف المدارس، والزوايا، والخوانق، والربط، وإقطاعات الأمراء بحجة تمويل أرزاق الجيش، وصدر كمرسوم رغم معارضة الفقهاء ورجال الدين [2].

ثالثا :أعيان الموقوفات التابعة للمسجد

انتشر نظام الوقف في العصر المملوكي بدرجة كبيرة واختار كثير من السلاطين والأمراء والتجار وغيرهم المشاركة بجزء من ثرواتهم لمسجد إبراهيم الخليل –عليه السلام– وسماطه وكانوا معنيين في تثبيت تلك الأوقاف، أما بنقوش داخل المسجد، أو بحجة شرعية توضح أركانه والغرض منه، وحجمه، وكيفية الاستفادة من ريعه، والمستفيدين منه والقائمين على رعايته في السجلات، وتم حفظ جزء من تلك الحجج في صندوق العمل[3] وقام معدو كتاب المسجد الإبراهيمي[4] بتحريرها من سجلات المحكمة الشرعية في القدس.

1- نوفان سوارية، سعيد خليل، **الأوقاف الأيوبية والمملوكية بناحية القدس استناداً إلى دفاتر الطابو العثمانية (932هـ-934هـ/1525-1528م)**، مؤتمر بيت المقدس الإسلامي الدولي الرابع،98/1.

2- المقريزي، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 57/5؛ابن إياس، **بدائع الزهور**، 235/1.

3- صندوق العمل :هو الصندوق الذي يحتوي على سجلات الأوقاف التابعة للمسجد الإبراهيمي كذلك الأوراق والأشياء القيمة المختصة بالمسجد وللصندوق قفل ومختوم، ويحتفظ به في مقام سيدنا يوسف – عليه السلام – ولا يفتح إلا من مأمور الأوقاف وبحضور هيئة مؤلفه من ممثل لكل عائله من عائلات الخليل المعروفة، وتم فتحه من المراقب العام سنة (1347هـ/ 1928م)،ووجد في الصندوق عدد غير قليل من الصكوك والحجج والوقفيات المتعددة بحاله رثة، وبدون ترتيب وختم، القدس، سجلات المحكمة الشرعية، **الشؤون العامة المتعلقة بالوقفيات والوثائق /صندوق العمل وما يحتويه 1928**،13/10-6/28/5.

4 –صلاح أبو ارميلة، حافظ أبو سرية الحسيني، **المسجد الإبراهيمي**،153.

كما تم رصد أجزاء من تلك الأوقاف من خلال دفاتر الطابو في العهد العثماني، وهو العهد الذي بدأ فيه صدور أول قانون مدني منظم يحكم أراضي الدولة العثمانية حيازة وتصرفا واستغلالا[1]، وفيه تم إعادة تسجيل بعض من تلك الأوقاف التي تعود إلى الدولة الأيوبية ودوله المماليك، كالدفاتر التي تحمل أرقام (724 و522و131)، وعلينا أن نشير أن السجل الرسمي أطلق اسم الحرمين الشريفين أيضا على حرمي المسجد الأقصى وخليل الرحمن[2]، واحتوت على أوقاف للمسجد تعود للعهد المملوكي، كما تم رصد أجزاء أخرى من سجلات المحاكم الشرعية في القدس والخليل، ولم تخل المصادر التاريخية من التدليل على بعض تلك الأوقاف التي عادت إلى المسجد.

وتم تقسيم أعيان تلك الوقفيات إلى قسمين:

1) مسقفات (عيون الماء والحوانيت) وهي كالآتي:

1. عين الطواشي :

ففي سنة (712هـ / 1312م) قدم البريد بإجراء الأمير علم الدين سنجر الجاولي عين ماء إلى الخليل [3]، ويبدو أن مياه العين تلك كانت قليله، وكانت هناك صعوبة في الانتفاع منها فكان لا بد من مبادرة أحد المحسنين من الأمراء بمشروع ري متطور يسد حاجة أهل البلاد وزوار المسجد والوافدين عليه، وكان هذا المحسن الأمير بكتمر الجوكندار [4]، فرصد الأموال وأوكل إلى بعض رحاله الإشراف على بناء القناة من عين الطواشي على باب

---

1 - أمين أبو بكر، **أوقاف الحرم الإبراهيمي**، 434.

2- محمد عدنان البخيت،**لواء القدس الشريف من دفتر تحرير 427**،119.

3 - المقريزي، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 490/2.

4- خليل عثامنه، **فلسطين في العهدين الأيوبي والمملوكي**، 426.

المسجد الشمالي بالقرب من السور ومنعها من قرية مجدل فضيل، ووقفت المياه على مصالح العين والحوض على باب المسجد [1].

وبسبب انخفاض موقع المنبع عن مستوى البلد فقد بنيت القناة بطريقة هندسية معينة بحيث كان الماء يجري فيها صعدا إلى الأعلى فيصل إلى حوض يوزع منها الماء [2] ووصفها ابن فضل الله العمري الذي زار الخليل سنة (745هـ/1344م)، " وأجرى بكتمر الجوكندار قبل أن يكون كافل المماليك إليها عين ماء كانت على بعد منها ولقد شاهدت بها الماء جاريا في طبقة عليه يصعد إليها من نحو عشرين درجة في العلو " [3].

وتمت إعادة إعمار هذه القناة سنة (860هـ/1455م) ونقش على صدر الرواق القائم على العين ما يلي: "بسم الله الرحمن الرحيم .فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها . جدد عمارة هذه القناة المباركة والسبيل من أصل ينبوعها وإلى باب حرم سيدنا الخليل –عليه الصلاة والسلام، ابتغاء وجه الله، المقر الأشرف العالي المولوي السيدي المالكي المحبي الصاحبي الجمالي، ناظر الجيوش المنصورة والخواص الشريفة، بالمماليك الإسلامية المحروسة عظمه الله، في سادس رجب، سنة ثمانية وستين"[4].

ومع عدم الذكر الصريح لمجدد العين، يتبين لنا أن الذي قام بالتجديد هو الأمير حسن بن أيوب نائب السلطنة المملوكية في عهد الملك الأشرف إينال، حيث تولى السلطنة في الفترة ما بين عامي (857-866هـ /1453-1461م)[5].

1-العليمي، **الأنس الجليل**، 80/2.

2- خليل عثامنه، **فلسطين في العهدين الأيوبي والمملوكي**، 426.

3- **مسالك الأبصار في مماليك الأمصار**، 545/3.

4- يونس عمرو، **رقوم المسجد الإبراهيمي**، 504-505.

5 – نفسه، 506.

2. عين الحمراء :

أوقفها السلطان الأشرف إينال على المسجد سنة (861هـ/1456م)،وتقع قريبا من الباب الجنوبي الشرقي للمسجد الإبراهيمي وترتفع عن الأرض (230 سنتمترا).[1]

وثبتت لوحه على صدر رواق العين كتب فيها :

"بسم الله الرحمن الرحيم. فانظر إلى أثر رحمة الله كيف يحيي الأرض موتها إن ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير .عمرت هذه القناة المباركة من ينبوعها وإلى حرم الخليل عليه السلام برسم السماط الكريم الخليلي والمغالق[2] الكريمة في أيام مولانا السلطان الملك الأشرف الناصر أينال، خلد الله ملكه، وذلك بنظر المقر الأشرف العزي، ناظر الحرمين الشريفين، عبد العزيز العراقي، أعز الله أنصاره، في خامس عشرين من رجب الفرد،سنة إحدى وستين وثمانمائة، والحمد لله وحده، وصلي الله على سيدنا محمد وآله"[3].

لم تكن عين الطواشي وعين الحمراء المياه الوحيدة التي أوقفت على المسجد لتزويده بالمياه في العصر المملوكي، فقد كانت هناك عدة مصادر تتوه عنا معرفتها، كقناة إينال وقناة أخرى غير معروف اسمها، حيث عثر على حجر رخامي وجد في غرفة المزيتة كان قد كسر نصفين أثناء اقتلاعه من مكانه، ولم يستفد منه بمعرفة مكان هذه القناة أو اسمها، التي يبدو من تاريخها أنها من عهد السلطان الملك الناصر ناصر الدين حسن من أولاد الملك محمد بن قلاوون [4]، ويظهر من خلال نص الحجر حرص السلاطين على أن لا تمس تلك الوقفيات بالإزالة أو السلب، فقد جاء نصه كالتالي: " بسم الله الرحمن الرحيم كل من سعى

1- يونس عمرو، **رقوم المسجد الإبراهيمي**، 499.

2- المغلق: كلمة تطلق على مخازن الغلال الخاصة بالسماط في المسجد الإبراهيمي الشريف، العليمي **الأنس الجليل**، 270/2.

3- يونس عمرو، **رقوم المسجد الإبراهيمي**، 500-501.

4- نفسه، 522-523.

في إبطال ما كتب في هذه القناة المباركة ألغي المحدث بسبب أكبر، وعليها كتب حجج ومن محاقٍّ تصدق الخليل إلزام من أهلها بمؤنة عمارتها، كان الله وخليله خصمه يوم ألقيامه. كتب في العشر الأول من شهر شوال، سنة سبعمئة وستين "[1].

3. بركة الخليل (صميل): أوقفها الملك المنصور الزيني في (10 رمضان 808هـ/1405م) ليصرف ريعها إلى مصارف وقف المسجد الإبراهيمي من عمارته وعمارة أوقافه ومصارفه وكلفة السماط، وحفظ وقفها وشروطها في صندوق العمل في حجرة يوسف – عليه السلام[2]

4. وقف حسام عبد الله البكري تجارتكاه بمصر، حيث أوقفه حانوتاً بالخليل في 18 ذي القعدة من سنة (682هـ/1283م)، ووثق الوقف ضمن صندوق العمل في مقام سيدنا يوسف –عليه السلام –[3].

5. وأوقف علم الدين بن علي الشافعي في 5 ربيع الثاني من سنة (728هـ/1327م)عدة عقارات في مدينة الخليل، وشروط الوقف كانت تصرف على شرط الملك قلاوون وحفظ الوقف في صندوق العمل [4].

6. وأوقفت كذلك دار في الخليل، لفاطمة بنت فخر الدين أباظة في 3 شعبان في سنة (788هـ/1386م)[5].

7. خان وحانوت ودار ليونس بن عبد الله الدوكار في طريق المسجد في 13 شعبان من سنة (788هـ/1386م).

1- يونس عمرو، **رقوم المسجد الإبراهيمي**، 520-521.

2- صلاح أبو أرميله، **المسجد الإبراهيمي**، 157.

3- نفسه، 151.

4- نفسه، 153.

5- نفسه، 155-156.

2)مستغلات (قرى، وأراضي زراعيه)[*]وهي كالآتي :

1. قرية مجد فضيل بالخليل تقع ظاهر مدينة الخليل جهة الغرب، ومنها تنبع عين الطواشي المارة بباب المسجد من جهة الشمال، أوقفها السيفي في 22 ربيع الأول سنة (709هـ/1309م)[1].
2. قرية كفر البريك في بني نعيم، وواقفها مجهول، وقفت في 11 ربيع الآخر من سنة (716هـ/1316م). وتضمن صندوق العمل وثيقة إثبات القرية لجهة الوقف أثناء دعوى مقامه بين المتولي وأهل القرية[2]، ولنا أن نستبعد تاريخ وقفية قرية كفر بريك وبني نعيم لهذا التاريخ، لوجود دليل آخر أقوى وما زال يحتفظ بحالة جيدة، وهو نقش الحجر الرخامي داخل المسجد فوق الباب الواصل بين الحضرة الخليلية والمصلى الرئيس حيث تضمن النقش أن الملك المعظم عيسى الأيوبي، وقف قريتي دورا وكفر بريك (بني نعيم) على المسجد وحدد وجوه إنفاق ريع هاتين القريتين بالنص التالي " بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أمر بعمله مولانا السلطان الملك المعظم، شرف الدنيا والدين، أبو العزائم عيسى، ابن مولانا الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب، خليل أمير المؤمنين أدام الله دولتهما وأعلى كلمتهما، مضافا إلى ما وقفه وجسه وتصدق به على المقام الشريف،المشتمل على ضريح الأنبياء عليهم السلام، وذلك جميع القريتين المعروفتين بدورا وكفر بريك، بحدهما وحدودهما المشتمل عليها كتاب الوقف، بعمارة المشهد المذكور وأرزاق خدامه وبر ضيافة زائره،وكسوته ووقوده وقفا مؤبدا وحبسا محرما إلى

---

* – قام الدكتور شوكت حجة والدكتور عبد القادر الجبارين بتحقيق ودراسة أوقاف المسجد الإبراهيمي من خلال سجلات محكمة القدس الشرعية في فترة إعداد هذه الدراسة، وتم بعثها للتحكيم.

1– العليمي،**الأنس الجليل**، 80/2،عدنان البخيت، **لواء القدس الشريف من دفتر تحرير427**،215،صلاح أبو ارميلة، **المسجد الإبراهيمي**، 151.

2- صلاح أبو أرميله، **المسجد الإبراهيمي**، 152، مصطفى الدباغ، **بلادنا فلسطين**، 57،عدنان البخيت **لواء القدس من دفتر تحرير 427**،301.

أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، تقبل الله منه وغفر له ولوالدته ولجميع المسلمين وصلى الله على محمد خاتم النبيين، وذلك في غرة المحرم سنة اثنتي عشرة وستمائة[1].

3. قرية المزارع بوادي بني زيد من أعمال اللد، أوقفها الملك سنجر بن محمد الناصر في 10 رجب سنة(716هـ/1316م)[2].
4. مزرعة سوبا، من أراضي قرية دوره، أوقفها المخزومي السيفي (720هـ/1320م).
5. غار معبد نابلس حيث أوقفه الملك سنجق في 3 ذي الحجة سنة (746هـ/1345م) وأشترط الوقف بعد عمارة القرية بأن يقسم الريع نصفين النصف الأول للمسجد الإبراهيمي؛ لأجل جلب الحطب للمطبخ، والنصف الآخر للمسجد الأقصى والواردين إليه [3].
6. قرية الطيبة، أوقفها الملك الناصري في 24 ربيع الأول سنة(753هـ /1352م) واشترط فيها أن يصرف من غلته لبقاء عين الوقف، وما فضل للفقراء المجاورين لمسجد سيدنا إبراهيم الخليل –عليه السلام – وفوض الناظر صرفه نقودا أو خبزا وطبخا[4].

1- يونس عمرو، **رقوم المسجد الإبراهيمي**، 390–391.
2– نفسه، 153.
3- صلاح أبو ارميلة، **المسجد الإبراهيمي**، 153–154.
4– نفسه، 154.

7. المزارع من أعمال اللد، أوقفها الملك الناصري في 14/رمضان سنة(756هـ/م) واشترط وقفها لعمارة المسجد وإصلاحه، وما فضل يصرف في كلفة سماط الخليل – عليه السلام[1].

8. بساتين كنار(جنوب مدينة الخليل)، أوقفها الملك السيفي في 10 ذي الحجة سنة (779هـ/1377م).

9. قرية فرديسيا من أعمال قاقون نابلس،أوقفها حسن الظاهري في شوال سنة (795هـ/1392م)[2].

10. قرية الرشيدة من أعمال غزه، أوقفها سيف الدين بن عبد الله الناصري في18 . شعبان سنة (808هـ\1405م)[3].

11. قرية نحالين أوقفها الملك الناصري في 22 ذي القعدة سنة (811هـ/1408م) على مصالح المسجد الإبراهيمي الشريف[4].

12. منطقة رشيدا من أعمال قسارية قاقون أوقفها علي ناصر الدين السيفي،في 17/محرم من سنة (819هـ/1416م)على المسجد والسماط[5].

13. منطقة البقعة في القدس الشريف أوقفها الفاضل عبد الله بن محمد المرادي في 19 ربيع الآخر سنة (821هـ/1418م) وأوقف باقي المنطقة الملك الطاهر، وشهاب الدين نقيب

1- صلاح أبو ارميلة، **المسجد الإبراهيمي** ، 155.

2- نفسه، 156.

3- نفسه، 156.

4- نفسه، 158.

5- نفسه، 159.

العلماء في 21.شعبان سنة(824هـ/1421م) وشرط وقفها على سماط السيد الخليل تعذرا أو إمكانا[1].

14.منطقة خربة شويكة بني قيس /غرب السموع، أوقفها الملك الظاهر أبو سعيد جقمق في 29 ذي القعدة سنة(852 هـ/1448م)[2].

15.قرية عتيل في جنوب الخليل، أوقفها الملك الظاهر بيبرس في 3.شوال سنة (871هـ/1466م) على مصالح مقام سيدنا الخليل وترميمه وعلى الفقراء القاطنين فيه[3].

16.منطقة البصة، أوقفها محمد بن عبد الله السعيدي البطامي في 14.صفر سنة (886هـ/1481م)[4].

وتحتوي الحضرة الخليلية على لوحة رخامية تحتوي على وقفية القرى الموقوفة على المسجد الإبراهيمي، تقع تحت وقفية دورا وكفر بريك جاء نصها كالتالي:

"بسم الله الرحمن الرحيم .هذا ما وقفه وحبسه وأبَّده وتصدق به، ابتغاء وجه الله تعالى ورجاء ثوابه ما ولي المسلمين، تغمده الله بالرحمة، ما يذكر من ضياع الوقف، بجميع حدودهم على المقام الشريف، المشتمل على ضريح سيدنا الخليل، والأنبياء عليهم السلام وهي قرية دورا وكفر بريك، ودير صفوان، وخرسا[5]، وإذنا[6]، وحلحول بكمالهم، ومن

1- صلاح أبو ارميلة، **المسجد الإبراهيمي** 159- 160.

2- نفسه،160-161 ؛عدنان البخيت، **لواء القدس الشريف من دفتر تحرير 427**،303.

3- نفسه، 161- 162.

4- صلاح أبو ارميلة، **المسجد الإبراهيمي**، 162.

5- عدنان البخيت، **لواء القدس من دفتر تحرير 131**،103،عدنان البخيت، **لواء القدس الشريف من دفتر تحرير427**،299.

6- عدنان البخيت، **لواء القدس من دفتر تحرير 131**،104

قرية طيبة الاسم وخارجها دير عسفين من ساحل قاقون، ثمانية أسهم وخمسيٍّ سهمٍ من أربعةٍ وعشرين قيراطاً ونصف قرية زكريا من عمل القدس الشريف على مصالح الحرم الشريف. وأرزاق خدامه وسماطه، وضيافة زواره، وكسوته ووقوده، وعمارته وعمارة مشاهد لوط ويونس واليقين عليه السلام، ووقودهم، وأرزاق خدامهم، وكذلك قرية إرطاس من أعمال القدس، وقرية الأنقر، وقفاً على المقام الشريف ورباطهِ وبيمارستانهِ وطهارتهِ، وقفاً مؤبداً وحبسًا محرماً، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين، تقبل الله منهم رحمة" [1].

17. قرية دير إستيا، أوقفها الظاهر برقوق على المسجد[2]، ونقش وقفها بحجر رخامي فوق باب المصلى الرئيس، يرتفع الحجر عن الأرض مترين ونصف بالنص التالي :

"بسم الله الرحمن الرحيم.هذا ما وقفه وسبله حسبة ورجاء للثواب، وابتغاءً لما عند الله في الثواب، يوم يجزي الله المتصدقين، ولا يضيع أجر المحسنين، مولانا السلطان المالك الملك الظاهر، سيف الدينا والدين، سلطانُ الإسلام والمسلمين، محيي العدل في العالمين صاحب سبل القبلتين، خادم الحرمين الشريفين، مَرَدّ الملوكِ والسلاطين، قسيمُ أمير المؤمنين أبو سعيد برقوق بن السعيد الشهيد شرف الدنيا والدين، أبو المعالي آنسُ، خلد الله تعالى سلطانه، ونصر جيوشَهُ وجنودهُ وأعوانهُ، وأفاض على العامة جودّهُ وبِرّهُ وإحسانه، بنيةٍ صادقةٍ صالحةٍ، وطُبُولُه إلى فعل الخيرِ صائحةٌ، وذلك جميع القرية المعروفة بدير اصطا من عمل نابلس المعمورة، على السماط المبارك، بالحرم الشريف، حرم سيدنا الخليل عليه الصلاة والسلام، مختصاً بما يحتاج إليه السماط المشار إليه، من المؤنِ اللازمةِ، وهي القمحُ والعدسُ والزيتُ،

1- يونس عمرو، **رقوم المسجد الإبراهيمي**، 395،398.

2- العليمي،**الأنس الجليل**، 94/2 .

على أن لا يُصرفَ من ريعِ الوقف المذكور، الدرهم الفرد في غير ذلك، بعد إبطال ما كتب به لأزبار الرواتب على القرية المذكورة، وغيرهم ممن رتب له عليها ناتجة لجملةِ الحاويَةِ، وقفاً صحيحاً شرعياً معتبراً مؤبدًا مخلداً على مر الشهور والأيام، والسنين والأعوام لا يُغيرهُ البعدُ والتكرار، ولا يُبدّلُهُ اختلافُ الليلِ والنهار، فمن بَدلَهُ بعد ما سَمعَهُ، فإنما إثمهُ على الذين يبدلونَهُ، إن الله سميعٌ عليمٌ، حسب المثال الشريف، الوارد على يد المقر السيفي يلبُغا السالمي الخاسكيِّ الظاهري، على المقرِ السيفيِّ جنتمرَّ الظاهريِّ، ناظر الحرمينِ الشريفينِ أعز الله نصرهما، وصلى الله على سيدنا محمد، تاريخ سابع عشر ربيع الأول سنة اثنتين وتسعين وسبعماية "[1].

18. قرية الربض في عجلون: وهي من القرى التي تم رصدها بالكامل في دفاتر الطابو الراجعة للقرن العاشر الهجري[2].

19. قرية علي وتابع لوقف مسجد الخليل -عليه السلام- بحصة 24/10 قراط [3].

20. قرية زكريا شمال بيت جبرين[4].

21. دورا أوقفها الملك المعظم عيسى بن أخي صلاح الدين الأيوبي على المسجد الإبراهيمي عام (612هـ/1315م)[5].

وكانت هناك وقفيات ذرية لحصص من قرى في قضاء غزة، كالوقف الذي أوقفه شخص يدعى حسن بن عبد الله الشهير بابن العال أوقفه لأولاده، فإذا انقرضوا على مصالح

1- يونس عمرو، **رقوم المسجد الإبراهيمي**، 409-412.

2- محمد عدنان البخيت، **دفتر مفصل لواءعجلون**، 56،185.

3- نفسه، 56.

4- مصطفى الدباغ، **بلادنا فلسطين1**/269.

5- نفسه، 269/1، المجلس الإسلامي الأعلى، **دليل الحرم الإبراهيمي**،9.

المسجد النبوي في المدينة المنورة، والمسجد الإبراهيمي في الخليل، وذلك في 27 ربيع الآخر سنة 867هـ[1].

وكذلك وقف علي بن أمير الأبوي عبد الله في 28 . ذي القعدة من العام المذكور[2] ووقف لموسى وعثمان أولاد عبد الرحمن ابن ناظر الجيش سنة(916هـ\1510م)([3])، لواء القدس، وقف كل من محمد بن محمد المشهور بابن أبي والي في سنة (921هـ/1515م)[4] وأوقاف في لواء صفد لأولاد شهاب الدين أحمد القرشي سنة (858 هـ/1454م) [5] ولشخص يدعى محمود بن علي بن أحمد الروندارى[6].

واشترطت عدة أوقاف ذريه أن يكون الوقف بعد انقراض الذرية إلى مصالح سماط الخليل عليه السلام فقط، كوقف السلطان المملوكي الملك الظاهر أبو سعيد قانصوه على جامعه في مصر، وما فضل على أولاده وذريته، وبعد الانقراض يعود على مصالح سماط سيدنا الخليل –عليه السلام[7].

1- محمد أبشرلي، **أوقاف وأملاك المسلمين في فلسطين**، غ/11.

2– نفسه، غ/12.

3– نفسه، غ/17.

4- نفسه، ق/55.

5– نفسه، ص/12.

6– نفسه، ص / 21.

7- محمد عدنان البخيت، **لواء القدس الشريف من دفتر تحرير** 131، 98.

رابعاً: مصروفات الوقف

1. السماط[1] الكبير: وكان يفرق كل يوم بعد العصر تفرقة عامة لأهل البلد والواردين من الخبز بمقدار ما يعمل كل يوم، قدرها العليمي ما بين أربعة عشر ألف إلى خمسة عشر ألف رغيف؛ في بعض الأوقات إن كان في المدينة زائرين[2]، وفي رواية العمري الذي زار المدينة سنة (845هـ/1441م) أخبر أحد المباشرين على السماط أن أغلب أيام العام يفرقون ما يقارب السبعة آلاف رغيف، وفي الليالي العشر من ذي القعدة كان يفرق زيادة على ثلاثة عشر ألف رغيف [3].

وكان لا يمنع من ذلك السماط أحد من الأغنياء أو الفقراء، ويفرق للزائرين بغض النظر عن ديانتهم [4] وأكد على ذلك الرحالة الأوروبي فيلكس فابري الذي زار المدينة سنة (888هـ/1483م)، وكانت رحلته تهدف إلى إلقاء الضوء على الأماكن المرتبطة بحياة السيد المسيح والكتاب المقدس، لكنه كان عندما يرى شيئاً خاصاً في مكان ما كان يحرص على ذكره ومنها سماط الخليل – عليه السلام– : "...وقد أرسل القائمون على أمر النزل سلة من الخبز إلى الخان الذي كنا نقيم فيه، مع أننا لم نطلب منهم ذلك " [5].

2. السماط الصغير: وهو ما يفرق بكرة النهار وبعد الظهر لأهل المدينة من الدشيشة[6] التي تعمل في المطبخ بجوار المسجد الجاولي من جهة القبلة [7] وفي ليلة الجمعة يعمل فيها

1- السماط : هي المائدة الخيرية التي تقدم مجاناً لزوار المسجد الإبراهيمي، والسماط لغة :الجماعة من الناس والنحل وهنا الجماعة من الناس الذين يجلسون على الجانبين، أو يقفون صفين احدهما قبالة الآخر، ابن منظور، **لسان العرب**، باب الطاء، فصل السين، مادة (سمط).

2- العليمي، **الأنس الجليل**، 63/1.

3– **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، 159/1.

4– العليمي، **الأنس الجليل**، 63/1؛ناصر خسرو، **سفرنامة**، 23.

5– نقولا زيادة، **فيلكس فابري في فلسطين**، المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام، 201.

6– الدشيشة :طعام رقيق من قمح مدقوق، إبراهيم مصطفى، **المعجم الوسيط**، باب الدال، مادة (دش).

7– العليمي، **الأنس الجليل**، 63/1.

الأرز المفلفل والحب رمان[1]، وأحيانا أخرى يطبخ من العدس بالزيت والسماق[2] وكان في بعض أيام الأسبوع يطبخ ما هو أفخر من ذلك [3].

وكان يشمل المكان الذي يصنع فيه الخبز على ثلاثة أفران، وستة أحجار للطحن، ويعلو هذا المكان حواصل يوضع فيها القمح والشعير، وينفذ مكان القمح والطاحون والفرن بعضها على بعض، بحيث أن القمح يفرغ في الأهراء ويخرج خبزاً مخبوزاً [4].

خامساَ: هبات السلاطين المماليك على الوقف والسماط .

دعم سلاطين المماليك سماط الخليل لتأدية واجبه تجاه المحتاجين، حيث أوقفوا عليها أوقافاً كثيرة كما تم ذكره، وبدت العناية في بسماطه الكريم في السنوات الأولى من سلطنة الظاهر بيبرس ففي أحداث سنة (663هـ/1264م) " ورد الخبر بأنه رتب بمدينة الخليل السماط والرواتب للمقيمين والواردين وكان قد بطل ذلك مدة أعوام كثيرة "[5].

وفي عهده قام ناظر الحرمين الشريفين علاء الدين الأعمى آيدغدي بن عبد الله الصالحي النجمي، بتعمير بعض المرافق الضرورية لعمل السماط الكريم، كمخازن الحبوب والأفران والطواحين، وزاد من طاقتها الإنتاجية وتضاعف حجمه، فبعد أن كانت تستهلك خمس كيالج قمح في اليوم وكيلجة من العدس، ازدادت كمية القمح المستهلك للضيافة في السماط حتى بلغت غرارتين من القمح يومياً[6].

1- العليمي، **الأنس الجليل**، 97/2.
2- نفسه، 63/1.
3- نفسه، 63/1؛ العمري، **مسالك الأبصار**، 159/1.
4- نفسه، 63/1؛ نفسه،159/1.
5- المقريزي، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 4/2.
6- العليمي، **الأنس الجليل**، 270/2.

ومع اتساع خدمات السماط وكثرة عدد المنتفعين به أصدر الظاهر بيبرس مرسوماً عين فيه الموضع الذي يجب أن يمد فيه السماط، ليكون في ناحية بعيداً عن المسجد؛ كي لا يختلط مرتادو السماط بالمصلين [1].

وأنعم السلطان الظاهر أبو سعيد خشقدم المؤيدي (865-872هـ/1460-1467م)على الوقف الخليلي والسماط بستين غرارة قمح القيمة عنها ثمانمئة وأربعون ديناراً[2].

أما الملك الظاهر أبو سعيد جقمق العلائي (842-857هـ/1438-1453م) فقد أنعم على السماط بمائة وعشرين غرارة من القمح القيمة منها ثلاثة آلاف دينار وستمائة دينار، وتحمل على الوقف ثمن غلال، فأنعم بتوفية الثمن وهو أربعة آلاف دينار[3].

وكذلك السلطان الملك الأشرف إينال فأنعم على جهة الوقفين القدس والخليل بألف ومائتي إردب قمح القيمة عنها أربعة آلاف دينار وثمانمئة دينار [4].

1- النويري، **نهاية الأرب في فنونالأدب**، 282/3؛المقريزي، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، 94/2.

2- العليمي، **الأنس الجليل**، 99/2.

3- نفسه، 97/2.

4- نفسة، 99/2

الفصل الخامس : أثر المسجد في مدينة الخليل

اولاً : الأثر الإجتماعي

ثانياً : الأثر الإقتصادي

ثالثاً : الأثر الفكري

الأثر الإجتماعي :

لقد لعب المسجد الإبراهيمي دوراً كبيراً ومهماً في حياة سكان الخليل في العصر المملوكي، بمختلف دياناتهم وطوائفهم، فالمسلمون كانوا الأغلبية العظمى التي سكنت حول المسجد في عدة حارات وهي: حارة الشيخ علي بكا، وحارة الأكراد، وحارة الجبارية (حارة الفستقة)، وحارة المشرفية، وحارة السواكنة، وحارة الحدابنة، وحارة الشمابنة، وحارة رأس قيطون وحارة الدارية، وحارتان كانتا معتمدتين هما حارة الداوية وحارة الأكراد وهي شرقي المسجد[1].

ويظهر من خلال تتبع تاريخ العصر المملوكي،أن أهل مدينة الخليل كانوا من السنة ومن أصول عرقية مختلفة كالعرب الذين تحولوا من البدو إلى الحضر[2]، والأكراد[3] والمغاربة حيث كان عددهم قليلاً ولم يكن لهم حارة خاصة بهم[4]، كذلك المماليك الذين عملوا كإداريين للمنطقة[5].

وكان من عادات أهل الخليل التبرك بالمسجد في مختلف أحوالهم وعاداتهم وتقاليدهم الإجتماعية، منها الإحتفال بالأعياد فالمسجد الإبراهيمي كان مكاناً لعقد القران، وقراءة الفاتحة

1- العليمي، **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل**، 77/1- 78.

2- " وبالشام من صليبة العرب أقوام شتى في البلاد قد خرجوا بها عن حكم العرب وصاروا بها أهل حاضرة ساكنة، وعمار ديار قاطنة، فبمدينة غزة وبلد الخليل عليه السلام معمور بني تميم الداري رضي الله عنه"، العمري، **مسالك الإبصار في ممالك الأمصار**، 358/4.

3- الوجود الحقيقي للأكراد في الخليل في عهد صلاح الدين الأيوبي وسكانه من نسل جنوده الذين أنزلهم الشام فتديروا في البلاد، ولم تجيء دولة المماليك حتى كثروا واستعربوا، محمد كرد علي، **خطط الشام** 31/1.

4- مثل الشيخ جمال الدين عبد الله المراكشي، شيخ زاوية عمر المجرد، العليمي، **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل**، 163/2.

5- الصفدي، **الوافي بالوفيات**، 293/15؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، 31/7- 32.

واستمر ذلك حتى عهد الدولة العثمانية، حيث وردت بأنها هي عادة إجتماعية [1]، ومن ذلك أيضاً الصلاة فيه على الميت في الجنائز، استمرت في عهد الدولة العثمانية ووردت بأنها هي من خصائص البلده، فإذا مات ميت في بلده غسلوه وكفنوه، ثم جاؤوا به إلى المسجد فيوضع في قبلته ويصلون عليه ثم يحمل ويوضع بين مقام النبي إسحق-عليه السلام- وزوجته ويقرأون لهما الفاتحة، ويتوسلون بهما إلى الله في الشفاعة والعفو، ثم يحمل ويوضع بين السيد الخليل -عليه السلام وزوجته-ويقرأون الفاتحة ويتوسلون بهما للميت، وكذلك دواليك في الحضرة اليعقوبية كما مر [2].

أما الاحتفالات بداخل المسجد فكانت تتم في رؤية هلال شهر رمضان من كل عام، وليلة النصف من شعبان، وليلة الإسراء والمعراج ورأس السنة الهجرية، والمولد النبوي الشريف[3]، ويبدو أن هذه الاحتفالات تأثروا بها من خلال الفاطميين، وترسخت في العصر المملوكي وامتد العمل بها الى الوقت الحالي[4]، حيث انتشرت في مصر، وبلاد الشام والمغرب في عهد الدولة المملوكيه، وكانت تشمل طقوساً دينية معينة، كقراءة القرآن، وقراءة أناشيد دينية في مدح النبي -صلى الله عليه وسلم-، بالإضافة إلى الجوانب الترويحية كالاستماع إلى الحكايات الشعبية والتراتيل الدينية [5].

1- الخليل، **سجلات المحكمة الشرعية**، 14/نمره171/147.

2- شمس الدين الخليلي، **تاريخ القدس والخليل**،174.

3- العليمي، **الأنس الجليل**، 33/2؛ مصطفى الدباغ، **بلادنا فلسطين**، 65/5.

4- مصطفى الدباغ، **بلادنا فلسطين**، 56/5.

5 - غالب عنابسة، **أبعاد في أدب فضائل الأرض المقدسة**، 126-127.

ويبدو أن انطلاق سكان مدينة الخليل للاحتفال بموسم النبي موسى –عليه السلام–[1] كان يبدأ من المسجد الإبراهيمي، حيث كانوا يرتبون الصفوف إلى حين انطلاق الموكب، حيث تم العثور على بيرق[2] النبي موسى –عليه السلام– في غرفة الأعلام داخل المسجد في صندوق خشبي[3] واعتاد سكان المدينة على حمله، والتقدم به على سائر البيارق من المدن المختلفة تكريماً لسيدنا إبراهيم الخليل –عليه السلام– [4].

واستخدم المسجد الإبراهيمي كملجأ لطائفة الأكراد مع نسائهم وأطفالهم في أثناء الفتنة التي وقعت ببلده –عليه السلام – بين طائفة الأكراد وطائفة الدارية الذين تحصنوا بدورهم في القلعة التابعة للمسجد،وذلك سنة (878هـ/1473م) بعد أن راح ضحية تلك الفتنة ثمانية عشر نفراً من الطائفتين [5].

ولعب المسجد دوراً في نشوء العائلات الإرستقراطية، التي نشأت على خلفية إستئثار بعض الأسر في المدينة بإدارة المسجد الإبراهيمي، والأوقاف التابعة إليه، والتمتع بثمارها

1- صرّح العليمي بأن زيارة موسم النبي موسى –عليه السلام – الذي يقع في الأغوار بالقرب من أريحا التي كانت تتبع لنيابة بيت المقدس، هي عادة قديمة، شجع عليها السلاطين المماليك حيث بنى الظاهر بيبرس قبة الضريح أثناء زيارته سنة(668هـ/م)وبعد عودته من الحج،حيث إعتاد أهل بيت المقدس وكان من ضمنهم سكان مدينة الخليل –عليه السلام–أن يقصدوا زيارته في عقب فصل الشتاء من كل عام، ويقيمون عنده سبعة أيام، ويوضع على قبره في أيام موسم زيارته ستر من حرير أسود، وعلى الستر طراز أحمر مزركش دائر على جميع أطرافه بالذهب، **الأنس الجليل**، 102/1.

2 البيرق: راية أَو علم، والجمع بيارق، والبيرقدار، مركب من بيرق الفارسية وَمن دَار الفارسية كَذَلِك أَي حَامِل البيرق، إبراهيم مصطفى، **المعجم الوسيط**، باب الباء،مادة (برق).

3- صنع قماش البيرق من الحرير والخيوط الذهبية، لونه أخضر مزرق،ويتبين من ملمس القماش الذي يذوب لمجرد اللمس على أنه قديم، فبالرغم بأنه لا يعرف تاريخ عمله، لكنّ هناك احتمالاً بأن يكون من عهد دولة المماليك أو عهد الدولة العثمانية لوجود الطغراء بين رقوم هذا البيرق، يونس عمرو، **رقوم المسجد الإبراهيمي** .1002-1004.

4 -مصطفى الدباغ، **بلادنا فلسطين**، 10/149-150.

5 - العليمي، **الأنس الجليل**،2/298-299.

وتحولها إلى منصب وراثي يرثه الإبن بعد موت أبيه كعائلة التميمي، فأصبحت تلك العائلات نواة للفئة الأرستقراطية العربية الحديثة [1]، وكرست مكانتهم الاجتماعية والاقتصادية التي لم تتأثر بزوال حكم المماليك وقيام الدولة العثمانية[2].

وكان للمسجد أثر على أوضاع اليهود بالمدينة، حيث كانت أعدادهم في مدينة الخليل ضئيلة جداً، رغم وجود حارة لهم بجانب المسجد الإبراهيمي[3].إذ سمح المسلمون لهم بأن يعيشوا في أمن وسلام [4]، وأن يقيموا شعائرهم الدينية داخل المسجد الإبراهيمي بحرية تامة دون أن يكون في يوم ما كنيسا لهم، وهو ما انفرد به بنيامين التطلي في رحلته عن المصادر العربية والأجنبية فقال :" وبها بيعة جسيمة للنصارى تدعى كنيسة القديس إبراهيم، كانت في أيام حكم المسلمين كنيسا لليهود " [5] لكنه عاد وناقض نفسه بقوله :" فإذا جاء يهودي دفع المال إلى الحارس القيم على القبور فيفتح له باباً من حديد يرتقي عبره إلى أسلافنا طاب ذكرهم، فينحدر منه إلى مغارة خاوية وبيده شمعة يهتدي بها"[6]، وذلك يدفعنا إلى السؤال التالي: لماذا يدفع اليهودي إتاوة للحارس إن كان المكان كنيساً لهم !.

---

1 -تجدر الإشارة إلى أن أصول كثير من عائلات المدينة ترجع إلى فترة العهد المملوكي كعائلة القواسمة المنسوبة إلى الفقيه شرف الدين سليمان وكان موجوداً سنة(696هـ/1296م) وعائلة الجعبري نسبة إلى الشيخ برهان الدين أبو إسحق بن إبراهيم بن أبي العباس المقرىء الجعبري، وعائلة القيمري نسبة إلى الشيخ شمس الدين محمد بن خليل بن أحمد بن الصلاح خليل القيمري الذي ولد سنة (821هـ/1418م)في الخليل، محمد عبد الرحمن، **قصة مدينة الخليل**، 13.

2- خليل عثامنة، **فلسطين في العهدين الأيوبي والمملوكي**، 360-261.

3- العليمي، **الأنس الجليل**، 78/2.

4 - Israili foreign ministry,Temporary International Presence In Hebron,**Hebron; History and overview**, 1

5 - بنيامين التطلي، **رحلة بنيامين التطلي**،257.

6- بنيامين التطلي، **رحلة بنيامين التطلي**، 258- 259.

مارس اليهود شعائرهم الدينية في المسجد بدافعٍ من السماحة الدينية عند المسلمين وبقي الحال كذلك إلى أن قدم السلطان ركن الدين بيبرس البندقداري عام (664هـ-1265م) إلى الخليل، وعلم أن اليهود والنصارى يؤخذ منهم حقوق زيارة الخليل، والنزول في المغارة، فأنكر ذلك وكتب مرسوماً يمنع فيه أهل الذمة من دخول المسجد [1].

إلا أن المصادر اليهودية تبين أنه رغم إبعاد اليهود عن زيارة قبور الأنبياء – عليهم السلام– كانوا يأتون للصلاة بالقرب من الأسوار المحيطة به[2]، وهو ما لم تتعرض له المصادر التاريخية الاسلامية المعروفه من جهة، ومن جهة أخرى لا بد من الإشارة إلى أن المعلومات المتوفرة عن الطائفة اليهودية، هي معلومات وردت من مصادر يهودية سجلها حجاج يهود قدموا من أوروبا، وكانت في الغالب مزيجاً من الحقائق والتهيؤات النبوئية الغيبية التي لا يمكن اعتبارها حقائق تاريخية[3].

واستمر منعهم من دخول المسجد إلى عهد الدولة العثمانية حيث كان يسمح لليهود بالصعود إلى الدرجة السابعة فقط من سلم المسجد، وعند الدرجة الخامسة يوجد ثقب يعتقد اليهود أنه يمتد داخل المسجد إلى أن يصل بالقبور، فكانوا يأتون في كل جمعة يبكون وينوحون شأنهم شأن نحيبهم عند جدار المبكى في بيت المقدس [4].

ولم يكن للمسجد ذلك الدور على أوضاع المسيحيين في المدينة؛حيث كانت أعدادهم قليلة جداً، إذ تواجد عدداً منهم في بعضٍ من قرى بلد الخليل، فمن خلال ما ورد في وثيقةٍ

1- المقريزي، **السلوك في معرفة دول الملوك**، 33/2؛ النويري، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، 283/30 Israili foreign ministry,Temporary International Presence In Hebron,**Hebron History and overview**, 1;

2- عوديد أبيشار، **كتاب الخليل**، 11.

3- خليل عثامنة، **فلسطين في العهدين الأيوبي والمملوكي**، 235.

4 – المجلس الإسلامي الأعلى، **دليل الحرم الإبراهيمي**، 8 .

مملوكية تبين أن السلطان الأشرف شعبان الذي تولى حكم مصر سنة(764هـ/1363م – 778هـ/1376م) أصدر في عام (766هـ– 1364م)مرسوماً، كان يحتوي في سياقه الحديث عن الجوالي[1] الضريبية التي تؤخذ من أهل الذمة من قرية مجدل فضيل بالقرب من المدينة[2]. وفي العصر المملوكي كان الاهتمام المسيحي بالمسجد يتمثل بزيارته للتبرك به كأحد المواقع التي وردت بالكتاب المقدس كما تم توضيحه في الفصل الأول، وشمل مرسوم ركن الدين بيبرس المسيحيين كما شمل اليهود بمنعهم من دخول المسجد [3]. واستمر منع أهل الذمة من دخول المسجد حتى في عهد الدولة العثمانية، ولم يدخله من المسيحيين إلا أقلية ممتازة من الأوروبيين [4].

الأثر الاقتصادي :

كانت أوقاف المسجد ومصروفاته التي حددت لتوزيع الخبز والسماط على أهل المدينة وزوارها قد جعلت المدينة بمعزلٍ عن المجاعات التي كانت تضرب مصر وبلاد الشام طوال عهد دولة المماليك، وكانت تلك المجاعات تصيب مصر والشام معاً نظراً للامتداد والارتباط المباشر بين الإقليمين [5]، ففي حوادث سنة (658هـ/1259م) ابتلي الناسُ بالشام بغلاء شديد في جميع الأشياء حتى المأكول منها، فبلغ رطل الخبز درهمين، ورطل اللحم خمسة عشر درهماً [6]، وضرب الغلاء الشام مرة أخرى سنة (660هـ/1261م) في جميع أصناف

1- الجوالي: ما يؤخذ من أهل الذمة عن الجزية المقدرة على رقابهم في كل سنة، القلقشندي، **صبح الأعشى** 458/3.

2- كامل العسيلي، **وثائق مقدسية تاريخية**، 183/1.

3- المقريزي، **السلوك في معرفة دول الملوك**، 33/2؛ النويري، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، 283/30.

4- المجلس الإسلامي الأعلى، **دليل الحرم الإبراهيمي**، 8.

5- منال زيتون، **المجاعات في مصر وبلاد الشام في العصر المملوكي**، رسالة ماجستير، 2

6- العيني، **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان**، 272/1؛

البضائع والغلال "ومات خلق كثير من الجوع "[1]، وفي عهد السلطان الناصر فرج بن برقوق سنة (801هـ/1398م) غلت الأسعار جراء الجراد الذي عم البلاد،"فباع أهل الصعيد أولادهم من الجوع، وصاروا أرقاء مملوكين "[2].

وكان المسجد الإبراهيمي والأوقاف التابعة له توفر فرص عمل لأهل مدينة الخليل حيث تداولت ثلاث عشرة عائلة من أهل المدينة تلك الوظائف وراثياً في عهد دولة المماليك حتى العهد العثماني، كمشيخة المسجد التي تم حصرها في عائلة الجعبري [3]، كما أوردت سجلات المحكمة الشرعيه بإنحصار تولية وقف تميم الداري على عائلة الخطيب من قديم الزمان أباً عن جد للأرشد من أولاد العائلة، وتولت مباشرة أمور التولية من ايجار واستئجار وعمارة وقبض وصرف وتوزيع عائدات الوقف على المستحقين [4]، وهذه الأهلية كانت أيضاً شرطاً لتولية عائلة القيمري لوظيفة الموقت [5]، وعائلة طهبوب لوظيفة إمام شافعي وقارىء[6]، وكانت إمامة المسجد والخطابة من نصيب عائلة الحموري، أو الإمام الأنصاري حيث تتم بعد عقد امتحان في علوم القرآن والتجويد والفقه والعقائد والنحو والصرف والمنطق بحضور هيئة من المدرسين[7]، وكان الآذان من نصيب عائلة مسودة [8]، واشتغل أبناء عائلة أبو رجب عدة وظائف داخل المسجد من كناس، وفراش، وبواب ومعين موقت، وأمين مفتاح

---

1 – اليونيني، **ذيل مرآة الزمان**،162/2.

2 – المقريزي، **المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار**، 421/3.

3 العليمي، **الأنس الجليل**، 152/2–156؛ ابن تغري بردي **المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي** 131/1–135.

4 –الخليل، **سجلات المحكمة الشرعية**، سجل20/نمرة 38/92.

5- الخليل، **سجلات المحكمة الشرعية**، سجل20/ نمرة 45/111–46.

6 –الخليل، **سجلات المحكمة الشرعية**، سجل20/نمرة 16/32–17.

7– الخليل، **سجلات المحكمة الشرعية**، سجل23 /نمرة/20،27.

8– الخليل، **سجلات المحكمة الشرعية**، سجل18 /نمرة 276/22–277.

مطبخ وتجليد المصاحف [1]، وكان لعائلة بدر(كشكول) نصيب من توزيع تلك الوظائف[2] وكذلك كل من عائلة الزرو [3]، وزلوم[4]، والمحتسب[5]، ودويك وعسيلة [6].

ولا يمكن إغفال الجانب الإقتصادي بارتفاع معدل الشراء من سكان المدينة أثناء الإحتفالات الموسمية التي كانت تعقد في المسجد [7]، ودخول مردود اقتصادي للمدينة بفضل وجود قبور الأنبياء –عليهم السلام– داخل المسجد بما يمكن تسميته بالسياحة الدينية، فكثيراً ما كان الحجاج الأوروبيون والمسلمون يضعون مدينة الخليل وزيارة قبور الأنبياء في خطة رحلتهم [8]، حيث توزعت الأسواق ونزل الزوار حول المسجد [9]، ووجدت مختلف البضائع في تلك الأسواق من صناعات المدينة نفسها كصناعة النسيج والزجاج، التي كانت لكل منها حارة مختصة بجوار المسجد لبيعهما [10]، حيث اشتهرت المدينة بتفنن الزجاجين بزجاجهم،خاصة الأعمال الدقيقة منها كالمصابيح الزجاجية وأساور النساء، واشتهر سوقها بالزجاج الملون المنقوش على الأباريق والأكواب والسكرجات وغيرها من الأدوات [11]

1- الخليل، **سجلات المكمة الشرعية**، سجل20/ نمرة 126/268.

2- الخليل، **سجلات المحكمة الشرعية**، سجل18 / نمرة 30 /242.

3- الخليل، **سجلات المحكمة الشرعية**، سجل10، نمرة 91/8.

4- الخليل، **سجلات المحكمة الشرعية**، سجل19/نمرة 14،/154.

5- الخليل، **سجلات المحكمة الشرعية**، سجل19 /نمرة228/15.

6- أمين أبو بكر، **قضاء الخليل**، 158.

7 –غالب عنابسة، **أبعاد في أدب فضائل الأرض المقدسة**،127.

8- علي السيد، **الخليل والحرم الإبراهيمي في عصر الحروب الصليبية**، 341.

9 –صفي الدين البغدادي، **مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**،480/1؛ ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، 367/2.

10- العليمي، **الأنس الجليل**، 78/2.

11 - محمد كرد علي، **خطط الشام**، 217/4-218.

وصناعة الأدوات الفخارية كالزبادي والصحون والجرار الصغيرة والكبيرة [1]، والسلع الغذائية كزيت الزيتون [2]، والزبيب والدبس، والقطين[3]، وكانت تشمل حارة الداوية غرب المسجد جميع الأسواق لكونها أفضل الحارات في المدينة[4].

كانت الحركة التجارية حول المسجد مستمرة طوال العام، فصلاة الجمعة الجامعة للمدينة كانت تعقد في مسجد الخليل –عليه السلام– [5]، وكذلك الأعياد والمناسبات الدينية عند المسلمين، فكان نتيجة الأعداد الهائلة من الزوار، أن يعم الخير عليها وعلى المناطق المجاوره فيهرع الأهالي للإتجار مع وفود الزائرين [6].

الأثر الفكري :

لم يختلف المسجد الإبراهيمي الذي يقوم فوق مغارة قبور الأنبياء –عليهم السلام– عن معتقد التقديس والتبرك والتوسل بها كباقي المشاهد والآثار المتعلقه بنبي أو ولي في العصر المملوكي، ومن العوامل التي ساعدت على تقديس المقامات والأضرحة في ذلك العصر تشجيع المؤلفين على زيارتها نذكر على سبيل المثال كتاب مرشد الزوار إلى قبور الأبرار لموفق بن عثمان (المتوفى سنة 1218م) والكواكب السيارة في ترتيب الزيارة، لابن الزيات (المتوفى سنة 1411م)، ومع وجود فريق من العلماء قدم اعتراضات حول زيارة قبور

---

1 -محمد مصطفى إسماعيل،**صناعة الزجاج في مدينة الخليل خلال الفترتين المملوكية والعثمانية**، رسالة ماجستير، 17.

2- ناصر خسرو، **سفرنامة**، 24.

3- محمد كرد علي، **خطط الشام**، 190/4؛المقدسي، **أحسن التقاسيم**، 180، العمري، **مسالك الأبصار** 211/1.

4- العليمي، **الأنس الجليل**،2 /78.

5- ابن حوقل، **صورة الأرض**، 172؛الإصطخري، **المسالك والممالك**، 44.

6- يوسف غوانمة، **تاريخ نيابة بيت المقدس**، 84.

الأنبياء–عليهم السلام– [1] لم تكن هناك أي اعتراضات من فريق ثانٍ من العلماء حول هذه المسألة[2]، خشية أن تفسر أقوالهم في إطار إنكار الكرامات [3]، وأمام هذين الموقفين المتعارضين من المسجد الإبراهيمي نجد أن أفكار الفريق الثاني وآراءه قد عكست الإتجاه العام للشعوب والحكومات الإسلامية، التي جعلت من المسجد مكاناً مقدساً، ومن المدينة مركزاً دينياً، إسلامياً بارزاً، لعب فيه السلاطين المماليك دوراً في التشجيع على زيارتها من خلال الرعايه التي حظيت بها تلك المقامات والأضرحة والأوقاف التي أوقفت على رعايتها .

وقصد الناس المسجد الإبراهيمي للتبرك به [4]، والدعاء الذي يكونون على يقين بأنه بحضرة الأنبياء –عليهم السلام– لا يرد[5] وكذلك لمن أراد تغليظ اليمين على أحد توجهوا به إلى قبور أحد الأنبياء في الخليل، فلا يتجاسر على الحلف، ولو على القتل لما عهد مراراً من أصابه البلاد لمن يحلف كاذباً بإنقضاء الله ببركاتها[6]، ومبعث ذلك كله أن المؤمن بقدسية تلك

1- ابن تيمية، **الفتاوي الكبرى**، 1/176–178.

2– يرى الإمام الغزالي استحباب زيارة تلك الأضرحة، فيقول في تعليقه على حديث الرسول –صلى الله عليه وسلم –:لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِي هَذَا والمسجد الأقصى فقال " ذهب بعض العلماء إلى الاستدلال بهذا الحديث في المنع من الرحلة لزيارة المشاهد وقبور العلماء والصلحاء، وما تبين لي أن الأمر كذلك، بل الزيارة مأمور بها قال صلى الله عليه وسلم: كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها، ولا تقولوا هجراً. والحديث إنما ورد في المساجد وليس في معناها المشاهد لِأَنَّ الْمَسَاجِدَ بَعْدَ الْمَسَاجِدِ الثَّلَاثَةِ مُتَمَاثِلَةٌ ولَا بَلَدَ إِلَّا وَفِيهِ مَسْجِدٌ فَلَا مَعْنَى لِلرِّحْلَةِ إلى مسجد آخر، وأما المشاهد فلا تتساوى، بل بركة زيارتها على قدر درجاتهم عند الله عز وجل، نعم لو كان في موضع لا مسجد فيه، فله أن يشد الرحال إلى موضع فيه مسجد وينتقل إليه بالكلية إن شاء، ثم ليت شعري هل يمنع هذا القائل من شد الرحال إلى قبور الأنبياء عليهم السلام مثل إبراهيم وموسى ويحيى وغيرهم عليهم السلام"،**إحياء علوم الدين**، 1/244.

3 -غالب عنابسة، **أبعاد في أدب فضائل الأرض المقدسة**، 56.

4–العمري، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**،1/169–170؛ابن بطوطة، **الرحلة**، 75؛النابلسي، **الحقيقة والمجاز**، 122.

5– النابلسي، **الحقيقة والمجاز**، 121؛

6 – نفسه، 125.

الأماكن، يرى بالنبي، أو الولي، أو المكان المقدس كواسطة بينه وبين الله، حتى يظن البعض أنهم ينقلون دعاءهم إلى الله [1]، أو أن الله لا يرد دعاءهم بحضرة الأنبياء –عليهم السلام– وتلك الإعتقادات لم تكن تختص المسلمين فحسب أو فترة زمنية معينة، بل تعتنق الفكر الإنساني إلى اليوم، فأكدت البحوث الأثرية عن وجود فتحة أثرية في ساحة المسجد، محيطها من أحجار مرمرية، كان يلقي الزوار من خلالها قطعاً صغيرة من الأوراق والقماش مكتوباً عليها دعوات خاصة وابتهالات متشفعين بالأنبياء–عليهم السلام– الراقدين في المغارة [2]، وقد كان العاملون على خدمة المسجد يقومون بين الحين والآخر بإخراج تلك الأوراق وإحراقها[3]، وما زالت تلك العاده باقية في زوار المسجد إلى اليوم تنثر تلك الأوراق وقطع القماش بين مشاهد الأنبياء –عليهم السلام –أو تعلق على أبوابها بلغات مختلفة عدا عن قطع النقود المصحوبة بالدعاء وتلقى داخل الأضرحة من شعوب مختلفة [4].

ولم تقتصر تلك القدسية والتماس البركة في المسجد فحسب، بل على المدينة بأكملها حيث أنشئت الزوايا[5] الصوفية[6] حول المسجد،بسبب طبيعتها الخيرية كمؤسسات للبر

1- غالب عنابسة، **أبعاد في أدب فضائل الأرض المقدسة**، 56.

2– علي السيد، **الخليل والحرم الإبراهيمي في عصر الحروب الصليبية**، رسالة دكتوراة، 257–258.

3- القساطلي نعمان بن عبدو، **الروضة النعمانية في سياحة فلسطين وبعض البلدان الشامية**،135.

4– مقابلة مع حجازي أبو إسنينة، رئيس سدنة المسجد الإبراهيمي، بتاريخ 2014/1/13.

5الزوايا :كلمة مشتقة من المادة اللغوية زوى، جاءت بمعنى التنحية والانطواء، من حديث عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– :عجبت لما زوى الله عنك من الدنيا، أي صرفها، أما الإصطلاح فقد تأثر بالمعنى اللغوي وأصبحت تعني الإنطواء في أحد أركان البناء، وحدث ذلك حين كان الشيخ أو المتعبد يتنحى بنفسه عن الناس في بناء مختص يخلو فيه لنفسه منقطعاً للعبادة، ابن منظور، لسان العرب، باب الألف المقصوره، فصل الزاي، مادة (زوى) ؛نجاح أبو سارة، الزوايا والمقامات، رسالة ماجستير، 6.

6–الصوفية : هي من العلوم الشرعية الحادثة في الملة، وأصلها العكوف على العبادة والإنقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة، ابن خلدون، **المقدمة**، 390/1.

والإحسان بجانب مراقد الأنبياء –عليهم السلام– .وكانت مفتوحة أمام جميع فئات الناس الفقراء والضعفاء وملجأ للعجزة والغرباء الذين انقطعت بهم السبل، وجعل بعضها للنساء خاصة [1].

وكانت تلك الزوايا الصوفية تعبر عن التوجه الإسلامي الذي تبناه سلاطين المماليك بإحتضان أولياء الله وأصحاب الكرامات والشيوخ ممن أشادت بفضلهم التقاليد الدينية والإسلامية فهيؤوا لهم تلك النزل يقيمون بها ويقدمون خدماتهم لمريديهم ممن يسعون للانتفاع ببركتهم [2]، كما كانت تلك الطوائف من المؤسسات المعترف بها رسمياً في دولة المماليك وشيخهم يعين رسمياً من السلطان، وحدد ديوان الإنشاء ألقابهم، وأسلوب مكاتبتهم [3] وأصبحت تلك الزوايا دوراً للتعليم المنتظم، تلقى فيها دروس العلم على اختلاف أنواعها[4].

ومن أشهر الزوايا في مدينة الخليل التي بنيت في العصر المملوكي:

1. زاوية الشيخ علي بكا،أنشأها علي بكا سنة (668هـ/1269م) قبل وفاته بعامين، وبعد وفاته حظيت بأهتمام كبير، فأقيمت قبة فوق مقام القبر على يد الأمير حسام الدين طرنطاي نائب القدس أيام السلطان المنصور قلاوون، ثم قام الأمير سيف الدين سلار في أيام السلطان الناصر محمد بن قلاوون (702هـ/1302م) ببناء البوابة والمنارة على المقام [5].
2. زاوية الشيخ عمر المجرد، التي أسسها صاحبها أبو حفص عمر المجرد بن نجم الدين يعقوب البغدادي سنة (775هـ/1312م) وكانت في غاية الحسن بناءاً ومنظراً، وَبنى

1- خليل عثامنة، **فلسطين في العهدين الأيوبي والمملوكي**،411.

2–ابن بطوطة، **تحفة النظار**، 56.

3– القلقشندي، **صبح الأعشى**، 6/161–165.

4- محمود سليم، **عصر سلاطين المماليك**، 3/

5–العليمي، **الأنس الجليل**، 2/150.

اماكن بِأَعْلَاهَا ورتب فِيهَا من يتَعَلَّم الْقُرْآن، وأجرى لَهُم المعاليم، وَكَانَ إِذا قَرَأَ الْقُرْآن عِنْده أحد يخيره بَين الإِقَامَة عِنْده بِشَرْط أَن يشْتَغل بِالْعلمِ وَيُعْطِيه كتابا أَو يذهب إِلَى بَلْدَة أُخْرَى وَلَا يدع أحدا يقْعد عِنْده دون عمل، وَكَانَ فِي فعل الْخَيْر من الْعَجَائِب لَا يقْصد فِي حَاجَة إِلَّا قَضَاهَا ويضيف من يَقْصِدهُ بِمَا حضر عِنْده[1]، وتقع الزاوية خلف المسجد الجاولي من الناحية الشرقية، ولا يفصلها عن المسجد سوى شارع معبد عرضه من 2-3 أمتار [2].

3. زاوية المغاربة "الأشرفية": حيث تقع بجوار عين الطواشي على باب المسجد [3] وتعرف باسم الأشراف نسبة إلى عائلة الشريف في المدينة التي تتولى الزاوية بالرعاية والمحافظة [4]، ومؤسسها محمد بن عبد الله الحسيني المتوفى سنة (652هـ/ 1254م)[5].

4. زاوية الشيخ عبد الرحمن الأرزرومي وتقع في الجهة الشمالية الشرقية من المسجد الإبراهيمي، في حارة الأكراد [6].

5. زواية القواسمة، نسبة إلى الشَّيْخ أَحْمد القاسمي الجنيدي من ذُرِّيَّة أبي الْقَاسِم الْجُنَيْد وَهُوَ مدفون بهَا[7].

6. زاوية السمانية: بجوار زاوية الشيخ عمر المجرد[8].

1- العليمي، **الأنس الجليل** ، 163/2.

2- عدنان أبو دية، **الزوايا الصوفية في مدينة الخليل في العهد المملوكي**، 27.

3- العليمي، **الأنس الجليل**، 78/2.

4- عدنان أبو دية، **الزوايا الصوفية**،29.

5- نجاح أبو سارة، **الزوايا والمقامات**، 21.

6- العليمي، **الأنس الجليل**،79/2.

7- نفسه، 79/2.

8- نفسه، 78/2.

7. الزاوية القادرية :تقع بحارة القلعة قرب المسجد[1].

8. زاوية الجعابرة: تقع في ناحية المدخل الجنوبي الشرقي من المسجد، قريباً من العين الحمراء، تنسب إلى شيخ المسجد برهان الدين الجعبري [2].

9. الزاوية الأدهمية :نسبة إلى الشيخ علي كنعوش الأدهمي[3]، وتقع إلى الغرب من بركة السلطان في حارة الدارية .

وكان حول المسجد زوايا أخرى لم نعرف عنها سوى أسمائها التي ذكرها العليمي في كتابه [4]، وتلك كانت أبرز الزوايا التي ما زالت قائمة [5].

ولعب المسجد دوراً في إنتشار عدد من الأساطير الشعبية على مر العصور، فقد صاحبت كل أتباع لعقيدة دينية أسطورة حول قدسية تلك المغارة والأنبياء الراقدين فيها تضمن في معناها وجود قوة خفية تمنع المساس بهم أو محاولة رؤيتهم، فنرى عند الرحالة اليهود فكرة الرياح، فيذكر الرحالة اليهودي رابي بيتشى راتسبون (Rabbi Petachia of ratisbon) الذي زار المسجد أثناء الاحتلال الفرنجي (الصليبي)للمنطقة، بانه أعطى الحارس قطعة ذهبية وفتح له باب المغارة، وبداخلها ثلاث غرف بها توابيت الدفن، لكنها توابيت مزيفة تستعمل للتضليل فسأل الحارس عن المقابر الحقيقية مانحاً إياه قطعة ذهبية أخرى، فأقر الحارس بمكان المقابر الحقيقية، وأحضر شعلة ثم نزل سلماً يبلغ خمس عشرة درجة، ينتهي إلى المغارة الداخلية التي تؤدي إلى مغارة أخرى شديدة الهيبة، في وسطها سرداب يفضي إلى قبور منحوتة في الصخر يتوسط هذا السرداب قضبان حديدية كبيرة

1- العليمي، **الأنس الجليل** ، 78/2؛ محمد كرد علي، **خطط الشام**،151/6.

2- محمد كرد علي، **خطط الشام**، 151/6؛مريم شاهين، **مساجد مدينة الخليل في العصر المملوكي**، 36.

3- العليمي، **الأنس الجليل**، 78/2.

4 -نفسه، 78/2-79.

5 -مقابلة مع ابي سعيد شريف، مسؤول قسم المسجد الإبراهيمي في لجنة إعمار الخليل، 2013/12/21.

الحجم إلى الحد الذي لا يمكن للبشر صنع مثله، وتندفع من بين هذه القضبان ريح قوية أدت إلى إطفاء الشعلة التي أكدت له أن الانبياء مدفونون في هذه المغارة، فبادر بإقامة الصلوات ثم حاول التقدم نحو فتحة السرداب حيث المغارة، فهبت الرياح بشدة وطرحته أرضاً خارجها[1].

وفي الفكر الأوروبي المسيحي نجد فكرة العمى الذي ضرب الرجال الذين أرسلهم الإمبراطور البيزنطي ثيودس الأصغر (theodous)؛ لينقلوا رفات الأنبياء –عليهم السلام – الراقدة في المدينة إلى القسطنطينية، وحينما حاولوا الاقتراب أصيبوا بالعمى، ولم يرتد إليهم بصرهم إلا حينما ابتعدوا فاضطروا إلى العودة دون تلبية طلب الإمبراطور [2].

وعند المسلمين الصوت الخفي الذي صدر من خلال تجربة أبي بكر الإسكافي[3] التي ذكرها عدد من الرحالة فبعد نزوله للمغارة، ومحاولته رؤية الأنبياء –عليهم السلام – إذا بصوت صائحاً يقول :"تجنبوا الحرم رحمكم الله "[4].

وللمدينة أساطيرها المتوارثة خاصه في الأوساط الشعبية، التي لا تقبل الشك في حقيقة تلك القصص، فتروى قصة إن شابين حاولا الدخول إلى المغارة لرؤية الأنبياء –عليهم السلام– فأصيب أحدهما بالعمى، والأخر بالشيب، وقصة أخرى تروي أن السيدة سارة زوجة النبي إبراهيم –عليه السلام– تأتي يومياً لتحرك السماط الذي يوزع على الفقراء [5].

1- **Travel of Rabbi Petachia of ratisbon**,51-52

2- علي السيد، **الخليل والحرم الإبراهيمي في عصر الحروب الصليبية**، رسالة دكتوراه، 248.

3- راجع الروايه كامله في هذه الدراسة صفحة 3-4.

4- الهروي، **الإشارات لمعرفة الزيارات**، 35؛ العليمي، **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل**، 1/45-46 عبد الغني النابلسي، **الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية**، 612.

5- مقابلة مع عمار الخطيب، المسؤول عن توزيع تكية سيدنا إبراهيم –عليه السلام–،2014/1/13.

وبفضل المسجد أصبح للمدينة تراث شعبي خاص، فلها تقاليدها التي إمتازت عن غيرها من المدن بتوزيع سماط إبراهيم الخليل –عليه السلام–أو الضيافة التي يقدم فيها الخبز مع العدس المطبوخ بالزيت والدشيشة والزبيب [1]، فعلى باب المطبخ تدق الطبلخانة في كل يوم بعد صلاة العصر، والأصل في ذلك إحياء سنة سيدنا إبراهيم –عليه السلام – حيث كان يأتي إليه الضيوف فيصنع لهم ما يأكلونه، وكان ضيوفه يطوفون جماعة أو متفرقين في المنازل التي أنزلهم بها، فإذا قصد اطعامهم دق الطبل لإعلامهم في أنه هيأ لهم ما يأكلونه ليجتمعوا فصارت سنة بعده تعمل كل يوم عند تفرقة السماط [2].

وعلى خلفية هذا الموروث، كان من الطبيعي أن تقترن زيارة المسجد الإبراهيمي بإطعام جمهور الزائرين والمصلين والمتبركين، تبوأ فيه سيدنا إبراهيم –عليه السلام موقعا محورياً بنى من حوله كثيراً من القيم الإجتماعية والدينية [3] ومن ضمنها إكرام الضيف بأهل مدينة الخليل .

ومما سبق، تبين لنا أن المسجد الإبراهيمي لعب دوراً مهماً في صبغ مدينة الخليل بصبغة شملت مختلف نواحي الحياة عند أهل الخليل خاصة، وفلسطين عامة، إذ كان رافداً اقتصادياً مهماً، أنعش أوضاع سكانها من الناحية المعيشية، وكان رافداً فكرياً، شجع العلم

1- المقدسي، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، 172-173؛ناصر خسروا، **سفرنامة**، 24؛ النويري **نهاية الأرب**، 111/30.

2- النابلسي، **الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية**، 602-603؛العليمي، **الأنس الجليل**،62/1-63؛ ابن رستة، **الأعلاق النفيسة**، 117؛ابن منظور، **مختصر تاريخ دمشق**، 363/3.

3- " ويبدو أن جوارهم لهذه الكوكبة الكريمة من أصفياء الله رضوان الله عليهم قد صبغت حياتهم بالخصال البديعة التي اكتسبوها على تعاقب الأيام، ولعل هذا يفسر لنا المعنى المستتر وراء عدم وجود دار للسينما في الخليل حتى اليوم، أما من يريد من أبنائها الشباب في مشاهدة بعض العروض السينمائية فعليه الذهاب إلى القدس التي =تبعد 36 كيلو متراً عن الخليل، وعليه ألا يشعر أحداً بنيته تلك، وإلا أصبح موضع تجريح من كبار السن "،نبيل الآغا، **مدائن فلسطين**،88.

والعلماء والأولياء على زيارتها والإقامة فيها، إلى جانب أنه صبغ عادات وتقاليد أهل الخليل وتقاليدهم بنكهة خاصة، جعلتهم مميزين في الحفاظ على تراثهم وإرثهم الإجتماعي والديني.

الخاتمة

خلصت هذه الدراسة إلى العديد من النتائج :

1. هناك أدلة عقلية تُستنبط من القرآن الكريم وروايات الخلف عن السلف، واجتماع أهل الملل المختلفة، أن قبر أبي الأنبياء إبراهيم –عليه السلام –،وأولاده إسحاق، ويعقوب وزوجاتهم –عليهم السلام – داخل مغارة المكفيلا (Makphila) أسفل المسجد الإبراهيمي داخل المربعة تحقيقاً، أما التعيين منها فليس فيه خبر صحيح، ويبقى قبر النبي يوسف –عليه السلام – ضمن المواضع المختلف فيها .
2. إطلاق كلمة حرم (الحرم الإبراهيمي)على مسجد خليل الرحمن هو تعبير عن مكانته المقدسة والرفيعة لدى المسلمين عامة، والعرب خاصة، فقد حظيت المدينة لوجود المسجد بها بتقديس حكام المسلمين وعلمائها وعامتهم، شأنها شأن بيت المقدس، ومكة والمدينة وهو ما أشار إليه العليمي بتاريخ القدس والخليل في (الحرمين الشريفين) أكثر من مرة، وقصد به القدس والخليل .
3. ارتبط أتباع الديانات السماوية الثلاثة، اليهودية، والمسيحية، والإسلام بالمسجد الإبراهيمي فاليهودية والمسيحية تؤمن بدفن الأنبياء إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب –عليهم السلام– وزوجاتهم داخل مغارة المكفيلا (Makphila) كما ورد ذلك لديهم في العهدين القديم والجديد، أما إرتباط المسلمين فيعود لمكانة الأنبياء –عليهم السلام– الراقدين فيها والتي وردت في القرآن الكريم، والسنة النبوية .
4. يجب الحذر من أحاديث كثيرة موضوعة، وردت في كتب الفضائل، عن فضائل المسجد الإبراهيمي مصدرها في أغلب الأحيان كعب الأحبار، ووهب بن منبه اليماني، أعتمدت على التوراة، المعروفة بالإسرائيليات.

5. كان لسلاطين الدولة المملوكية دور حضاريّ في عمارة مسجد إبراهيم الخليل –عليه السلام– شهدت لهم على رعايتهم وإحتضانهم لمقدسات المسلمين، كمئذنتي المسجد ومسجد الجاولية الملاصق للمسجد ومدرسة السلطان حسن التي أقيمت مكان القلعة والرباط المنصوري، الذي كان ملاصقاً للمسجد من جهة الغرب، ومصلّى المالكية وداخل مصلى الإسحاقية أضيفت دكة المؤذنين، وقبة قلاوون، اما حول المسجد فأنشئت بركة السلطان، وسقاية قلاوون التي أندثر مكانها الأصليّ، بسبب الهدم الذي تعرض له البناء حول المسجد .

6. لعبت دوافع دينية، وسياسية، وإقتصادية، في عصر سلاطين المماليك لحملهم على الإكثار من الأوقاف للحرم القدسي في مكة، والمدينة، والقدس، والخليل، إلا أن تلك الفلسفة لم تكن ثابتة لدى جميع السلاطين، فكانت القوانين والمبادىء المنظمة للأوقاف تسير وفق أهوائهم، وعمل بنظام حلّ الوقف في سنة (780هـ/1378م) فحل معظمها .

7. احتفظ صندوق العمل، ودفاتر الطابو العثمانية، وسجلات المحاكم الشرعية، بكثير من أسماء الموقوفات التابعة للمسجد من عيون ماء، وقرى ومزارع، وحوانيت، وكانت تذهب مصروفاتها بتجديد بناء المسجد وعمارته، وعمل سماط ابراهيم الخليل –عليه السلام– بشكلٍ يومي.

8. لعب المسجد دوراً في الحياة الإجتماعية لسكان مدينة الخليل بمختلف طوائفهم الدينية فكان مكان لإحياء الإحتفالات الدينية والأعياد، والمناسبات الإجتماعية كعقد القران والصلاة على الميت، وكان مكان للإنطلاق للإحتفال بموسم النبي موسى –عليه السلام– .

9. كانت أوقاف المسجد ومصروفاته قد ساعدت على توزيع الخبز والسماط على أهل المدينة وزوّارها، وهذا بدوره أبعد سكانها عن تأثير المجاعات التي ضربت مصر وبلاد الشام من جهة، ووفر ذلك عملٌ لسكان مدينة خليل الرحمن وغيرها من جهة ثانية، وكان مركز يدير الحركة الشرائية بشكل مستمر داخل المدينة من جهة ثالثة.

10. ترك المسجد أثراً روحانياً في سكان المدينة وزائريها، فرأوا فيه مكاناً لإلتماس البركة وإستجابة الدعاء، وكان له دور في إنتشار عدد من الأساطير الشعبية على مر العصور تدور حول قدسية تلك المغارة والأنبياء الراقدين فيها، وتتضمن في معناها وجود قوة خفية تمنع المساس بهم أو محاولة رؤيتهم .

ا قائمة المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم
2. العهد القديم
3. العهد الجديد
4. ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجذري،المتوفى 360هـ، **أسد الغاية في معرفة الصحابة**، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، د م،1994م.

   الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، بيروت 1997.
5. ابن الأخوة، ضياء الدين محمد بن محمد بن أحمد بن أبي زيد بن الأخوة القرشي المتوفى729هـ، **معالم القربة في طلب الحسبة**، دار الفنون كمبردج، دط، دت.
6. أبشرلي محمد، **أوقاف وأملاك المسلمين في فلسطين في ألوية غزة القدس الشريف صفد نابلس عجلون حسب الدفتر رقم 522 من دفاتر التحرير العثمانية المدونة في القرن العاشر الهجري**، مركز التأريخ للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، استنبول 1982م.
7. أبو أرميلة صلاح وحافظ أبو سرية، **المسجد الإبراهيمي**، إحياء التراث الإسلامي،القدس،1985.
8. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، المتوفى 774هـ **البداية والنهاية**، تحقيق:علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط1 1408هـ - 1988 م.

9. الإدريسي، ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني المتوفى560هـ، **نزهة المشتاق في إختراق الآفاق**، تحقيق مجموعة من الباحثين: ليفكي، موتتيل، مكتبة الثقافة الدينية د ط، القاهرة، 2002م.

10. الأشهب رشدي، **المعالم الأثرية في فلسطين**، المجلس الاقتصادي الفلسطيني للتنمية (بكدار)، القدس،2002.

11. الإصطخري ابن اسحق ابراهيم بن محمد الفارسي، المتوفى345هـ، **المسالك والممالك**، الجمهورية العربية المتحدة – وزارة الثقافة والإرشاد – الإدارة العامة للثقافة، دط، دم،1381هـ/1961م.

12. الأصفهاني عماد الدين الكاتب،المتوفى797هـ، **الفتح القسي في الفتح القدسي – حروب صلاح الدين و فتح بيت المقدس**، دار المنار،ط 1، 2004.

13. الآغا نبيل خالد، **مدائن فلسطين دراسات ومشاهدات**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، 1414هـ/1993م.

14. إمام الحسيني محمد أسعد، **المنهل الصافي في الوقف وأحكامه والوثائق التاريخية للأراضي والحقوق الوقفية الإسلامية في فلسطين**، وكالة ابو عرفه، القدس/فلسطين د ت.

15. أمين محمد محمد، **الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر (648هـ-923هـ /1250م-1517م)دراسة تاريخية وثائقية**، دار النهضة العربية، د ط، د م 1401هـ/1980م.

16. ابن إياس، محمد بن أحمد بن إياس الحنفي، المتوفى930هـ،،**بدائع الزهور في وقائع الدهور**، تحقيق محمد مصطفى، دد ،الطبعة الثانية، القاهرة ، 1984.

17. البخاري، محمد بن اسماعيل ابو عبد الله البخاري الجعفي، المتوفى 256هـ،**الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري)**، دار طوق النجاه، الطبعه 1،القاهره، 1422هـ.

18. بخيت محمد عدنان، **دراسات في تاريخ بلاد الشام فلسطين**،الجامعة الأردنية، ط1428،1هـ/2007.

لواء القدس الشريف من دفتر تحرير427، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، عمان 1428هـ/2007م.

لواء القدس الشريف من دفتر تحرير131،مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، عمان 1428هـ/2007م.

دراسات في تاريخ بلاد الشام(فلسطين).دد،الطبعه الأولى،عمان،2007.

19. ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي الطنجي،المتوفى 779هـ،"**تحفة النظار في غرائب الأمطار وعجائب الأسفار**"،تحقيق: طلال حرب، دار الكتب العلمية ط2، بيروت، 1413هـ/1992م.

20. البغدادي صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق، المتوفى 739هـ، **مراصد الاطلاع على أسماء الامكنة والبقاع**، تحقيق علي محمد البجاوى، دار المعرفة للطباعة والنشر الطبعة الأولى، بيروت ، 1954.

21. أبو بكر أمين، **أوقاف الحرم الإبراهيمي 1858 - 1918م**، جامعة القدس المفتوحة، دت.

22. البكري الأندلسي عبد الله بن عبد العزيز، المتوفى 739هـ، **معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع**، تحقيق: مصطفى السقا، عالم الكتب، الطبعة الثالثة، بيروت 1983م.

23. البلوي، خالد بن عيسى بن أحمد بن علي بن خالد، المتوفى 767هـ، **تاج المفرق في تحلية علماء المشرق**، د ن، د ط، د م، د ت.

24. ابن تغري بردي، جمال الدين ابي المحاسن يوسف بن تغري بردي الاتابكي، المتوفى 874هـ،، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، 1992.

المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر،دت.

25. ابن تيميه، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد المتوفى 728هـ،، **الفتاوي الكبرى**، دار الكتب العلمية، ط1 1408هـ - 1987م.

26. ابن الجوزي، جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المتوفى 597هـ، **تاريخ بيت المقدس**، تحقيق: محمد زينهم محمد عزت، مكتبه الثقافة الدينية، دط، دت.

27. الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الجهماني ،المتوفى 405هـ، **المستدرك على الصحيحين**، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، 1990.

28. ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر، المتوفى 852هـ،**الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**،تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط2، صيدرآباد، 1392هـ/ 1972م.

29. حجه شوكت رمضان، **العلاقات بين دولة المماليك الأولى ودولة ايلخانيه فارس 648هـ-736هـ/1250م-1335م**، مؤسسة حماده للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، اربد/الأردن،1426هـ/2005م.

30. الحداد، محمد حمزة اسماعيل، **القباب في العمارة المصرية الإسلامية نشأتها وتطورها حتى نهاية العصر المملوكي**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة،1413هـ/1993م.

31. أبو الحسن النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري، المتوفى 261هـ،**المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (صحيح مسلم)**،دار إحياء التراث الغربي – بيروت،د ط، د ت.

32. ابن الحمصي شهاب الدين احمد بن محمد بن عمر،**حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والاقران**، تحقيق عمر عبد السلام ترمري، المتوفى 934هـ، الدار النموذجية، الطبعة الأولى، بيروت، 1999.

33. الحميري محمد بن عبد المنعم، المتوفى 900هـ، **الروض المعطار في خير الاقطار** تحقيق إحسان عباس، دد، الطبعة الثانية، بيروت، 1980.

34. ابن حوقل، ابو القاسم ابن حوقل النصيبي، المتوفى 367هـ، **صورة الارض**، مطبعة بريل، الطبعة الثانية، ليدن،1938.

35. ابن خردذابه، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله، المتوفى 280هـ، **المسالك والمماليك** مكتبة المثنى، د ط، بغداد، د ت.

36. خسرو ناصر، المتوفى 481هـ، **سفرنامه**، ترجمة :يحيى الخشاب، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، 1993م.

37. ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الخضرومي،المتوفى 808هـ، **تاريخ ابن خلدون العبر وديوان المبتدأ في أيام العرب والعجم والبربر ومن معاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، دط ، بيروت، 1979.

38. الخلوصي محمد ماجد، **عمارة المساجد تصميم وتاريخ وطراز وعناصر**، دارقابس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 1998م.

39. الخليلي، شمس الدين محمد بن محمد بن شرف الدين، المتوفى 1147هـ، **تاريخ القدس والخليل عليه السلام**، تحقيق محمد عدنان البخيت، ونوفان رجا الحمود السواريه، مؤسسة الفرقان للتراث الاسلامي، الطبعه الأولى، لندن، 2004.

40. خنفر يونس، **تاريخ وتطور فنون الزخرفة والأثاث عبر العصور**، دار الراتب الجامعيه، ط1، بيروت، 2000.

41. الدباغ مصطفى، **بلادنا فلسطين**،دار الهدى، دط، كفر قرع، دت.

42. ابن دقماق ابراهيم بن محمد بن آيدمر العلائي، المتوفى 776هـ،**الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين** تحقيق: سعيد عاشور، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، د ط، د ت.

43. دهمان محمد، **معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي**،دار الفكر المعاصر، ط1 بيروت، 1410 هـ ـ 1990 م .

44. الزركلي خيرالدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، المتوفى 1396هـ **الأعلام**، ط15، د م، 1422هـ/2002م.

45. زعلول سعد عبد الحميد، **العماره والفنون في دولة الاسلام**، دن، الطبعه الأولى الاسكندريه،1997.

46. الزيات، محمد بن عبد الله بن عمر، **الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة في القرافتين الكبري والصغري**، شركة التمدن الصناعية، د،م، 1907.

47. سابق سيد، **فقه السنه**، دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة، بيروت–لبنان 1397هـ/1977م.

48. أبو ساره نجاح، **الزوايا والمقامات في خليل الرحمن**، جامعة الخليل، الطبعة، 1986.

49. السبكي تاج الدين ابي مصر الوهاب،المتوفى 771هـ، **معيد النعم ومبيد النقم**، تحقيق: داوود ولهلم موهرمن، مطبعه بريل ليدن المكروسه،دط، د م، 1908.

50. السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد، المتوفى 902هـ، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، دت.

51. سليم محمود رزق، **عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي**، دار النشر مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز، الطبعة الثانية، دم، 1962.

52. الشامي محمد بن يوسف الصالحي، **سبيل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد**، تحقيق عادل احمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى،بيروت، 1993.

53. ابن شداد: عز الدين ابي عبد الله محمد بن علي بن ابراهيم الحلبي، المتوفى 632هـ **الأعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة**، د ط، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق،1382هـ/1962م.

54. شراب محمد محمد حسن، **الخليل مدينة عربية فلسطينية**، الأهلية للنشر والتوزيع الطبعة الأولى، الأردن/عمان،1427هـ/2006م.

55. شيخ الربوة، شمس الدين ابي عبد الله محمد أبي طالب الأنصاري الصوفي الدمشقي المتوفى 776هـ، **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**، مطبعة لايبتزج، سانت بيتر سبرج، الهند، 1923م.

56. الشيرزي جلال الدين العدوي، المتوفى 590هـ، **نهاية الرتبة الظريفة في طلب الحسبة الشريفة**، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،دم،دت.

57. الصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله، المتوفى 764هـ، **الوافي بالوفيات** دار إحياء التراث، بيروت، د ط، 1420هـ/2000م.

58. الطبري ابي جعفر محمد جرير، المتوفى 310هـ، **تاريخ الامم والملوك**، تحقيق مصطفى السيد وطارق سليم، المكتبة التوفيقيه، دط، مصر، دت.

59. الظاهري غرس الدين خليل بن شاهين، المتوفى 393هـ، **زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك**، المطبعة الجمهورية، اعادة النشر دار العرب للبستاني، د ط باريس، 1894م.

60. عاشور سعيد، **الأيوبيون والمماليك في مصر والشام**، دار النهضة العربية القاهرة 1996.

61. عبد الرحمن محمد، **قصة مدينة الخليل**، المنظمة العربية للتربية والثقافة والفنون فلسطين، دت.

62. العبدري ابي عبد الله محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن مسعود، المتوفى 700هـ تحقيق: علي ابراهيم كردي، **رحلة العبدري**، دار سعد الدين للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، دمشق، 2005م.

63. عثامنه خليل، **فلسطين في العهدين الأيوبي والمملوكي (1187م- 1516م)**، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، الطبعة الأولى، بيروت، 1427هـ/2006م.

64. ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبه الله، المتوفى 571هـ، **تاريخ دمشق** دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1415هـ/1995م.

65. العسلي كامل جميل، **تراث فلسطين في كتابات عبد الله مخلص**، دار الكرمل – عمان الجامعة الأردنية، الطبعة الأولى، عمان، 1986م.

وثائق مقدسيه تاريخية، الجامعة الاردنية، الطبعه الأولى، عمان، 1983.

66. عطا الله محمود علي، **فهرس مخطوطات مكتبة الحرم الإبراهيمي**، سلسلة النشرات الوثائقية رقم 2،جامعة النجاح الوطنية، نابلس، 1983.

67. العقاد عباس محمود، **ابراهيم ابو الأنبياء**، نهضة مصر، د ط، القاهرة، د ت.

68. عكاشه ثروت، **القيم الجماليه في العمارة الاسلاميه**، دار المعارف، دط، القاهرة 1981.

69. العليمي، أبو أيمن القاضي مجير الدين الحنبلي، المتوفى 928هـ، **الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل**، دار الجيل، د ط، بيروت، 1293هـ/1973م.

70. عمرو يونس وآخرون، **رقوم المسجد الإبراهيمي الشريف في خليل الرحمن** منشورات مركز البحث العلمي في جامعة الخليل، ط1، الخليل، 1410هـ/1989م.

خليل الرحمن العربية، مركز البحث العلمي في جامعة الخليل، الخليل،1988.

71. العمري شهاب الدين ابي العباس أحمد بن يحيي، المتوفى 749هـ، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، مركز زايد لتراث والتاريخ، الطبعة الأولى، الإمارات العربية المتحدة، 1422هـ /2001م .

التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلميه، دط بيروت/لبنان، دت.

72. عنابسه غالب، **أبعاد في أدب فضائل الأرض المقدسة دراسة في بعض المصادر نهاية الفترة المملوكية وحتى الفترة العثمانية حول مراكز دينية منتخبة في الشام (فلسطين/سوريا)**، مركز دراسات الأدب العربي، ط1 ،2006.

73. العيني بدر الدين محمود، المتوفى 855هـ،**عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط،د م، دت.

74. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي،المتوفى 505هـ، **إحياء علوم الدين**، دار المعرفة، بيروت، دت.

75. غوانمة يوسف درويش، **تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي**، دار الحياة للنشر والتوزيع، الزرقاء، 1982.

76. أبو فداء، عماد الدين اسماعيل محمد بن عمر،المتوفى 732هـ، **تقويم البلدان** تحقيق:رينود والبارون ماك كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية، دط، باريس 1840.

77. أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الانصاري الرويفعىالإفريقى، **مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر**، تحقيق: روحية النحاس وآخرون، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر،ط1، دمشق، 1402 هـ - 1984م.

78. الفيروز أبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى،المتوفى 817هـ **القاموس المحيط**، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط8، بيروت، 1426 هـ - 2005 م.

79. قاسم عبده قاسم، **عصر سلاطين المماليك(دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي)**، دار الشروق، ط1، مصر، 1415هـ/1994م.

80. القاسمي محمد جمال الدين، **إصلاح المساجد من البدع والعوائد**، المكتب الإسلامي الطبعة الثانية، بيروت، 1390هـ / 1970م.

81. القسطالي، نعمان بن عبدو،المتوفى 1738هـ، **الروضة النعمانية في سياحة فلسطين وبعض البلدان الشامية**، تحقيق: شوكت حجة، دار اليازوري،ط1، عمان، 2011.

82. القلانسي ابي يعلي حمزه،المتوفى 555هـ، **ذيل تاريخ دمشق**، مطبعه الآباء اليسوعيين، دط، بيروت، 1908.

83. القلقشندي أبي العباس احمد بن علي، المتوفى 821هـ، **صبح الأعشى في صناعة الأنشا**، وزارة الثقافة والإرشاد القومي –المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر،دط،القاهرة،دت.

84. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكربن أيوب بن سعد بن حريز بن مكي زيد الدين الزرعي الدمشقي، المتوفى 751هـ،**جلاء الإفهام**، دار ابن كثير، الطبعة الأولى (1408هـ/1988م).

85. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري بن الدمشقي، المتوفى 774هـ، **البداية والنهاية**، تحقيق علي شيرين، دار أحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، دم، 1988.

قصص القرآن، دار البيان الحديثة، الطبعة الأولى،القاهرة، 2003.

الكامل في التاريخ، تحقيق:عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى بيروت 1415هـ.

86. كرد علي محمد بن عبد الرزاق، المتوفى 1372هـ، **خطط الشام**، مكتبة النويري دمشق،1403هـ/1983.

87. لسان الدين الخطيب، محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل الغرناطي الأندلسي، المتوفى 776 هـ، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، 1424هـ.

88. مؤنس حسين، **المساجد**، عالم المعرفة،الكويت،1978.

89. المجلس الإسلامي الأعلى، **دليل الحرم الإبراهيمي الشريف**، دار الأيتام الإسلامية دط، القدس، 1346هـ/1927م.

90. مجموعة من الباحثين، **الخليل القديمة سحر مدينة وعمارة تاريخية**، تحرير: نظمي الجعبة، لجنة إعمار الخليل، فلسطين، 2008.

91. المخطط الطارىء لحماية المصادر الطبيعة، **معالم التراث الثقافي والحضاري المهددة في محافظات الضفة الغربية**، فلسطين، 1999.

92. مزروعة محمود، **دراسات في اليهود**، دار الطباعة المحمدية،ط1، 1987.

93. مصطفى إبراهيم وآخرون، **المعجم الوسيط**، دار الدعوة،القاهرة، دت.

94. ابو المعالي، المشرف بن المرجى بن إبراهيم المقدسي،المتوفى 492هـ، **فضائل بيت المقدس والخليل وفضائل الشام**، تحقيق عوفر ليفنه–كفري، دار المشرق للترجمة والطباعة والنشر، دط ، دم ، 1995.

95. المقدسي، شمس الدين أبي عبد الله محمد، المتوفى 380هـ، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، دار صادر،الطبعة الثانية، بيروت، 1327هـ/1909م.

96. المقري التلمسانيشهاب الدين أحمد بن محمد المقري، المتوفى 1041هـ،، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر،ط1، 1900.

97. المقريزي تقي الدين أحمد بن علي، المتوفى 845هـ، **درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة**، دار العرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، 1423هـ/2002م.

السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق :محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط1 بيروت، 1418هـ/1997م.

98. المكتب المعماري الهندسي لإصلاح وإعمار الصخرة المشرفة بالقدس، **تقريرعن مساحات المصليات والمقامات في الحرم الإبراهيمي الشريف**، لجنة إعمار الخليل الخليل، دت.

تقرير عن إصلاح وإعمار الحرم الإبراهيمي بالخليل، لجنة إعمار الخليل،الخليل،دت.

99. المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، **القدس والخليل في الرحلات المغربية** ط2، إيسيسكو، 1426هـ/2005م.

100. ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري، المتوفى 711هـ، **لسان العرب**، دار صادر،دط، بيروت، دت

101. المهتدي عبلة، **أوقاف القدس في زمن الانتداب البريطاني**، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع،ط1، 1426هـ/2005.

102. النابلسي عبد الغني اسماعيل، المتوفى 1143هـ، **الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية**، إعداد:حمد عبدالله يوسف،دائرة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية قسم إحياء التراث الإسلامي، القدس1403هـ/1994م.

الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز،الهيئة المصرية للكتاب،القاهرة،1986.

103. ابن النديم، ابو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي المتوفى 438هـ **الفهرست**، دار المعرفة، الطبعة الثانية، بيروت، 1997م/1418هـ.

104. النويري أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التميمي البكري شهاب الدين،المتوفى 733هـ، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، دار الكتب والوثائق القومي الطبعة الأولى، القاهره،1423 هجرة.

105. الهروي أبي الحسن على بن أبي بكر، المتوفى611هـ، **الإشارات إلى معرفة الزيارات**، مكتبة الثقافة الإسلامية، الطبعة الأولى، د م، 2002م/1422هـ .

106. ابن هشام، ابي محمد بن عبد الملك بن هاشم المعافري،المتوفى 218هـ، **السيرة النبوية**، تحقيق عادل احمد عبد الموجودعلي معوض، مكتبة العبيدكان،ط1، الرياض 1998.

107. الهندي محمد رحمت الله بن خليل الكيرانوي العثماني، المتوفى 707هـ، **إظهار الحق** الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الطبعة الأولى السعودية، 1410 هـ/1989م.

108.ياقوت الحموري شهاب الدين ابي عبد الله، المتوفى 226هـ، **معجم البلدان** دارصادر دط، بيروت، 1986.

109.اليونيني قطب الدين موسى بن محمد، المتوفى 726هـ، **ذيل مرآة الزمان**، دار الكتاب الإسلامي، الطبعة الثانية، القاهرة، 1413هـ/1992.

سجلات المحاكم الشرعية في الخليل

1. الخليل،سجل2/نمره31/17–70.
2. الخليل،سجل5/نمره24/307.
3. الخليل،سجل10،نمرة8، 91.
4. الخليل، سجل 14،نمره،171،147.
5. الخليل :سجل 18،نمره235، 3.
6. الخليل، سجل18/نمره 20/30.
7. الخليل،سجل18،نمرة22، 276.
8. الخليل،سجل18،نمرة30، 242.
9. الخليل،سجل19، نمرة14، 154.
10. الخليل،سجل19،نمرة15، 228.
11. الخليل،سجل 20،نمرة16،32–17.
12. الخليل،سجل 20،نمره،92، 38.
13. الخليل،سجل20،نمرة111، 45–46.
14. الخليل،سجل20،نمرة268، 126.
15. الخليل،سجل23،نمرة32، 27.

سجلات المحاكم الشرعية في القدس

1. القدس:**الشؤون العامة المتعلقة بالوقفيات والوثائق /صندوق العمل وما يحتويه 1928**،13/10-6/28/5.
2. القدس: 2/36-1/؟/6.
3. القدس: 9/9/9-1/922/6.
4. القدس: 2/36-1/؟/**6**.
5. القدس:9/9/9-1/922/6،9/5-1/؟/6.
6. القدس: 1/1/90، 2/32/6.

الرسائل العلمية

1. إسماعيل محمد مصطفى صابر، **صناعة الزجاج في مدينة الخليل خلال الفترتين المملوكية والعثمانية**،رسالةماجستير،جامعةالقدس،القدس، 2000.
2. بكر أمين، **قضاء الخليل 1864-1918م**،رسالة ماجستير،الجامعةالإردنية، عمان 1990م.
3. حسن خالد إبراهيم، **إبراهيم عليه السلام في الأديان الثلاثة دراسة مقارنة**،رسالة ماجستير، جامعة آل البيت،السعودية، 2000.
4. الخطيب محمد عثمان، **الأوقاف الإسلامية في فلسطين في العصر المملوكي(648-923هـ/1250-1517م)**، رسالة دكتوراه،جامعة اليرموك،إربد،2007.
5. أبو ديه عدنان، **الزوايا الصوفية في مدينة الخليل في العهد المملوكي دراسة تاريخية -أثرية-معمارية**، رسالة ماجستير،جامعة القدس،القدس، 2000.

6. الرجبي شحادة مرشد، **الجالية اليهودية في مدينة الخليل(1917-1936م)**، رسالة ماجستير،جامعة النجاح،نابلس،2000.

7. الردمان فاطمة بنت خالد، **إبراهيم عليه السلام في أسفار اليهود**، رسالة ماجستير جامعة أم القرى، السعودية، 2001.

8. الزاملي فايز إبراهيم، **الأوقاف في فلسطين في عهد المماليك(648-922هـ/1250-1517م)**،رسالة ماجستير،الجامعة الإسلامية، غزة،2010.

9. أبو زيتون منال أحمد، **المجاعات في مصر وبلاد الشام في العصر المملوكي(648هـ-922هـ)(1250م-1516م)**، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، إربد،1998م.

10. شاهين مريم محمد، **مساجد مدينة الخليل في العصر المملوكي**،جامعة القدس،رسالة ماجستير،القدس،1419هـ/1998م.

11. الشريف غادة، **أدوار السدنة في مدينة الخليل**،رسالةماجستير،جامعة اليرموك، إربد 1998م.

12. أوشلوف نسيم، **الأوضاع الإجتماعية في فلسطين في العهد المملوكي (648-923هـ/1250-1517م)**،رسالة ماجستير،الجامعة الإسلامية، غزة، 2009.

13. أبو صافي سعيد محمد، **مدينة الخليل في العصر المملوكي**، إشراف:يوسف حسن غوانمة،الجامعةالإسلامية،رسالة ماجستير،غزة، 1416هـ/1996م.

14. الصوافي طالب عبد الفتاح، **الأوضاع الحضارية في القدس منذ صلح الرملة حتى نهاية الوجود الصليبي في فلسطين**، رسالة دكتوراه،جامعة الإسكندرية، 2009.

15. علي أحمد محمد، **الخليل والحرم الإبراهيمي في عصر الحروب الصليبية (1099-1187م/492-583هـ)**،دار الفكر العربي، القاهرة، ط1418،1هـ/1998م.

وقائع المؤتمرات:

1. زيادة نقولا، **فيلكس فابري في فلسطين**، المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام (فلسطين)،القدس،1983م.
2. سوارية نوفان رجا وآخرون،**الأوقاف الأيوبية والمملوكية بناحية القدس الشريف استناداً إلى دفاتر الطابو العثمانية (932-934هـ/1525-1528م)**، مؤتمر بيت المقدس الدولي الرابع،الأوقاف الإسلامية والمسيحية في القدس تحت الإحتلال الإسرائيلي،رام الله،1434هـ/2013م.
3. الصوافي طالب، **دور المماليك في دعم أوقاف المؤسسات التعليمية في القدس(المدارس نموذجاً)**، مؤتمر بيت المقدس الدولي الرابع،الأوقاف الإسلامية والمسيحية في القدس تحت الإحتلال الإسرائيلي، رام الله،1434هـ/2013م.
4. عاشور سعيد عبد الفتاح، **بعض أضواء جديدة على مدينة القدس في عصر سلاطين المماليك**،المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام (فلسطين)،القدس،1983م.

الكتب المترجمة

1. ابيشارعوديد، **كتاب الخليل**، دن، دط،القدس، 1970.
2. التطلي بنيامين، **رحلة بنيامين التطيلي**، المجمع الثقافي، الطبعه الأولى، ابو ظبي 2002.
3. ثيودريش، **وصف الأماكن المقدسة في فلسطين للرحالة الألماني ثيودريش القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي**، ترجمة سعيد عبد الله البيشاويورياض مصطفى شاهين، دار الشروق للنشر والتوزيع، رام الله، 2003.

4. جلبى أوليا ، **سياحتنامه مصر**،ترجمة :محمد علي عونى،تحقيق:عبد الوهاب عزام، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة،1430هـ/2009م.
5. دانيل الراهب ، **وصف الأرض المقدسه في فلسطين**، دار الشروق للنشر والتوزيع الطبعه الأولى، رام الله /فلسطين،2003.
6. فيتلوس، **وصف الأرض المقدسة في فلسطين525هـ/1130مللرحالة فيتلوس**، ترجمة :سعيد عبدالله البشاوي وفؤاد عبد الرحمن دويكات، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر، إربد، 2007.

المقابلات الشخصية:

1. أبو اسنينة حجازي، رئيس سدنة المسجد الإبراهيمي،2014/1/13.
2. الخطيب عمار، المسؤول عن توزيع تكية سيدنا إبراهيم–عليه السلام–،2014/1/13.
3. شريف أبو سعيد، مسؤول قسم المسجد الإبراهيمي في لجنة إعمار الخليل،2013/12/31.

المراجع الأجنبية:

1. Israeli foreign ministry ,Temporary International Presence in Hebron ,**Hebro History and overview**,American –Israeli CooperativEnteprise.
2. L.H.VINCENT,LeCapitaine E.J.H.MACKAY,**HEBRON LE HARAM EL-KHLILI Sepulturw des Patriaches** ، PARIS,EDITIONS ERNEST LEROUX,1923.
3. Rabbi Petachia of ratisbon **,Travel of Rabbi Petachia of ratisbonWho in the latter end of the twelfth century visited**,By : A.Benisch, Messrstroubner and CO,Patrenoster row,London,1856.

Abstract

Ibrahimi Mosque in the Mamluk er(a922−648h / 1250-1517m)

Preparation

Doaa Iyad Ibrahim Amro

Supervision: Dr. Shaukat Ramadan Hija

This study dealt with the history of the Ibrahimi Mosque in the Mamluk era, Its significance stems from highlighting the historical and Islamic role in building and protecting the public Islamic holy sites and the remains of prophets. At the beginning of the study, I spoke about the virtues of the mosque. They were mentioned in the divine religious sources, in the books of travelers, and poetic texts.

Additionally, the study Has highlighted the role of the urban civilization of the Mamluks in the Ibrahim Mosque by drawing a picture of the mosque before the Mamluk period and then showing the role of the Mamluk architectural in the mosque.

The study showed the management affairs of the mosque; it was managed bythe Deputy of Jerusalem and the headmaster of the Two Holy Mosques, and endowment, and internal management of the mosque staff to do its part, such as Shaykh Imam and Khatib, and the muezzin, and timer, and the guard. and the there is a mosque belonging to the management they scalding teachers who cook and distribute tablecloth Abraham Allah exalt his mention.

Moreover, the study displayed the endowments and donations that were given to the mosque in the Mamluk era. It showed the motives that prompted sultans and the publicto allocate special donations for the mosque.

Finally, the study illustrated the social, economic, and intellectual impact of the mosque in Hebron city in the Mamluk era.